البصائر

مجلة إسلامية فكرية

- الأمة.. والكراهية والتعايش بين الطوائف
- من جديد.. نقد الطائفية من أجل الدين والإنسان
- معوقات التغيير الاجتماعي.. قراءة قرآنية
- في رحاب التوحيد.. السنن الإلهية وحركة العقل البشري
- الملامح العامة في التربية والبناء
- ميزان المعرفة بين المدرستين الأحسائية والخراسانية
- تأسيس العلم في الواقع الإسلامي.. آفاق المخرج العلمي من إنسدادت الحداثة
- العولمة الثقافية

مستقبل حركة الاجتهاد: قراءة في آليات الاجتهاد المعاصر

حوار مع سماحة العلامة الحجة السيد منير الخباز

العدد ٤٦ ـ السنة الحادية والعشرون ـ صيف/ ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد النشر

تكفلت مجلة البصائر منذ انطلاقتها أن تكون معبرة عن الفكر الإسلامي الأصيل، بعيداً عن تعقيدات اللغة وغموض المفاهيم، مع احتفاظها بعمق المضمون ورصانة المحتوى...

من هنا ترحب المجلة بالدراسات والبحوث الإسلامية التي تسهم في نشر الوعي الديني والثقافي الفكري.. وذلك وفقاً للقواعد والشروط التالية:

١ - أن تكون الدراسات أصيلة لم يسبق نشرها. وتعالج القضايا بأسلوب رصين، وتلتزم قواعد البحث العلمي بتوثيق المصادر واستيفاء بياناتها.

٢ - تخضع الدراسات لمراجعة إدارة التحرير، كما إنها لا تعاد، سواء نشرت أم لم تنشر، ولا تلتزم المجلة بإبداء أسباب عدم النشر.

٣ - ترتب الدراسات والأبحاث عند النشر وفق اعتبارات فنية.

٤ - يرجى أن ترفق الدراسات والابحاث المقدمة للمجلة، بموجز تعريفي بالكاتب.

٥ - للمجلة حق نشر الدراسات والأبحاث مجتمعة أو مستقلة. بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى.

٦ - تستقبل المجلة الدراسات والأبحاث في مختلف أبوابها، كما ترحب بمراجعة الكتب، وتغطية الندوات، ومناقشة الأفكار المنشورة في المجلة.

المقالات والدراسات التي تنشرها البصائر لا تعبّر بالضرورة عن آراء المركز أو المجلة

سعر العدد

- لبنان ٣٠٠٠ ل. ل
- سوريا ٦٠ ل. س
- الأردن دينار ونصف
- مصر ٥ جنيهات
- الكويت دينار ونصف.
- السعودية ١٥ ريالاً
- البحرين دينار ونصف
- الإمارات العربية ١٥ درهماً
- عمان ريال ونصف
- قطر ١٥ ريالاً
- العراق ١٠٠٠ دينار
- إيران ١٠٠٠٠ ريال
- اليمن ١٧٠ ريال
- السودان ٧٠ دينار
- ليبيا دينار ونصف
- تونس دينار ونصف
- المغرب ٢٠ درهماً
- موريتانيا ١٥٠ أوقية
- الجزائر ٢٠ ديناراً
- فرنسا ٣٠ فرنكاً
- بريطانيا جنيهان ونصف
- سويسرا ١٠ فرنكات
- ألمانيا ١٠ ماركات
- إيطاليا ٥٠٠٠٠ ليرة
- هولندا ١٠ فلورن
- كندا ٥ دولارات
- أمريكا ٥ دولارات
- أوستراليا ٦ دولارات
- الدول الأوربية والأمريكية والإفريقية الأخرى ٥ دولارات

الاشتراك السنوي

- لبنان وسوريا ٢٠ دولاراً.
- باقي الأقطار العربية ٣٠ دولاراً.
- أوربا وأمريكا وسائر الدول ٤٠ دولاراً.
- المؤسسات الرسمية والخاصة ٦٠ دولاراً.

تحول الاشتراكات على بنك عودة ـ لبنان، رقم الحساب ١-٤١٦/٢٥٤٨٦٨

البصائر

مجلة إسلامية فكرية

هيئة استشارية

الأستاذ حسن العطار (الكويت)
الشيخ زكريا داوود (السعودية)
الشيخ صاحب الصادق (العراق)
الشيخ محمد العليوات (السعودية)

رئيس التحرير السيد جعفر العلوي (السعودية)

مدير التحرير الشيخ محمد زين الدين (السعودية)

هيئة التحرير

الشيخ حسن البلوشي (الكويت)
الشيخ عمار المنصور (السعودية)
السيد محمود الموسوي (البحرين)
الشيخ معتصم سيد أحمد (السودان)
الشيخ ناجي أحمد زواد (السعودية)

لبنان - بيروت - الحمراء ص.ب. ٦١٥٩/١١٣

P.O.Box 113/6159 Hamra -Beirut-Lebanon

E-mail: albasaer@gawab.com

يصدرها مركز الدراسات والبحوث الإسلامية في حوزة الإمام القائم (عج)

العدد ٤٦
السنة الحادية والعشرون
١٤٣١هـ، ٢٠١٠م

محتويات العدد

من المحرر..... ٦

كلمة البصائر

- الأمة.. والكراهية والتعايش بين الطوائف - الشيخ زكريا داوود ٧

من بصائر الوحي

- معوقات التغيير الاجتماعي: قراءة قرآنية - علي علي آل موسى..... ١١
- الملامح العامة في التربية والبناء - الشيخ محمد حسن الحبيب..... ٤٤
- في رحاب التوحيد: السنن الإلهية وحركة العقل البشري- السيد محمود الموسوي ٥٦

قضايا إسلامية وفكرية

- ميزان المعرفة لدى المدرستين الأحسائية والخراسانية - ياسر عبد الله آل خميس..... ٧٤
- الإجازة الروائية عند علماء الأحساء - الشيخ محمد علي الحرز ٩٤

حوار

- مستقبل حركة الاجتهاد: قراءة في آليات الاجتهاد المعاصر حوار مع سماحة العلامة السيد منير الخباز ١٣٥

ALBASA'ER

البصائر

رأي

- من جديد.. نقد الطائفية من أجل الدين والإنسان - الشيخ زكريا داوود..... ١٦١

نافذة الأدب

- من أمس الأمة إلى غدها.. - د. السيد مصطفى جمال الدين ١٦٦

من الذاكرة الإسلامية

- العولمة الثقافية - الشيخ عبد اللطيف الشبيب ١٧١

قراءة في كتاب

- تأسيس العلم في الواقع الإسلامي: آفاق المخرج العلمي من انسدادات الحداثة - الشيخ حسن البلوشي ١٨٢

إصدارات حديثة..... ١٨٨

تقارير ومتابعات..... ١٩٥

كلمة في الختام

- فضاءات التعايش - الشيخ محمد زين الدين ٢٠٠

من المحرر

حملت مجلة البصائر على عاتقها -ومنذ انطلاقتها الأولى- نشر الفكر الرسالي المسؤول، فالحديث عن ضرورة نقد الطائفية، والدعوة إلى التعايش، لم يأت ليعيش في حالة تنظيرية بحتة، إنما جاء لما تشهده الساحة الإسلامية من سجال واسع، حول دعاوى التكفير والتفرقة الطائفية التي باتت تعصف بواقعنا المعاصر، من هنا رأينا من الضرورة تسجيل موقف رساليٍّ في شأن الطائفية والتعايش، فحمل العدد رسالتين قدمهما الزميل الشيخ الداوود الأولى كمفتتحٍ للعدد حمل عنوان: (الأمة.. والكراهية والتعايش بين الطوائف)، والأخرى: (نقد الطائفية من أجل الدين والإنسان)، وفي زاوية الأدب ننشر قصيدة للشاعر الكبير الراحل السيد جمال الدين تضمت نقدًا للطائفية، أما مدير التحرير فيختتم العدد برؤية في (فضاءات التعايش).

وتقرأ -عزيزي القارئ- في باب من بصائر الوحي، دراسة برؤية قرآنية للكاتب الشيخ الموسى في (معوقات التغيير الاجتماعي)، وأخرى في (التربية والبناء الملامح العامة) دارسة للشيخ الحبيب، أما الزميل الموسوي فيقدم (في رحاب التوحيد: السنن الإلهية وحركة العقل البشري).

وتفاعلاً مع ما نشر في العدد (٤٤) من دراسة لآية الله سيدان حملت عنوان (ميزان المعرفة)، يقدم لنا الكاتب ياسر الخميس دراسة يرى فيها أن ثمة تطابقاً معرفيًّا بين المدرستين (الأحسائية والخراسانية)، وإن اختلفت طريقة التعابير الفلسفية. كما يشاركنا الزميل الشيخ الحرز بدراسة (الإجازة الروائية عند علماء الأحساء).

وتحت عنوان (مستقبل حركة الاجتهاد.. قراءة في آليات الاجتهاد المعاصر) نُطالع حواراً معرفيًّا شائقاً مع سماحة العلامة الحجة السيد منير الخباز القطيفي. كما حمل العدد في زاوية من الذاكرة رؤية في (العولمة الثقافية) للفقيد الراحل العلامة الشيخ الشبيب. وأخيراً يقدم لنا الزميل الشيخ حسن البلوشي قراءة شائقة لكتاب سمير أبو زيد (العلم والنظرة العربية للعالم).

نأمل أن يحوز العدد على رضا الله وفائدة القارئ، والله المستعان.

الأمة.. والكراهية والتعايش بين الطوائف

■■ الشيخ زكريا داوود*

كمدخل لفهم الأزمة التي تعانيها الأمة لا بد من تشريح النسيج الاجتماعي والديني؛ لنتعرف على كل أطياف الأمة، ومدى تنوعها الفكري والمذهبي والقومي، وأهمية ذلك في دفعها للرقي، أو إضعافها وتمزيق وحدتها.

والقاعدة التي يمكن أن ننطلق منها في معرفة واقع الأمة، لا بل المجتمع البشري، هي أن التنوع هو الأصل في كل المجتمعات وكل الأمم، والأصل في التنوع هو التعدد. وتمثل هذه المسلمة الفكرية المنطلق السليم في التعامل مع المختلف، وتحقيق حالة التعايش والسلم الاجتماعي. وما نراه اليوم من عنف وإرهاب ينطلق من نفي هذه المسلمة أو تجاهلها وفرض القناعات الشخصية على الآخر، وهذا الأمر يدعو ليس إلى الصدام مع الآخر الذي نختلف معه، بل مع سُنَّة الحياة وقوانين الخلقة؛ لأن الله جلَّت قدرته خلق التنوع في كل ميادين الحياة، وجعله آيةً تدل عليه، وتخبر عن حكمته وعظيم صنعه.

قال تعالى في محكم كتابه: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾(١).

ونحن عندما نقرأ حالة التنوع البشري نُصاب بالدهشة لكثرة تعددها، فنرى العربي والكردي والفارسي والتركي والهندي والصيني والأوروبي والأمريكي و...، وعندما ندخل في

* عالم دين، كاتب وباحث، الهيئة الاستشارية - السعودية.

(١) القرآن الكريم، سورة الروم آية ٢٢.

تشريح العرب نجد تنوُّعاً هائلاً في القبائل والعشائر واللهجات والأديان والألوان والتقاليد والثقافات وغيرها، وكذا لو قمنا بتشريح القومية الكردية أو الفارسية أو التركية وغيرها من القوميات، فإن كل قومية تتنوع بين طوائف وقبائل متعددة ومختلفة في العادات والتقاليد والثقافة. وقد ذكر مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية المصري أن التنوع البشري في عالم اليوم وصل إلى ستة آلاف جماعة أولية، ووصل عدد اللغات التي يتحدث بها البشر إلى ستة آلاف لغة كذلك(٢).

ولكي ننطلق في معالجتنا لظاهرة الكراهية التي أخذت أبعاداً خطيرة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، نتساءل عن الحكمة من هذا التنوع الهائل بين البشر، وكيف يتعامل الإسلام كدين خاتم مع هذا الأمر، وهنا لا بد لنا من الرجوع للوحي الذي يُبيِّن لنا الفلسفة والحكمة التي أرادها رب العباد من هذا التنوع البشري في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٣).

إن التبادل الثقافي والتعارف بين الناس هو السبب والحكمة وراء خلق التنوع البشري، والتعارف يستبطن معرفة الآخر من خلال الاقتراب منه وسماع ما يعتقده أو يؤمن به، وبقدر ما نقترب من معرفة الآخر -من خلاله هو لا من خلال المختلف معه- نحقق قيمة الكرامة عبر مبدأ التسامح والتعايش، إذ الكرامة في أحد تجلياتها هو أن نعطي لكل شخص حرية التعبير عما يعتقده ويؤمن به، وعلى من يستمع له أن يُميِّز بين ما هو صائب وخاطئ، لا أن نفرض على الآخرين قناعاتنا، والتي قد تكون خاطئة، وما نشاهده اليوم من نمو ثقافة الكراهية بين المسلمين أحد أسبابه الكبرى هو السعي لفرض الرأي الواحد، سواء كان رأياً دينيًّا أو فكريًّا أو سياسيًّا.

وفي الحقيقة إن الكثير من الكيانات السياسية العربية بُنيت على أساس الفكر الآحادي الاتجاه، وترى أن بقاءها -كسلطات أو أحزاب ومنظمات حاكمة ومتسلطة- هو بقمع المختلف وإسكات صوته، ويعد هذا أحد أهم أسباب شيوع ثقافة الكراهية، فالشعوب المقهورة وإن سكت صوتها، إلا أن ذلك يؤدي إلى نمو حالة السخط والبغض للمستبد والظالم، وهو هنا الحاكم الذي يتربع على السلطة ويبذر ثروات الأمة على ملذاته أو أطماعه الشخصية، ويجعل الشعب رهينة لخبز شعيره اليومي، بل ويفرض عليه قبول الواقع وما يراه الحاكم من قناعات.

والأكثر خطراً بين الأنظمة المستبدة هو ذلك الذي يؤطر سلطته بالدين ويتستر بعباءة

(٢) راجع دارسة بعنوان التنوع البشري، على الرابط الالكتروني التالي: http://acpss.ahram.org.eg/ahram/2001/1/1/YOUN35.HTM

(٣) القرآن الكريم، سورة الحجرات آية ١٣.

بعض رجاله ليرفض التنوع الاجتماعي والمذهبي في بقعة حكمه، ويسعى إلى فرض رؤية لمذهب واحد على الأمة ككل، بل ليجعل نفسه ومذهبه هو الدين ويُخرج أتباع المذاهب الفقهية الأخرى منه، وهنا لا بد للمنبر أن يخدم أهداف السلطة من خلال توصيف الآخرين المختلفين معه بأنهم زنادقة وفاجرين، ولعل ما يدفع على الاعتقاد بأن الكراهية هي سياسة للدولة المستبدة هو أن من يقوم ببث تلك الثقافة هم أشخاص موظفون في المؤسسة الدينية ويمارسون ذلك من مواقع رسمية.

وبالطبع إثارة الكراهية انطلاقاً من المذهب أو العرق أو اللغة أو القومية أو غيرها من المبررات يُشكِّل صداماً حادًّا مع سُنَّة الخالق في عباده، الذي خلقهم مختلفين بل وجعل الاختلاف بين الناس هو الأصل، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾(٤).

وقال كذلك: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾(٥).

ويقول المرجع المدرسي في تفسيره لهذه الآية كلاماً مهمًّا ينطلق من أحد رواد الصحوة الإسلامية ومنظريها: النظر إلى الدين باعتباره مادة للعصبيات العرقية والقومية، أو الجدليات الفارغة، أحد أسباب الخطأ في فهم الدين، وبالتالي الإيمان به. والقرآن يُصرِّح بأنه ليس ذاك الدين الذي يتخذ مادة للخلاف هو دين الله.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ والله هو الحاكم في عباده، وكثير من الخلافات المذهبية لا يمكن أن تحلها الجدليات، بل يجب أن تتحول إلى يوم القيامة وإلى الله والمستقبل ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾(٦).

إننا ومن خلال نظرتنا وقراءتنا لواقع الأمة نُحذِّر من خطورة تبني ثقافة الكراهية أو التسويق لها عبر رفض الآخر، أو إقصائه، أو منع الناس من حرية التعبير عن آرائهم أو معتقداتهم الدينية، أو فرض مذهب معين على أي طائفة أو مذهب آخر. ومن الضروري أن نقترب ممن نختلف معه لنتعرف على رأيه بعيداً عن التحامل أو التشويه، وبعيداً عن المسبقات الفكرية؛ لأنها تُشكِّل حجاباً يمنع من الوصول للصائب من الآراء والأفكار.

إن ثقافة الكراهية في حال استمرارها وتبني السلطات المستبدة لها يمكن أن تُشعل حرب طوائف وقبائل يكون الجميع فيها خاسراً، وليس أمام الأمة بجميع أطيافها إلا أن تتبنى خيار التعايش والتعارف والتسامح، ولتحقيق هذا الخيار لا بد من جعله هدفاً

(٤) القرآن الكريم، سورة هود آية ١١٨.

(٥) القرآن الكريم، سورة الأنعام آية ١٥٩.

(٦) المدرسي، آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ج ٢ ص ٤٥٩ ط الثانية دار الكتاب العربي.

استراتيجيًّا تُسَخِّر كل الطاقات والكفاءات الفكرية والمادية لتأسيسه كمشروع نهضوي لأمة تمتلك كل مقومات القدرة والتقدّم، ويمكننا أن نحقق ذلك من خلال الأمور التالية:

١- إقرار وثيقة للتعايش الطائفي بين طوائف الأمة.
٢- سن قوانين تُجرّم المحرضين على الكراهية.
٣- سن قوانين تُجرّم المساس برموز الطوائف.
٤- تأسيس المناهج التربوية على فكر التسامح والتعايش، وذلك كفيل بأن يربي أجيالاً تفتقد لثقافة الكراهية.
٥- فتح قنوات الحوار بين كل الطوائف وتكريس مفاهيم حرية التعبير عن الرأي.
٦- بناء سياسات الدولة على محور إشراك جميع الطوائف في السلطة.
٧- الاعتراف بالتنوع المعرفي والمذهبي ورفض إكراه الناس بمذهب الدولة.
٨- إنهاء ممارسة التمييز من قبل الدولة لأن ذلك يُولِّد الشعور بالظلم، ومن ثم الكراهية تجاه الظالم، وهو ما يُفقِد الدولة شرعيتها، لأن الشرعية تقوم على رضا الشعوب بحكوماتها □

معوقات التغيير الاجتماعي

قراءة قرآنية

▪▪ علي علي آل موسى*

توطئة

منذ قديم الزمن كان من بين البشر من يعتقد أنّ الثبات وعدم التغيّر هو الصورة الفعلية للوجود والمجتمع، ومن بينهم أيضاً من اقتنع أنّ التغيّر والتحول هو الصورة الفعلية الكامنة في الفرد والجماعة والمجتمع.

ومن الواقفين على الطرف الأول الفيلسوف اليوناني بارمنيدس الذي ذهب إلى أنّ «الوجود هو الحقيقة الأزلية، وأنّ الحقيقة كائن ثابت غير متغيّر، أما التغيّر فهو عبارة عن وهم من الأوهام»[1].

ومن الواقفين على الطرف المقابل الفيلسوف اليوناني هيرقليطس صاحب المقولة الشهيرة: «إنّ من المستحيل على الشخص أن يلج النهر مرتين»[2]، فأنت لستَ أنت، والنهر ليس النهر!!. إشارة إلى التغيّر الكامن في البشر والوجود.

ويرى علم الاجتماع المعاصر أنّ التغيّر سمة فعلية في المجتمعات ترتقي إلى حدّ كونها ظاهرة شائعة لا تقبل الشك والريب، وغدا موضوع التغيّر الاجتماعي أحد أهم الموضوعات

---

* عالم دين، كاتب وباحث أكاديمي، السعودية.

(١) الدكتور الفاروق زكي يونس، الخدمة الاجتماعية والتغيّر الاجتماعي. ط٢. القاهرة/ مصر: عالم الكتب، دت/ ٣٣٤.

(٢) المصدر/ ٣٣٤.

في علم الاجتماع الذي راح يصبّ كثيراً من دراساته لتأمل هذه الظاهرة ودراستها[٣].

وتواشجت علوم كثيرة -كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والتاريخ- لتثبت أنّ التغيّر ظاهرة اجتماعية (Social phenomenon)، جلية.. راسخة رسوخ قدم الإنسان في أرض التاريخ وعمق الزمن، فقد مرت البشرية بمراحل ارتقت فيها من النطق إلى اكتشاف النار، فاستئناس الحيوان، فالزراعة، ثم التنظيم الاجتماعي، فالأخلاق، فالآلات، فالصناعة، فالعلوم، فالتربية، فالكتابة. وانتقلت من المجتمع البدائي إلى المجتمع المتحضر والمتمدن. والتقطت عدسة الشمس مجتمعات كثيرة مرت على المعمورة، من لدن المجتمع الصغير الذي مثله آدم وذريته الأولى، مروراً بمجتمع نوح وإبراهيم ولوط وهود وصالح وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وختاماً بالبشرية المعاصرة، وانتصبت في وجه قامة الزمن مجتمعات كثيرة وحضارات عتيدة كالمجتمع البابلي والصيني والهندي والفارسي والفرعوني واليوناني والروماني وغيرهم، ونمت مجتمعات كثيرة على بعضها نمواً رأسيًّا..

وهكذا.. فالمجتمع متغيّر بطبيعته.

والقرآن الكريم يؤمن بأنّ الاختلاف سمة أصيلة في المجتمع البشري: ﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[٤].

وتتفرّع من سمة الاختلاف سمة التدافع والصراع والتنافس بين الأشخاص والمجتمعات والثقافات والقيم المختلفة، والصدام بين بعضها والبعض الآخر، وفناء مجتمعات على يد أخرى تحلّ محلها: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[٥]، ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾[٦].

وهذا التدافع يُنشئ سمة أخرى هي سمة التغيّر، فالمجتمعات تتغيّر، والأيام تُتداول، والحكم ينتقل، فيوماً حكمت الإمبراطورية الفارسية، ويوماً آخر الحضارة الإسلامية (الخلافة، الأمويون، العباسيون، الدول المتتابعة، ومنها الخلافة العثمانية)، وفي يوم ظهر اليونان، وآخر الرومان، وثالث الحكم الكنسي، ورابع بريطانيا العظمى التي كانت لا تغيب عنها الشمس، ثم خذلتها الشمس وأسلمتها للمغيب!!، وخامس الاتحاد السوفيتي الذي مزقته عواصف التغيير كما تمزّق الرياح سحابة صيف هشة، واليوم تتربع على عرش القوة والجبروت الولايات المتحدة الأمريكية: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ

(٣) المصدر/ ٣٣٥.
(٤) سورة هود/ ١١٨ - ١١٩.
(٥) سورة البقرة/ ٢٥١.
(٦) سورة الأحزاب/ ٢٧.

فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى ﴾[٧]، ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[٨].

التغيّر الاجتماعي: وقفة مفهومية

قبل أن نلج إلى ردهة البحث نريد أن نقف وقفة إجمالية عند مصطلح (التغيّر)؛ لنتعرّف على مدلوله اللغوي والاصطلاحي.

١- المدلول اللغوي:

ترد مادة (التغيّر) في المعاجم العربية بمعنى التحول والتبدل، والانتقال من حالة إلى حالة أخرى.

يقول ابن منظور [٦٣٠ - ٧١١هـ]، [١٢٣٢ - ١٣١١م]: «تغيّرَ الشيء عن حاله: تحوّل. وغيّره: حوله وبدّله، كأنّه جعله غير ما كان، وفي التنزيل العزيز: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[٩]، قال ثعلب: معناه حتى يبدلوا ما أمرهم الله، .....، وغِيَرٌ الدهر: أحواله المتغيّرة»[١٠].

ويقول الفيروزأبادي [٧٢٩ - ٨١٧هـ]، [١٣٢٩ - ١٤١٥م]: «تغيّر عن حاله: تحوّل. وغيّره: جعله غير ما كان، وحوّله وبدّله»[١١].

فالتغيّر «يشير إلى الاختلاف الكمي أو الكيفي ما بين الحالة الجديدة والحالة القديمة، أو اختلاف الشيء عما كان عليه، في خلال فترة محددة من الزمن»[١٢].

أما (الاجتماعي) فهي نسبة إلى (الاجتماع)، أي الشيء المنتسب إلى المجتمع.

ومن ثمّ فـ(التغيّر الاجتماعي) هو التحول والتبدل المتصل بالمجتمع أو الحاصل فيه.

٢- المدلول الاصطلاحي:

من الناحية الاصطلاحية هناك الكثير من التعريفات المقدمة على بساط البحث لمدلول

---

(٧) سورة طه/ ١٢٨.

(٨) سورة آل عمران/ ١٤٠.

(٩) سورة الأنفال/ ٥٣.

(١٠) ابن منظور، محمد بن مكرّم بن علي الأنصاري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م). لسان العرب. تنسيق: علي شيري. ط١. بيروت/ لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ١٠/ ١٥٥ مادة (غير).

(١١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي(ت ٨١٧هـ/ ١٤١٥م). القاموس المحيط. ط١. بيروت/ لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ٢/ ١٥١ مادة (غير).

(١٢) الدكتور شائم بن لافي الهمزاني، التغير الاجتماعي في منطقة حائل: دراسة علمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. الإنترنيت، موقع: (المعرفة): (WWW.Marefa.Org).

(التغيّر الاجتماعي) (Social change)، نقتنص منها:

أ - هو «التغيّر الذي يحدث داخل المجتمع أو التحول الذي يطرأ على أيّ من جوانب المجتمع خلال فترة زمنية محددة»[١٣].

ب- هو «كلّ تحول يقع في التنظيم الاجتماعي، سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معيّنة، والتغيّر الاجتماعي على هذا النحو ينصبّ على كلّ تغيير يقع في التركيب السكاني للمجتمع، أو في بنائه الطبقي، أو نظمه الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية، أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكاناتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها»[١٤].

ج- هو «كلّ تحول يطرأ على البناء الاجتماعي خلال فترة من الزمن، فيحدُث تغيّر في الوظائف والأدوار والقيم والأعراف وأنماط العلاقات السائدة في المجتمع»[١٥].

د - هو «كلّ ما يطرأ على المجتمع في سياق الزمن على الأدوار والمؤسسات والأنظمة التي تحتوي على البناء الاجتماعي من حيث النشأة والنمو والاندثار»[١٦].

هـ- «هو الانتقال من نظام اجتماعي إلى آخر»[١٧].

التغيّر الاجتماعي والمصطلحات الأخرى

من التعميمات السابقة الواردة في تعريف (التغيّر الاجتماعي) نصل إلى أنّه كلّ تحول في البناء الاجتماعي يحصل في فترة من الزمن، سواء أكان تحولاً كليًّا أم جزئيًّا، إيجابيًّا أم سلبيًّا، مقصوداً أم تلقائيًّا، مخططاً أم عشوائيًّا، سريعاً فجائيًّا أم بطيئاً تدريجيًّا، زيادة أم نقصاناً، ارتقاء أم انحداراً، علوًّا أم هبوطاً، تقدماً أم تأخراً..

وبعبارة مختصرة هو أيّ نحو من التحول يحصل في بناء المجتمع.

وهذا يعني أنّ (التغيّر الاجتماعي) مصطلح لا يمدّ الظلال ذاتها التي تمدها مصطلحات أخرى مثل: التقدم، التطور، التحديث، التحضر، النمو، التنمية، الثورة، الإصلاح، التخلف، التراجع، التردي.

---

(١٣) المصدر.

(١٤) الدكتور أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. ط ٢. بيروت/ لبنان: مكتبة لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م/ ٣٨٢.

(١٥) الدكتور إبراهيم بن محمد آل عبد الله، والدكتور عبد الله بن حمد الدليمي، علم الاجتماع للصف الثالث الثانوي. قسم العلوم الشرعية والعربية (بنين). المملكة العربية السعودية، ١٤٣٠- ١٤٣١هـ/ ٢٠٠٩م - ٢٠١٠م، ص ٩١.

(١٦) الخدمة الاجتماعية والتغيّر الاجتماعي/ ٣٤٣.

(١٧) دون كاتب (تغير اجتماعي)، الإنترنيت، موقع: ويكيبيديا (الموسوعة الحرة).

١- التقدم الاجتماعي (Social Progress):

التقدم الاجتماعي هو تغيّر المجتمع من حالة إلى حالة أفضل سواء في الجوانب المادية أو المعنوية، ويشير إلى عملية مستمرة بمقتضاها ينتقل المجتمع الإنساني من حالة إلى حالة أفضل، أو يسير في اتجاه مرغوب[١٨].

«ويُعرّف بأنّه العملية التي تأخذ شكلاً محدداً واتجاهاً واحداً مستقيماً يتضمن توجيهاً واعيًّا مخططاً ومقصوداً لتوجيه عملية التغيّر نحو الأمام؛ بهدف تحقيق بعض الأهداف المرسومة والمنشودة المقبولة، أو الأهداف الموضوعية التي تنشد خيراً أو تنتهي إلى نفع»[١٩]، كما يشير إلى التحسّن الإيجابي المستمر الصاعد نحو الأمام، وينطوي على مراحل ارتقائية، أي أنّ كلّ مرحلة تالية أفضل من سابقتها من حيث الثقافة والقدرة الإنتاجية والسيطرة على الطبيعة، بينما (التغيّر الاجتماعي) قد يكون إيجابيًّا أو سلبيًّا، أي تقدماً وازدهاراً أو تخلفاً وتأخراً ونكوصاً[٢٠].

٢- التطور الاجتماعي (Social Evolution):

التطور يعني النمو والتقدم المتدرّج البطيء من الناحية الكمية أو الكيفية وفقاً لمراحل محددة ومتوقعة (دون طفرات)، ويؤدي إلى تحولات منتظمة ومتلاحقة ومترابطة، فهو «العملية التي بموجبها تحقق المجتمعات الإنسانية نمواً مستمراً مروراً بمراحل متلاحقة مترابطة»[٢١]، بينما التغيّر الاجتماعي قد يكون تدريجيًّا مرحليًّا بطيئاً هادئاً، وقد يكون ثوريًّا انقلابيًّا فجائيًّا طفريًّا سريعاً شاملاً عنيفاً، وقد يكون تغييراً مخططاً (بطيئاً أو سريعاً) أو تلقائيًّا، بحسب المنهج التغييري الذي يسير عليه ويتملاه.

و«إذا كان مفهوم التغيّر يشير إلى أيّ تحول أو تعديل يطرأ على أساليب الناس في التعامل وعلى المؤسسات الاجتماعية والبناء الاجتماعي، فإنّ مفهوم التطور يقوم على أساس العلاقة بين عامل الزمن وبين نشأة أنواع أو فصائل أكثر تركيباً وأشد تنوعاً أو اختلافاً، إنّ الأكثر تطوراً لابدّ أن يظهر متأخراً عن الأقل تطوراً نتيجة للتغيّرات التي تطرأ عليه»[٢٢].

وهذا يعني أنّ التطور حالة من حالات التغيّر.

---

(١٨) الخدمة الاجتماعية والتغيّر الاجتماعي/ ٣٥٠، ٣٥٢.
(١٩) التغير الاجتماعي في منطقة حائل، الإنترنيت، موقع: (المعرفة): (WWW.Marefa.Org)
(٢٠) المصدر.
(٢١) المصدر.
(٢٢) الخدمة الاجتماعية والتغيّر الاجتماعي/ ٣٤٩ - ٣٥٠.

٣- التحديث (Modernization):

التحديث هو «استبدال الأسلوب التقني التقليدي وما يرتبط به من أنماط تتصل بحياة الأشخاص أو الجماعات أو المجتمعات، وذلك بأسلوب أكثر حداثة ومعاصرة»[٢٣]، بينما التغيّر أعم من ذلك، ويشمل الأخذ بالأسلوب التقني الحديث، أو العكوف على الأسلوب التقني القديم، أو النكوص إلى الأسلوب التقني القديم، فهو مفهوم عام يشمل التحديث والتقليد والتبعية وغير ذلك..[٢٤].

٤- التحضر (Urbanization):

يشير مفهوم التحضر «إلى عملية من عمليات التغيّر الاجتماعي، وهي انتقال الريفيين إلى المدن، واكتسابهم تدريجيًّا القيم الحضرية وما يرتبط بها من أنماط السلوك الحضري إلى أن تنتهي هذه العملية إلى ما يُسمّى بـ(التكيّف الاجتماعي)»[٢٥].

ويشير مفهوم (الحضرية) «إلى اكتساب الناس -وخاصة في الريف- لأساليب الحضر دون الانتقال إلى المدن»[٢٦]، أي التحول القيمي والثقافي دون التحول المكاني الجغرافي.

أما التغيّر الاجتماعي فهو يشمل انتقال الريفيين إلى المدن والعكس، واكتساب الناس لأساليب الحضر والعكس، «وهكذا، فالتحضر يصف جزءاً من عملية التغيير الاجتماعي»[٢٧].

٥- النمو الاجتماعي (Social Grouth):

يشير مفهوم (النمو) إلى الزيادة في جانب واحد من جوانب الحياة، ويتصف بالثبات المستمر نسبيًّا، ويكون بطيئاً وتدريجيًّا، ويشير إلى الجوانب الكمية، ويتعلق غالباً بالجانب المادي من المجتمع، ويسير في خط مستقيم نحو الأمام (الزيادة)، بحيث يمكن التنبؤ بما سيؤول إليه، وهو إرادي[٢٨].

بينما التغيّر يشمل البناء الاجتماعي والنظام والأدوار والقيم وقواعد الضبط الاجتماعي، وقد يتصف بالثبات النسبي أو العكس، وقد يكون فجائيًّا سريعاً أو تدريجيًّا بطيئاً، ويتعلق بالجوانب الكمية أو الكيفية أو كلتيهما، ويتصل بالجانب المادي أو المعنوي أو كليهما، ويشير إلى الجوانب الكمية أو الكيفية أو كلتيهما، ولا يكون سيره مستقيماً -بالضرورة-، فقد يكون

(٢٣) التغير الاجتماعي في منطقة حائل، الإنترنيت، موقع: (المعرفة): (WWW.Marefa.Org).
(٢٤) المصدر.
(٢٥) المصدر.
(٢٦) المصدر.
(٢٧) المصدر.
(٢٨) المصدر.

تصاعديًّا إلى الأمام أو نكوصيًّا إلى الخلف، وقد يكون تلقائيًّا عفويًّا أو إراديًّا مخططاً[٢٩].

فالنمو حالة من حالات التغيّر.

٦- التنمية الاجتماعية (Development Social):

هي «الجهود المنظمة التي تُبذل وفق تخطيط مرسوم للتنسيق بين الإمكانات البشرية والمادية المتاحة في وسط اجتماعي معيّن؛ بقصد تحقيق مستويات أعلى للدخل القومي والدخول الفردية، ومستويات أعلى للمعيشة والحياة الاجتماعية في نواحيها المختلفة كالتعليم والصحة والأسرة والشباب، ومن ثمّ الوصول إلى تحقيق أعلى مستوى ممكن من الرفاهية الاجتماعية»[٣٠]، أي «هي نوع من التغيّر المقصود أو المخطط له؛ بغرض الانتقال من حال غير مرغوبة إلى حال أفضل، فهي السير في اتجاه موجب ومرغوب، إذاً.. هي نوع من التغيير الناتج عن التحكم في عوامل التغيّر واتجاهاته، بينما التغيّر يعني الحال المتغيّرة التي تحدث بفعل عمليات مخططة، وفي اتجاه مرغوب وموجب أو العكس»[٣١].

وبذلك فالتنمية نوع من أنواع التغيّر يختصّ بالتغيّر المنظم المقصود والمخطط له، دون التغيّر العشوائي العبثي أو العفوي التلقائي..

٧- الثورة الاجتماعية (Social Revolution):

الثورة هي: «التغيير المفاجئ السريع بعيد الأثر في الكيان الاجتماعي لتحطيم استمرار الأحوال القائمة في المجتمع، وذلك بإعادة تنظيم وبناء النظام الاجتماعي جذريًّا»[٣٢].

أما التغيّر الاجتماعي فقد يأخذ بالمنهج المفاجئ أو التدريجي، وقد يكون جذريًّا أو ترميميًّا، ومن ثمّ فالثورة نوع من أنواع التغيّر الاجتماعي.

٨- الإصلاح الاجتماعي (Social Reform):

وقد شاع في الأدبيات الحديثة تسمية التغيير الجزئي بـ(الإصلاح)، و(الإصلاح الاجتماعي)، و(العمل الإصلاحي)، و(العملية الإصلاحية)، وتسمية التغيير الكلي الشامل بـ (التغيير)، أو

---

(٢٩) المصدر.

(٣٠) الدكتور حسن سعفان، (اتجاهات التنمية في المجتمع العربي). مقال في كتاب (حلقة النهوض بعلم الاجتماع في الوطن العربي). ط١. الجزائر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. إدارة الثقافة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص ٢٢٥.

(٣١) التغير الاجتماعي في منطقة حائل، الإنترنيت، موقع: (المعرفة): (WWW.Marefa.Org).

(٣٢) جابر السكران، مقال (الثورة: تعريفها، مفهومها، نظرياتها). الإنترنيت. موقع: (الجريدة): (WWW.Aljaredah.Com).

(التغيير الجذري) أو (التغيير الشمولي)، ومن ثمّ فالفرق بينهما يكمن في المساحة التي يحتلها فعل التحويل والتبديل (كلية/ جزئية)، وفي عمق عملية التحويل (جذرية/ ترميمية).

٩- التخلف الاجتماعي (Retrogression (Social:

هو حركة المجتمع السلبية نحو الوراء، وسيره نحو الأسوأ، بينما التغيّر الاجتماعي قد يكون نحو الأسوأ، وقد يكون نحو الأفضل، ومن ثمّ فهو مفهوم أكثر شمولية وتعميماً، وبذلك يغدو التخلف نوعاً من أنواع التغيّر الاجتماعي.

١٠- التراجع الاجتماعي (Retardation (Social:

وهي عملية سير اجتماعي نحو الوراء، وتتضمن عملية الحركة القهقرية إلى صور نكوصية سابقة كان عليها المجتمع في زمن سابق، فهي عملية مقابلة للتقدم، وبذاك يكون التراجع -شأنه شأن التقدم- صورة من صور التغيّر الاجتماعي.

١١- التردي الاجتماعي (Regression (Social:

وهي عملية هوي وسقوط وهبوط وانحدار من أعلى إلى أسفل، وهي تفترض كون المجتمع في صورة (أعلى)، ثم الانحدار والتدهور والانحطاط، ولا تعني كلمة (أعلى) بالضرورة كونه في مستوى إيجابي، وإنّما هي مقارنة ونسبة تحكي التفاضل بين مستويين، يشهد المجتمع في الصورة السابقة له مستوى أفضل مما يؤول إليه حاله، وقد تكون تلك الصورة السابقة (عالية فاضلة)، يتردى المجتمع بعدها إلى أسفل، أو تكون صورة (سافلة متردية)، ثم يتردى إلى ما هو أشدّ منها.

أما التغيّر الاجتماعي فقد يكون ترديًّا وانحداراً، وقد يكون تساميًّا وارتفاعاً، أي أنّه أعم من التردي.

وهكذا.. فكلّ واحد من هذه المصطلحات الأحد عشر يرسم حالة وشكلاً من أشكال التغيّر الاجتماعي، لكنّه ليس مصطلحاً عاماً شاملاً يساوق معنى (التغيّر الاجتماعي)، ويحكي سعته وشموله.

خصائص التغيّر الاجتماعي

ومما سبق نستطيع أن نتعرّف على أهم خصائص التغيّر الاجتماعي، ومنها:

١- ظاهرة عامة:

فالتغيّر الاجتماعي ظاهرة تحدث في قطاع عريض من أفراد المجتمع، ولدى فئات واسعة منه، وتتصف بالانتشار والتوسع، ولا تقتصر على حالات محدودة في بعض الأفراد أو الجماعات.

٢- يصيب البناء الاجتماعي:

فهو تحول في بنية المجتمع، لا بنية فرد، ولا يُقال لتحول حصل لدى شخص أو أشخاص قلة أنّه تغيّر اجتماعي.

٣- يقاس بفترة زمنية، حتى يمكن معرفته وتقويم آثاره:

فعنصر (الزمن) معيار هام في كشف ما يحصل في المجتمع، فقد نشهد مجتمعاً ما.. وهو مجتمع أمي، أو زراعي، أو تستفحل فيه ظاهرة القتل، أو لا يعرف (الإنترنت)، ونشهده في فترة زمنية أخرى متعلماً يتأبط أبناؤه شهاداتهم الجامعية، تسكنه الصناعة، وينشر عليه التسامح جناحه، وتستقر (الإنترنيت) في عمق تقاناته التواصلية والمعرفية.

٤- الثبات النسبي (الديمومة والاستمرار):

أي أنّ التغير الحاصل فيه ليس مؤقتاً أو عرضيًّا أو سريع الزوال، وإنّما يستقر مدة من الزمن بحيث يبدو ذلك فيه ملمحاً بارزاً.

٥- الإيجاب والسلب:

ومن خصائص التغيّر الاجتماعي أنّه قد يكون إيجابيًّا (تقدماً وازدهاراً)، وقد يكون سلبيًّا (نكوصاً وانحداراً)، ولا يختصّ التغيّر الاجتماعي بالإيجاب فقط، أو بالسلب فقط.

٦- التلقائية والقصد:

فالتغيّر الاجتماعي قد يحدث بشكل تلقائي وعفوي، أو بشكل مقصود ومخطط.

التغيّر والتغيير

تشير الهيئة اللغوية (تغيّر) الواردة على وزن (تفعّل) إلى تبدل وتحول وتحرّك (وانتقال ذاتي)، فحين نقول: (التغيّر الاجتماعي)، فإنّ هذا المركب الوصفي يومئ إلى تحقق أمر حصولي قد يكون عفويًّا أو تلقائيًّا، بينما الهيئة اللغوية (تغيير) على وزن (تفعيل) تشير إلى صورة غيرية، فحين نقول: (التغيير الاجتماعي)، فإنّ هذا المركب الوصفي يتحدث عن أمر عملي تحصيلي، أي يستحضر في وعيه فعلاً يقوم به أحد أو جماعة لإحداث التبدل والتحول والنقل من حالة إلى حالة، فهو تبديل وتحويل وتحريك (ونقل غيري)، فهو عملية قصدية، وليست عملية عفوية أو تلقائية، ويظهر فيها طرفان

أحدهما القائم بالفعل والتغيير (الفاعل، المغيِّر)، وثانيهما: الجهة التي تجري عليها عملية التغيير (المنفعل، المغيَّر).

ولعلّ هذا أهم المبررات لعنونة هذه الدراسة بـ(معوّقات التغيير الاجتماعي)، بدلاً من (معوّقات التغيّر الاجتماعي)؛ لأنّنا نريد أن نقول: إنّ المجتمع قد يشهد عملية تغيير قصدية تسعى لإحداث التبدل والتحول فيه، لكن تقف في سبيلها أحجار تصد تلك العملية، تمثل معوّقات لها.

مواقف الناس تجاه التغيير الاجتماعي

يمكن أن نصنّف مواقف الناس تجاه التغيير إلى ثلاثة:

١ـ الموقف المؤيد (الإيجابي):

وهو موقف يؤمن بالتغيير، ويتقبّله، ويدعمه، ويقوم بالإسهام الفعلي فيه، وتمثله المجتمعات التي تتقبل التغيير قيمةً وفكراً وثقافةً ومنهجاً وطريقةَ حياة، وتقوم بإحلال سبل التغيير فيها، وإعادة ترتيب أوراقها وفق الشكل المناسب للتغيير الجديد.

٢ـ الموقف المعارض (السلبي):

وهو موقف يؤمن بعدم التغيير، أو لا يؤمن بالتغيير، ومن ثمّ يعارضه، ويواجهه، ويشحذ قواه للوقوف في وجهه، وإعاقة العملية التغييرية، أو إجهاضها أو قتلها. وتمثله المجتمعات التي تعادي التغيير سواء في الجانب القيمي، أو التقني، أو غير ذلك..

كما عارض البعض القطار في أول ابتكاره؛ مدعياً أنّه يفسد الطبيعة، وبسرعته يحرم الإنسان من فرصة التأمل فيها، والتفاعل مع جمالها الأخاذ.

٣ـ الموقف اللامبالي (السكوني):

وهو موقف من لا يعنيه تحقيق التغيير ونجاحه، ولا بقاء الصورة المجتمعية المتحققة أو زوالها، ومن ثمّ يقف موقف المتفرج الذي يحمل شعار (الوقوف على التلّ أسلم!!).

وتمثله القطاعات الاجتماعية التي لا تحمل همّ المسؤولية والتغيير.

المواقف الثلاثة في القرآن الكريم

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ

المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾(٣٣).

فقد طلب نبي الله موسى (عليه السلام) من بني إسرائيل تغيير وضعهم الذي يقتات الشتات والضياع في الأرض بالدخول إلى الأرض المقدسة، فانقسموا إلى ثلاث فئات تجسد المواقف الثلاثة تجاه التغيير:

١- فئة تريد تحقيق التغيير الاجتماعي لمجتمع بني إسرائيل، والانتقال به إلى مرحلة الاستقرار في الأرض المقدسة، وهذه الفئة يقودها النبي موسى (عليه السلام)، وأخوه هارون (عليه السلام)، ويشاركهما فيها رجلان واعيان لمستلزمات التغيير ومتطلباته، ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ ﴾.

٢- وفئة تقف ضد التغيير، وتفضل العيش في الشتات على المواجهة المسلحة للقوم الجبارين، المواجهة التي قد تكلفها خوض غمار الحرب وتقديم القتلى، وتريد أكل ثمرات التغيير دون الإسهام في عمليته واجتراح مشاقها وآلامها ﴿ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾.

٣- وفي الختام تحولت الفئة المعارضة للتغيير إلى فئة سكونية خاملة، يطيب لها مشاهدة المسرح دون السعي لتقديم أيّ فعل فيه، ومع أنّها تتوق إلى التغيير، لكنّها تكل عملية الحراك الاجتماعي إلى الغيب، بدلاً من الفعل البشري الشهودي ﴿ قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾.

وإذا تحوّلت هذه المواقف الثلاثة إلى عمل، فإنّ الموقف الأول (المؤيد) سيأخذ بسبل الدعم لإحداث التغيير، بينما سيشرع الموقف الثاني (المعارض) إلى التسلح بسبل الصدّ والمواجهة والإعاقة (صنع المعوقات لعملية التغيير)؛ لإبقاء المتحقق المجتمعي، ووأد عملية التغيير، في حين سيكتفي الثالث (اللامبالي) بمشاهدة الأحداث والمجريات!!

وضمن وجهة النظر القرآنية فإنّ مآل هذه المواقف الثلاثة يصبّ في خندقين فحسب: إما الوقوف مع التغيير، وإما ضده؛ لأنّ الموقف السكوني يخذل عملية التغيير، ويصبّ في خدمة المعارض لها، ويترك (المؤيد) في حلبة الصراع مع (المعارض) دون أن يقدم له أيّ معونة، مكتفياً بالتفرّج على عملية المصارعة، وهذا يفسّر لنا النهاية الدقيقة التي خُتمت بها الآيات التي تكلمت عن قصة تحريم الصيد على بني إسرائيل في يوم السبت:

(٣٣) سورة المائدة/ ٢٠ - ٢٤.

﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[٣٤].

ففي خاتمة المطاف هناك نهايتان فقط:

ألف- النجاة للذين ينهون.

بـاء- العذاب البئيس للذين ظلموا.

فأين توارى أصحاب الموقف الثالث (السكونيون) عن المسرح؟!

لا شكّ في أنّ هؤلاء انخرطوا نتيجة ضمن الذين صُب عليهم العذاب البئيس، أو ما هو أشدّ منه!!

ويفسّر انتهاء المواقف الثلاثة إلى موقفين حديث آخر عن تجربة أخرى في المسرح النبوي، حصلت هذه المرة في قوم شعيب عليه السلام، حيث «أوحى الله -عزّ وجلّ- إلى شعيب النبي عليه السلام: إنّي معذب من قومك مئة ألف: أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم!!، فقال عليه السلام: يا ربّ، هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟!، فأوحى الله -عزّ وجلّ-: إليه: داهنوا أهل المعاصي، ولم يغضبوا لغضبي»[٣٥].

معوّقات التغيير الاجتماعي

هناك معوقات كثيرة تقف في وجه حركة التغيير الاجتماعي، منها:

١- رفض قيم التغيير:

فالتغيير يحمل في طياته قيماً وأخلاقيات منها: تجاوز القديم المتحقق، والمجيء بالجديد.

وإلى جانب وجود أشخاص ومجتمعات يتقبلون عملية التغيير والحركة (المجتمعات الديناميكية)، وينزعون إلى الجديد، يقف أشخاص آخرون ومجتمعات أخرى ترغب في الثبات والاستقرار، وتخاف من الجديد، وتنزع إلى العكوف على القديم المألوف، وتقف في وجه التغيير وتحاربه، أو تقف في وجه المغيّر وتقاومه، وتلك طبيعة (المجتمعات الاستاتيكية).

(٣٤) سورة الأعراف/ ١٦٣ - ١٦٥.

(٣٥) الشيخ محمد بن يعقوب الكليني(ت ٣٢٩هـ/ ٩٤١م). أصول الكافي. تحق: محمد جعفر شمس الدين. د ط. بيروت/ لبنان: دار التعارف للمطبوعات، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ٥/ ٥٦، الباب ٥٥، ح ١ (عن الإمام الباقر عليه السلام).

والقاعدة العامة للسلوك الاجتماعي الذي واجه حركة التغيير التي قادها الأنبياء والمرسلون هي رفض التغيير ومواجهته: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾(٣٦).

وإلى جانب كونها القاعدة العامة، فقد انحلت إلى مصاديق تطبيقية كثيرة وتوالت ظهوراتها في حلقات التغيير النبوي، واقفة كسد منيع في سبيل التغيير الذي يستهدفه:

فقد رفض قوم نوح فكره التغيير، و﴿ قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾(٣٧).

كما رفض قوم هود دعوته، وفضّلوا أن يعضوا بنواجذهم على انتمائهم العقدي للمحافظة عليه: ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ألا تَعْبُدُوا إلا اللّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾(٣٨).

ومن لدن نوح أول الأنبياء إلى خاتمهم الأكرم محمد ﷺ يستمر هذا السلوك الرافض للتغيير الاجتماعي -لاسيما في الصورة العقدية-، فتعود الكرّة من جديد في مجتمع قريش الذي تغطرس، ورفض الإسلام وكتابه المنزل، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾(٣٩).

ويطلق البعض على البقاء على القيم القديمة ورفض الجديدة -ولو كانت سماوية أو متجانسة مع العقل والفطرة- اسم (الرجعية)؛ لأنّها دعوة للرجوع إلى الخلف، وعدم التطلع والإقدام إلى الأمام، والتهيّب من الخطو نحوه.

٢- النمطية:

تمثل العادات الجارية والمستحكمة في المجتمع دور المألوف الاجتماعي الذي يرتكن إليه في مواجهة الجديد النابت، والتغيير المرتجى، فالفعل التكراري خلق له قبولاً عاماً في الذهنية الاجتماعية، وأمسى معهوداً غير مستنكر لديها، ومن ثمّ تتمسك كثير من المجتمعات بالفكر والفعل السائدين، وتتجمد عليهما؛ للحيلولة دون التغيير بالجديد، وتميل هذه المجتمعات إلى دفء المألوف.

وتزداد ضراوة هذه النمطية والجمود كلما استهدفت عملية التغيير الاجتماعي العادات

(٣٦) سورة سبأ/ ٣٤.
(٣٧) سورة هود/ ٣٢.
(٣٨) سورة الأحقاف/ ٢١ - ٢٢.
(٣٩) سورة سبأ/ ٣١.

التكرارية المتصلة بالوشائج القريبة التي تمثل شيئاً من الذات، فالآباء الذين يمثل الأبناء الامتداد النسبي والاجتماعي لهم تستطيل عاداتهم إلى أطواد شاهقة ينافح الأبناء دون اجتثاثها من المجتمع، فيما يخلق (الألفة الآبائية) لما كانوا عليه، والرفض لحركة التغيير التي تستهدف إبداله، وإحلال آخر مكانه.

وتتبدى هذه النمطية في صورتين بارزتين، هما:

ألف- نمطية الفكر (اتباع الفكر السائد):

وفي هذه الصورة يتم اعتناق الفكر المألوف السائد في المجتمع، ورفض الفكر الجديد ومفاهيمه ورؤاه، الأمر الذي حدا بمجتمعات الأنبياء أن تعانق مألوفها الفكري الذي استقرّ في العقلية العامة لها وفي عقلها العام ومخيالها الجمعي، ورفض الفكر الداعي إلى التجديد والتغيير، ولو كان آتياً من الله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾[٤٠]، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾[٤١].

وبهذا تكون السلطة المعرفية والقيمية الراكزة في المجتمع ولدى الآباء هي المرجعية التي يتم الاحتكام لها لتقييم الجديد والحكم عليه: قبولاً أو رفضاً، وحيث إنّه جديد مخالف للنسق المألوف، فسيكون نصيبه الرفض، لا لشيء إلا لأنّه مختلف عن الفكر المرجعي.

بينما تسعى روح الرسالات السماوية إلى الاحتكام إلى الحقّ واتباعه ولو خالف المألوف الاجتماعي والأبوي (سلطة المجتمع والآباء): ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٤٢]، ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[٤٣].

بـــاء- نمطية الفعل (اتباع الفعل السائد):

وهنا يتم اعتناق الفعل المألوف السائد، ويتم تبني السلوك العملي المعهود في المجتمع.

وفي المشهد التاريخي كانت هذه النمطية في الفعل سلوكاً راسخاً في مجتمعات الأنبياء واجهت به مساعيهم التغييرية: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إلا قَالَ

(٤٠) سورة البقرة/ ١٧٠.
(٤١) سورة المائدة/ ١٠٤.
(٤٢) سورة القصص/ ٤٩.
(٤٣) سورة الزمر/ ١٧ - ١٨.

مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ * فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(٤٤)، ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾(٤٥).

وحين جاء النبي إبراهيم (عليه السلام) بالحجج والبراهين الدامغة على بطلان عبادة الأصنام، لم يكن لسان الرد لديهم قادراً على المواجهة البرهانية، فكان المبرر المحرّك للرفض لديهم هو العكوف على الفعل الأبوي وتقديسه، وتقديمه على الحجة والبرهان والمنطق العلمي: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لأبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إلا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾(٤٦).

وتصل درجة الاقتناع بالفعل المألوف إلى حدّ إلصاق تهمة الكذب بمن يعارضه؛ لأنّ تجذر الفعل في السلوك الاجتماعي أعطاه صفة الصدق والتقديس التي تنظر إليه بوصفه ثابتاً لا يمكن مناقشته، فضلاً عن استبداله: ﴿ قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾(٤٧).

يقول السيّد محمد الشيرازي: «التغيير قد يوجب تحطيم امتياز أصحاب الامتيازات؛ لذا يخاف الراكدون من إجازة الجديد؛ لأنّه يفتح الباب على جديد آخر مما يؤدي إلى تحطيم المجتمع -حسب زعمهم-، فيقف الإنسان أمام التجديد أحياناً خوفاً من تحطم ما اعتاده»(٤٨).

٣- رهن التغيير بمثالية المخلص:

تتبنى الحكمة الإلهية انتماء عملية التغيير الاجتماعي إلى البشر، وانطلاقها من البشر، بدلاً من إشادة أركانها على عناصر غيبية أو قيام عناصر فوق بشرية بها (كالملائكة)، وهذا لا يعني القطيعة بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وعدم تعاضده معه، وتقديمه الخدمات والضمانات له، لكنّه -ضمن الحكمة الإلهية- ليس بديلاً عنه، وإنّما هو داعم ومساند.

غير أنّ بعضاً من المجتمعات تقف في وجه هذا الشرط الموضوعي في السنة الإلهية الاجتماعية، وتتطلب انتماء عملية التغيير الاجتماعي إلى الخارق الإنساني، أو إلى الخارق

(٤٤) سورة الزخرف/ ٢٣ - ٢٥.
(٤٥) سورة الزخرف/ ٢٢.
(٤٦) سورة الشعراء/ ٦٩ - ٧٧.
(٤٧) سورة الأعراف/ ٧٠.
(٤٨) السيّد محمد الشيرازي، الفقه الاجتماع/ ٤١٥.

فوق الإنساني، وعدم قبول قيام البشر العاديين بها.

ومن ثمّ يرهن هؤلاء عملية التغيير الاجتماعية المقبولة لديهم بالمغيّر المثالي، لا المغيّر العادي، ويجعلون ذاك شرطاً أساسيًّا في قبول عملية التغيير.

ومن شروط المخلص المثالي التي أبدتها بعض المجتمعات:

ألف- الوفرة المالية:

فالمغيّر لابدّ أن يكون ذا مال وفير، ويسجد بريق الذهب والفضة تحت أقدامه، ولا يصح أن يكون المغيّر الاجتماعي ممن يرتدي الفقر جلباباً: ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾(٤٩).

وفي هذه الآية يتعانق في المنطق الفرعوني شرطان للمغيّر المثالي هما: الوفرة المالية، وإسهام ما فوق البشري (الملائكة) معه في العملية التغييرية!!

وكم تاق بنو إسرائيل في الشتات إلى إلقاء عبئه عن كاهلهم، وطلبوا من أحد أنبيائهم أن يختار لهم ملكاً يقاتلون بين يديه، لكنّهم حين وجدوا ذلك الملك المصطفى فقيراً ماليًّا، تضاءلت كلّ مميزاته القيادية كالعلم والقوة البدنية في أعينهم، وشعّ فيها وهج المال وبريق النضار: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٥٠).

بـــاء- القدرة البيانية:

والقدرة البيانية لدى المغيّر لابدّ أن تكون خارقة، فهو يحتاج إلى الكلام الدبلوماسي الآخذ بمجامع القلوب لتأييده، والحذر من خلق الخصوم، وفوق ذلك يحتاج إلى الكلام السحري الذي يستبي قلب سامعه، ويشلّ إرادة الممانعة عنده، فلا يجد في نفسه إلا الإذعان والتسليم والانقياد: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ ﴾.

---

(٤٩) سورة الزخرف/ ٥١ - ٥٣.

(٥٠) سورة البقرة/ ٢٤٦ - ٢٤٧.

جيم- الجاه والمكانة:

وإذا انتمى المال إلى شرط مادي مطلوب لدى هؤلاء في المغيّر الاجتماعي، فهناك شرط آخر معنوي مطلوب إلى جانبه، هو الوجاهة والمكانة الاجتماعية المرموقة، وحين اختار الله نبيّه محمداً ﷺ من وسط الفقراء والرعاة لحمل أمانة الرسالة، وأنزل عليه خاتمة كتبه المقدسة، ولم يختره من بين أغنياء العرب ووجهائهم، زمجر عند الجاهليين دوي هائل، وطفقوا يتساءلون: لماذا اختاره الله من بين الناس العاديين ولم يختره من بين عظماء مكة أو الطائف؟!، ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيم﴾[٥١].

وينقل الإمام علي الهادي عليه السلام أنّ أبا جهل طلب من عبد الله بن أبي أمية المخزومي أن يجادل النبي محمداً ﷺ، فأتى إليه، وقال له: ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيم﴾، فأجابه النبي ﷺ: «وأما قولك: ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾: الوليد بن المغيرة بمكة، أو عروة بن مسعود بالطائف، فإنّ الله -تعالى- ليس يستعظم مال الدنيا كما تستعظمه أنت، ولا خطر له عنده كما كان له عندك، بل لو كانت الدنيا عنده تعدل جناح بعوضة لما سقى كافراً به مخالفاً له شربة ماء، وليس قسمة رحمة الله إليك، بل الله القاسم للرحمة، والفاعل لما يشاء في عبيده وإمائه، وليس هو -عزّ وجلّ- ممن يخاف أحداً كما تخافه لماله أو لحاله؛ فتعرفه بالنبوة لذلك، ولا ممن يطمع في أحد في ماله وحاله كما تطمع؛ فتخصّه بالنبوة لذلك، ولا ممن يحبّ أحداً محبة الهوى كما تحبّ؛ فتقدّم من لا يستحق التقديم، وإنّما معاملته بالعدل، فلا يؤثر بأفضل مراتب الدين وخلاله إلا الأفضل في طاعته، والآخذ في خدمته، وكذلك لا يؤخر في مراتب الدين وخلاله إلا أشدهم تباطؤاً عن طاعته، وإذا كان هذا صفته لم ينظر إلى مال ولا إلى حال، بل هذا المال والحال من فضله، وليس لأحد من عباده عليه ضربة لازب»[٥٢].

دال- القدرات الخارقة:

كثيراً ما رُهنت عملية التغيير لدى المجتمعات بالقدرات الخارقة لدى المغيّر (شخص استثنائي)، والقدرة على حشد المعجزات وتكديسها، وخرق عالم الأسباب الظاهرية، ورفض التغيير إن كان خلفه بشر غير خارق.

إنّهم باختصار يطلبون شخصاً أسطوريًّا قادماً من عالم الأسطرة والميثة، شخصاً أشبه بأبناء (زيوس) في لسان الأساطير اليونانية عن آلهة الأولمب، لا شخصاً معجوناً

(٥١) سورة الزخرف/ ٣١.

(٥٢) السيّد هاشم البحراني(ت ١١٠٧هـ/ ١٦٩٦م). البرهان في تفسير القرآن. تقديم: الشيخ محمد مهدي الآصفي. تحق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة. ط١. بيروت/ لبنان: مؤسسة البعثة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ٨/ ٥٥٤.

من لحم ودم!!

ومن هذا المنطلق قال قوم النبي صالح عليه السلام له: ﴿ مَا أَنتَ إلا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾(٥٣).

وأسرف مجتمع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المبالغات والشروط التعجيزية في المخلص المثالي وقدراته الخارقة: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾(٥٤).

ولقد أبلغ الله الناس أنّ الرسل لا يملكون بأيديهم صنع المعجزات، وإنّما ذاك مدد إلهي؛ لإنجاح الرسالة وإثبات صدق مدعيها، وليست للفرجة حتى تأتي (حسب الطلب)، ومتى ما أُريدت: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾(٥٥).

هاء- ليس من دائرة البشر:

ووصلت درجات السلم المبالغ أقصاها حين تجاوزا عتبة البشري الأسطوري الخارق إلى المطالبة بالمغيّر المنتمي لدائرة غير البشر، وطالبوا أن توكل عملية التغيير الاجتماعي البشري إلى ملائكة، وكأنّ البشرية -أساساً- شرط كافٍ لرفض التغيير، والإيمان بعدم قدرتها على التغيير والحراك الذي يتطلبه؛ لما تحمله البشرية من سمات المحدودية والعجز: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولاً * قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً ﴾(٥٦).

وتعجب قوم نوح عليه السلام من مغيّر اجتماعي ينتمي إلى دائرتهم البشرية ويأكل ويشرب -كما يفعل سائر الناس-:

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ * وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاء الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إلا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾(٥٧).

---

(٥٣) سورة الشعراء/ ١٥٤.
(٥٤) سورة الإسراء/ ٩٠ـ ٩٣.
(٥٥) سورة الرعد/ ٣٨.
(٥٦) سورة الإسراء/ ٩٤ - ٩٥.
(٥٧) سورة المؤمنون/ ٣١ - ٣٤.

وأعيد إنتاج وتدوير الفكرة نفسها في زمان النبي شعيب (عليه السلام)، فقال له قومه: ﴿ وَمَا أَنتَ إلا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[٥٨].

يحصل هذا مع أنّ الأنبياء -من الناحية النظرية والمعرفية- أخبروا مجتمعاتهم أنّ النبي -أيّ نبي- يحمل في داخله جنبتين: جنبة بشرية مثلهم، وجنبة اتصال بالوحي تميّزه عنهم، وأنّ الاستثناء إنّما جاء بالاستمداد من نمير السماء، لا من ناحية التركيب البشري، إلا أنّ ذلك لم يخفف من غلواء المبالغات الاجتماعية المجنحة التي لا تكتفي باشتراط العمل الخارق (المعجزة)، بل تتطلب العامل الخارق أيضاً: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَعلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[٥٩].

وأعلم الله الجميع أنّ الرسل -كغيرهم من الناس- يتزوجون، ويشكلون أسراً وذرية: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾[٦٠]، وأنّهم يموتون كغيرهم ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[٦١]، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾[٦٢].

وقد أمر الله نبيّه محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يوضح لقومه حقيقة كونه بشراً مثلهم، وأنّ ما يميّزه عليهم هو الوحي الإلهي: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾[٦٣]، ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾[٦٤].

ويحصل -كذلك- مع أنّ الله -من الناحية التطبيقية والعملية- جعل جميع أنبيائه ورسله للبشر من دائرة البشر، وتسري عليهم طبيعة البشر العامة: ﴿ وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ ﴾[٦٥].

ويحصل -أيضاً- مع أنّ الله أخبر الناس بالسُّنة العامة لديه، وهي أنّه يختار الرسل من جنس المرسل إليهم؛ ليكون أسهل في التواصل، وأتمّ في الحجة: فيبعث للبشر رسلاً من أبناء جلدتهم: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ ﴾[٦٦]، و﴿ لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً ﴾.

---

(٥٨) سورة الشعراء/ ١٨٦.
(٥٩) سورة إبراهيم/ ١١.
(٦٠) سورة الرعد/ ٣٨.
(٦١) سورة الزمر/ ٣٠.
(٦٢) سورة الأنبياء/ ٣٤.
(٦٣) سورة الكهف/ ١١٠.
(٦٤) سورة الجمعة/ ٢.
(٦٥) سورة الفرقان/ ٢٠.
(٦٦) سورة الروم/ ٤٧.

٤- طاعة القيادات الضالة:

من العوامل القوية التي تقف عائقاً في وجه التغيير الاجتماعي الرموز الاجتماعية الراسخة في المجتمع، والقيادات التي تتولى تحريك عجلته؛ لأنّهم يعتقدون أنّ عملية التغيير الاجتماعي كما تستهدف تغيير المجتمع فإنّها تستهدف تغيير الأدوار والمواقع الاجتماعية، وذاك يؤدي إلى الإطاحة بهم، وخسرانهم مناصبهم ووجاهتهم، كما يرون أنّهم صمام الأمان للمجتمع، الصمام الذي عليه أن يحافظ على سلامة المجتمع وصلابته في وجه رياح التغيير.

وتتواشج تلك المقولات الصادرة ممن يعيش في قمة الهرم الاجتماعي (الرموز، القيادات) مع مقولات أخرى تصدر من النخب الاجتماعية (الملا) تصبّ في ضرورة العكوف على النموذج المجتمعي المتحقق وعدم تغييره، كما تتعانق مع مقولات ثالثة تصدر من قاعدة الهرم الاجتماعي (الناس)، منها ضرورة طاعة الكبراء والرؤساء، وتعطيل عملية الفكر لصالح منتجهم الفكري؛ لأنّهم الأعلم والأدرى والأنضج!!، وبهذا تكون الزوايا الثلاث للمجتمع (الرمز، النخبة، القاعدة) قد تعاضدت لتقف معاً ضد التغيير.

ومن الرموز الاجتماعية التي تقف في سدة الهرم: الحاكم السياسي -كفرعون- الذي وقف ضد عملية التغيير التي قادها النبي موسى عليه السلام، وسوّق لهم أنّه يهديهم سبيل الرشاد: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إلا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾(٦٧).

وظهر دور النخبة الاجتماعية (الملأ) كثيراً في وجه حركة الأنبياء، ومن ذلك: ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ ﴾(٦٨)، ﴿ وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾(٦٩).

وأما القاعدة ففي كثير من صورها تمثل التابع الساذج المطيع دون وعي:

- ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(٧٠).

- ﴿ إِنَّ اللّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا ﴾(٧١).

- ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا

(٦٧) سورة غافر/ ٢٩.
(٦٨) سورة الأعراف/ ٩٠.
(٦٩) سورة ص/ ٦.
(٧٠) سورة الزخرف/ ٥٤ - ٥٥.
(٧١) سورة الأحزاب/ ٦٤ - ٦٧.

أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٧٢).

وهذا يعني أنّ المثلث الاجتماعي اشترك في مواجهة التغيير، مع فروق في سبب المواجهة: هل هو سبب واع يريد الاحتفاظ بالمصالح (كما يظهر لدى القيادات والنخب)، أم هو سبب غير واع عملت فيه معاول الجهل والتجهيل والتفكير السطحي، وقادته التبعية العمياء، لكنّ الأسباب سواء أكانت واعية أم غير واعية؛ فإنّها تمثل عقبة كأداء في طريق التغيير الاجتماعي.

٥- الخشية من فقدان المواقع:

أشرنا قبل قليل إلى وجود اعتقاد اجتماعي راسخ أنّ عملية التغيير الاجتماعي كما تطال المجتمع، تسعى لخلخلة مكانة الرموز فيه، وتغيير المواقع والوجاهات، وخسران الامتيازات، وبناء ذلك كلّه على قاعدة جديدة تتوافق مع حركة التغيير القادمة.

وقد عمل هذا الشعور والاعتقاد على إذكاء الحرص على المصلحة الخاصة، وتقديم الفكر النفعي والشخصي، ومواجهة قوى التغيير بوصفها قوى تريد (التفضل على المجتمع)، وتسنم مركز القيادة فيه، وإزاحة الأعمدة الراسخة:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ * فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إلا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾(٧٣).

ممن تصدر خشية فقدان المواقع:

وقد فصّل القرآن الكريم الأشخاص والجهات التي تصدر منها هذه الخشية على فقدان الموقع، ومنها:

ألف- الحاكم (الرمز):

فالحاكم السياسي يخاف من عملية التغيير الاجتماعي؛ لأنّه يرى أنّها تستهدف اقتلاعه من كرسيّه، وإجلاس آخر عليه، وسلب الامتيازات المالية والمعنوية منه (السلطة والنفوذ)، ومن طرف آخر يملك الكثير من مقومات المواجهة وإعاقة التغيير، ومنها المال والإعلام والعسكر: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ

(٧٢) سورة سبأ/ ٣١ - ٣٣.
(٧٣) سورة المؤمنون/ ٢٣ - ٢٤.

دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾[٧٤].

بـــاء- الفئة المتنفذة (الملأ):

والفئة المتنفذة في المجتمع تستفيد من بقاء الصورة الاجتماعية التي تحافظ على مكانتها، وتقوم بعملية التنميط الاجتماعي والتصنيف الطبقي لمكونات المجتمع، وتفرزه بين (ملأ أعلى)، و(أراذل أسفلين)، وتقف ضد التحول الاجتماعي الذي يبدل المواقع، وهكذا تندلق المقولة من لسان قوم نوح عليه السلام، ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾[٧٥]، و﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴾[٧٦].

كما تندلق من قوم شعيب الذين ﴿ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾[٧٧].

جيم- الفئة المترفة:

وإلى جانب الفئة المتنفذة (فيما ينتمي إلى جانب السلطة والصلاحيات) هناك فئة المترفين (المنتمية إلى التميّز الاقتصادي والامتيازات)، وهي -أيضاً- تعادي عملية التغيير، وتقف ضدها؛ لأنّها قد تجرّدها من حظوتها المالية التي قد تكون مال الناس والشعب حصلت عليه بالإثرة والسلب والجشع: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾[٧٨].

دال- المجتمع:

والمجتمع نفسه قد يخاف على فقدان شيء من موقعه، فيعتقد أنّ عملية التغيير الاجتماعي قد تأتي بخلخلة أمنية تؤدي إلى ملاحقة أبناء المجتمع إن اعتنقوا قيم التغيير ومقولاته، وقد صدح بهذا أناس في قوم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٧٩].

---

(٧٤) سورة غافر/ ٢٦.
(٧٥) سورة هود/ ٢٧.
(٧٦) سورة الشعراء/ ١١١.
(٧٧) سورة هود/ ٩١.
(٧٨) سورة سبأ/ ٣٤ - ٣٥.
(٧٩) سورة القصص/ ٥٧.

الأمور والمواقع المخشي على فقداها:

وإذا كان ما سبق يمثل الجهات التي تقف ضد عملية التغيير خشية من فقدان المواقع والامتيازات، فإنّ القرآن الكريم سجّل الأمور التي يخشى أولئك عليها، ومنها:

ألف- المال:

فهناك من يقف ضد عملية التغيير الاجتماعي؛ لخوفه أن تجرّده من الأموال التي حصل عليها، أو سرقها من خزينة الأمة، والترف المادي الذي يتقلب في بحبوحته.

وهذا يصدر من الحكام والمحيطين بهم (كالوزراء والأمراء والبطانة)، الذين سرقوا أوفر خيرات المجتمع، ويخافون أن تعيد عملية التغيير الحقّ إلى نصابه: ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾[٨٠].

كما يصدر من المترفين في المجتمع: ﴿ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لأنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾[٨١].

بـــاء- الجاه:

وكما يقلق البعض على المال والحظوة المادية، هناك من يقلق على الجاه والحظوة المعنوية التي سيخسرها حينما يتساوى مع غيره، أو حين يقلّ مكانة عن غيره، ويتقلد المكانة السامية من كان يصنفهم بـ(الدون) و(الأراذل)، ويسمهم بالضعة: ﴿ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾.

وقد جابه فرعون وملؤه نبيّ الله موسى وأخاه هارون، وفسّروا عملية التغيير بأنّها صراع زعامة ووجاهة، ورغبة من موسى وهارون في التزعم، و﴿ قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾[٨٢].

جيم- الدين:

ويخاف البعض من التغيّر الاجتماعي في جانبه العقدي، وانتقال المجتمع إلى عقيدة جديدة مغايرة لعقيدة الأسلاف: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾[٨٣]، ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إلا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إلا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا

(٨٠) سورة يونس/ ٨٨.
(٨١) سورة هود/ ٨٧.
(٨٢) سورة يونس/ ٧٨.
(٨٣) سورة غافر/ ٢٦.

جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إلا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[٨٤].

ولعلّ خوف التبدل العقدي هو الموقع الأكبر الذي يُخشى عليه، ومن ثمّ كان السبب الأكثر حضوراً في الآيات التي تحكي المواجهة بين المجتمعات وأنبيائها -كالآيات السابقة-، وكانت بعض المجتمعات تدخل في مساومات مادية ووجاهية مع المغيّرين فيها لتقدم لهم شيئاً من (المحفزات المادية والمعنوية) في سبيل الكفّ عن التغيير العقدي، كما فعل مجتمع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين عرضوا عليه المال والسلطة والزواج من أجمل فتياتهم في سبيل ترك دعوته التغييرية.

دال- الأرض:

ومن المواقع التي يخشى البعض فقدانها خسران الأرض -كمكون اجتماعي-؛ لأن لا مجتمع من دون أرض يسكنها، وتراب يقيم عليه، ومن ثمّ قال فرعون للنبي موسى عليه السلام: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾[٨٥]، وألب فرعون ملأه، وعبّأهم قائلاً: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[٨٦].

أي أنّ فرعون يريد أن يقول: «إنّنا نعلم أنّ مسألة النبوة والدعوة إلى التوحيد، وإظهار هذه المعجزات تشكل بمجموعها خطة منسقة للانتصار علينا، وبالتالي إخراجنا مع الأقباط من أرض آبائنا وأجدادنا، فليس هدفك الدعوة إلى التوحيد، ولا نجاة وتخليص بني إسرائيل، بل هدفك الوصول إلى الحكم والسيطرة على هذه الأرض وإخراج المعارضين...

إنّ إثارة المشاعر الوطنية وحبّ الوطن في مثل هذه المواضع أمر مدروس بدقة كاملة؛ لأنّ أغلب الناس يحبّون أرضهم ووطنهم كحبّهم أنفسهم وأرواحهم، ولذلك جعلوا هذين الأمرين في مرتبة واحدة كما في بعض آيات القرآن: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾[٨٧]»[٨٨].

٦- سيادة فكر الشلل:

ومن العوائق أمام التغيير الاجتماعي سيادة فكر الشلل في المجتمع.

إنّ المجتمع الذي تسكنه ثقافة الفعل والحيوية (الثقافة الحية)، يصبح مجتمعاً فاعلاً

(٨٤) سورة سبأ/ ٤٣.
(٨٥) سورة طه/ ٥٧.
(٨٦) سورة الأعراف/ ١١٠.
(٨٧) سورة النساء/ ٦٦.
(٨٨) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. ط١. بيروت/ لبنان: مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ١٠/ ٢١ - ٢٢.

ديناميكيًّا، دأبه الحركة والفعل، والمجتمع الذي تخيّم عليه ثقافة السكون (الثقافة الميتة) أو ثقافة الشلل (الثقافة المميتة) لا تبرح تزرّقه بإبر التخدير والموت حتى تشله أو تقضي عليه!!

ومن ثمّ يرى القرآن الكريم أنّ منطلق عملية التغيير الاجتماعي منطلق إنساني، أي أنّها عملية تبدأ من الإنسان، ومن فكر إنساني فاعل، وحراك إنساني فاعل، وما لم تبدأ العملية من التغيير الداخلي المنطلق من الإنسان نفسه، فلن تتم عملية التغيير الخارجي، أي أنّ هناك عملية شرطية طرفها الفعلي الأول هو الإنسان، وطرفها الآخر هو الخارج الغيبي: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[٨٩].

وقد عرض القرآن الكريم لأنواع كثيرة من فكر الشلل والموت التي تعيق التغيير الاجتماعي نحو الأفضل، وتركس رأس المجتمع في مستنقع التخلف، ومنها:

ألف- الفكر النمطي:

تقدم أنّ هناك فكراً نمطيًّا لا يرى إلا الصورة المتحققة والنسق القائم حلًّا وملاذاً، ولا يقبل تغيير السائد والمألوف الاجتماعي؛ إما لقداسة المتحقق، وإما لدنس المتوقع، وهي ما جعلت جان جاك روسو [١٧١٢ - ١٧٧٨م] الناقد للوضع السياسي الفرنسي زمن الحكم الملكي، والداعي لتطويره، وصاحب نظرية (العقد الاجتماعي)؛ يرعبه مجرّد تصور فرنسا من دون ملك، لا لشيء إلا لأنّه ولد وترعرع والحكم الملكي مخيّم هناك!![٩٠].

والفكر النمطي يرى أنّ التغيير ممكن، لكنّه لا يريده، ولا يرحب به، ويقف ضده.

بـاء- الفكر التعجيزي:

تقدم في فقرة (مثالية المخلص) كيف أنّ هناك من يرهن التغيير بمغيّر مثالي معجز: بشري خارق، أو فوق بشري، ومن ثمّ يرى أنّ التغيير ضمن دائرته البشرية العادية غير ممكن، وبالأولى غير واقع، ونفي الإمكان يستلزم نفي الوقوع، وحتى يكون ممكناً ويقع يحتاج إلى مغيّر معجز.

وهنا أصبح مؤشر البوصلة يتذبذب بين طرفين متضادين: فالتغيير غير ممكن من البشر العاديين، لكنّه ممكن من البشر الخارقين، أو من كائنات فوق البشر.

جيم- الفكر الغيبي:

الفكر الغيبي يرى أنّ التغيير ممكن، لكنّه ليس قادماً من عالم البشر، عالم الفعل

(٨٩) سورة الرعد/ ١١.

(٩٠) السيّد الشهيد محمد باقر الصدر، (ت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م). بحوث إسلامية: بحث حول المهدي. ط٤. بيروت/ لبنان: دار الزهراء عليها السلام، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م/ ٨٩.

الإنساني والأسباب والشهود، وإنّما هو قادم من عالم الغيب والفعل الإلهي واللطف الرباني.

ويسعى هذا الفكر إلى تضخيم الأمور، ومتطلبات القيام بالعملية التغييرية؛ لتبرير النكوص، وتسلية الذات:

لقد طالب فرعون نبي الله موسى عليه السلام أن تعينه الملائكة على إنجاح عمليته ورسالته: ﴿ فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾(٩١).

وهذا ما تجلى مع قوم موسى عليه السلام، وحرّضهم على رفض دخول الأرض المقدسة المستلزم للحرب، ودفعهم إلى إيكال ذلك إلى الله وقدرته، فـ﴿ قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾(٩٢).

وهكذا يمنّي بعض الناس نفوسهم أن يُنجح الله عملية التغيير وإزالة الطغاة والظالمين وحكمهم الجائر -مثلاً- بسكتة قلبية تعتصر قلبهم، أو تحطم طائرة يحيل أجسامهم إلى رماد أو دخان تذروه الرياح، أو ضربة ناجزة من جناح جبريل، أو صيحة صاعقة ماحقة من إسرافيل!!

دال- الفكر القدري:

يقرّر القرآن أنّ الإنسان يملك الحرية والاختيار في الفعل: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾(٩٣)، بينما يصرّ فكر الخنوع على غرس الفكر القدري الذي يتيح له قتل تأنيب الضمير الذي لا يفتر يسأله عن سبب التخلف، ويحثه على ضرورة الفعل والحراك، وبذاك يطمس وجدانه الذي لا ينفك عن مساءلته: لماذا لا تتحرّك؟، لماذا لا تفعل؟؛ فالفعل غير ممكن، والله -جلّ جلاله- شاء، ووفق هذا مضى علمه وحكمته ومشيئته!!: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إلا يَخْرُصُونَ ﴾(٩٤)، ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾(٩٥).

فالفكر القدري لا يؤمن بالتغيير الاجتماعي عملاً -حتى لو آمن بقيم التغيير وأفكاره-؛ لأنّه يرى أنّ ذاك التغيير غير ممكن التحقيق على أرض الواقع، وأنّه (ليس في

(٩١) سورة الزخرف/ ٥٣.
(٩٢) سورة المائدة/ ٢٤.
(٩٣) سورة الشمس/ ٧- ١٠.
(٩٤) سورة الزخرف/ ٢٠.
(٩٥) سورة الأنعام/ ١٤٨.

الإمكان أبدع مما كان)[٩٦]، و:

فسيّانَ: التحركُ والسكونُ جرى قلمُ القضاءِ بما يكونُ
ويُرزقُ في غشاوتِهِ الجنينُ جنونٌ منكَ أن تسعى لرزقٍ[٩٧]

ممن تصدر العوائق؟

حين نتساءل: ممن تصدر العوائق التي تقف حجر عثرة في طريق تدفق نهر التغيير الاجتماعي، فإنّنا يمكن أن نقف قرآنيًّا، على العوائق التالية:

- الفرد:

فالإنسان -كفرد- سواء أكان رجلاً أم امرأة قد يقف سدًّا منيعاً دون التغيير الاجتماعي، وقد اشترك النموذج الذكوري والأنوثي حائلين دون بلوغ التغيير كما في سورة المسد: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾[٩٨].

وذات يوم جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي محمد ﷺ، فقرأ النبي عليه شيئاً من القرآن، فتذوق بفطرته اللغوية جماله الأخاذ، واهتزّ لعذوبته، ورقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فألحّ عليه أن يقول في القرآن قولاً يُعلِم قومه أنّه منكر كاره له، فقال الوليد: «ما أقول فيه، فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنّ لقوله لحلاوة، وإنّه ليحطم ما تحته، وإنّه ليعلو ولا يُعلى. قال [أبو جهل]: والله، لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكّر فيه، فلما فكّر قال: هذا سحر يؤثره عن غيره»[٩٩]، فأنزل الله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدتُّ لَهُ

(٩٦) ألف جلال الدين السيوطي كتاباً أسماه (تشييد الأركان في أن ليس في الإمكان أبدع مما كان)، نسب فيه هذه الجملة للشيخ أبي حامد الغزالي، وقد سطر السيوطي كتابه هذا للدفاع عن هذه المقولة، وقال في بدايته: «فقد نُقل عن الإمام حجة الإسلام ولي الله أبي حامد الغزال رضي الله عنه أنّه قال: (ليس في الإمكان أبدع مما كان)»، انظر: تشييد الأركان في أن ليس في الإمكان أبدع مما كان/ ٤٧٤، الملحق بكتاب (إحياء علوم الدين للغزالي)، انظر موقع: الغزالي، الإنترنيت (WWW.Ghazali.Org).

(٩٧) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين. ضبط الشيخ محمد الدالي بلطة. دط. بيروت وصيدا/ لبنان: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ٤/ ٣٦٣. ويُنسب هذان البيتان لأبي الخير الواسطي، ولابن الرومي.

(٩٨) سورة المسد/ ١ - ٥.

(٩٩) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آيّ القرآن (تفسير الطبري). ضبط وتعليق: محمود شاكر. ط١. بيروت/ لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ٢٩/ ١٨٦.

تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إلا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾(١٠٠).

٢- الجماعة (النخبة):

وكما يصدر العائق التغييري من الفرد، يصدر -أيضاً- من الجماعة التي قد تتمثل في دوائر منها:

ألف- النخبة السياسية (الوزراء، المستشارون، الحاشية):

وصدور العائق من النخبة السياسية يترك أثراً بالغاً في إعاقة التغيير لاسيما في المسار السياسي، وأمور الحكم والدولة.

يقول الله تعالى عن الملكة بلقيس وما دار بينها وبين بطانتها السياسية: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * ألا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾(١٠١).

فهذا الملأ السياسي في دولة بلقيس كاد يقود خطى الدولة إلى الحرب بسعيه الحثيث لبيان الجاهزية لخوض معترك الحرب، وإعاقة التغيير النبوي القادم مع نبي الله سليمان عليه السلام، لولا حنكة الحاكم الذي لم يصغ لقرع طبول الحرب، بل.. أصغى لحكمة العقل.

بـاء- النخبة الاجتماعية (الملأ، عليّة القوم):

لقد وقف الملأ على الدوام ضد عملية التغيير الاجتماعي والتغيير النبوي:

- فقال الله تعالى عن قوم النبي نوح عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّه إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾(١٠٢).

- وقال عن قوم النبي صالح عليه السلام: ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ

(١٠٠) سورة المدثر/ ١١ - ٢٥.
(١٠١) سورة النمل/ ٢٩ - ٣٣.
(١٠٢) سورة هود/ ٢٥ - ٢٧.

* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾[١٠٣].

- وقال عن قوم النبي شعيب (عليه السلام): ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ * .... * وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ ﴾[١٠٤].

- وقال عن قوم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إلا اخْتِلاقٌ * أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾[١٠٥].

جيم- النخبة الدينية (أرباب المصالح الدينية، علية الهرم الديني):

وإذا كان الملأ ذوي مصالح سياسية واجتماعية فذاك لا يعني أنّ العائق التغييري لا يصدر إلا عن المصالح السياسية والاجتماعية، فقد يصدر من بعض ذوي المصالح الدينية أيضاً.

فكما يمكن المتاجرة بالسلطة السياسية والوجاهة الاجتماعية يمكن المتاجرة بالقيم الدينية والتكسب على البسطاء من خلالها، الأمر الذي يستفحل حين تجتمع عقلية دينية انتهازية ماكرة، مع عقلية اجتماعية ساذجة، فتبتكر الأولى طرق الخداع، وتتقبل الثانية ذلك بوصفه ديناً يُدان الله به!!

ومن هنا يقول الله تعالى عن الأحبار والرهبان، ودورهم في الصدود الاجتماعي: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[١٠٦].

٣- المجتمع:

والمجتمع -كذلك- يمكن أن يلعب دوراً هامًّا في إعاقة التغيير الاجتماعي؛ بما يقوم به من أمور تعيق الحراك الاجتماعي، ومن ذلك:

(١٠٣) سورة الأعراف/ ٧٥ - ٧٦.
(١٠٤) سورة الأعراف/ ٨٨ - ٩٠.
(١٠٥) سورة ص/ ٤ـ ٨.
(١٠٦) سورة التوبة/ ٣٤.

ألف- التكذيب والرفض:

تبدأ أولى خطوات الإعاقة المجتمعية للتغيير برفض التغيير وقيمه، وقد تجلت هذه الإعاقة في نموذجها التاريخي في تكذيب المغيّرين (كالأنبياء)، يقول الله عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * .... * قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾[١٠٧].

ويقول عن قوم لوط: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾[١٠٨].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[١٠٩].

فهنا يضحي الصدود شخصيًّا..

بـاء- صدّ الناس عن اتباع التغيير وقيمه:

ثم ترتقي وتصل في الخطوة الثانية إلى الوقوف حائلاً بين القيم التغييرية وبين الناس، وتحول دون إيمانهم بها، واعتناقها.

فالكافرون -مثلاً- لا يكتفون بعدم الإيمان، ورفض اعتناق قيم الدين والتغيير، بل.. يصدون الناس عن اعتناقها والإيمان بها، أي أنّهم لا يكتفون بالصدود الشخصي الذي يطالهم كذوات وأفراد، بل يلجؤون إلى الصدّ الاجتماعي الذي يطأ بميسمه رقاب المجتمع: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[١١٠]، ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾[١١١].

جيم- مقاومة المغيّرين ومواجهتهم:

وتصل في الدرجة الثالثة إلى الحظر على المغيّر نفسه، ومواجهته.

ينقل الله -سبحانه وتعالى- تهديد مجتمعات الأنبياء لأنبيائها، واستعمالها (سياسية التلويح بالعصا الغليظة) في وجوههم: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾[١١٢].

---

(١٠٧) سورة الشعراء/ ١٠٥، ١١٦.
(١٠٨) سورة الشعراء/ ١٦٠.
(١٠٩) سورة النساء/ ٦١.
(١١٠) سورة الحج/ ٢٥.
(١١١) سورة هود/ ١٩
(١١٢) سورة إبراهيم/ ١٣.

ويقول عن قوم إبراهيم (عليه السلام): ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إلا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾(١١٣).

ويقول على لسان فرعون مهدداً السحرة بعد إيمانهم: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾(١١٤).

كما ينقل -سبحانه- تنفيذ تلك التهديدات التي تصل إلى حدّ القتل والتصفية: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾(١١٥)، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّه عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(١١٦).

٤- الدولة:

وإذا صدر ذلك المنع والتعويق من الفرد والجهة والمجتمع، فإنّ الدول -وهي تعد نفسها الراعية للمجتمع- قد تقف حائلاً دون التغيير.

قد يبدأ ذلك من رأس أركان الدولة (الحاكم) الذي يخاف على منصبه، ويجيّش ملأه (النخبة) كالوزراء والمتنفذين، وآلته الإعلامية، وقوته وبطشه، ضد المغيّر: ﴿قَالَ كَلا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * .... * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * .... * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * .... * قَالَ لِلْمَلأ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيم * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾(١١٧).

وقد تبدأ المبادرة من الملأ مستغلة قربها من رأس الهرم (الحاكم)؛ لتحرّضه على اتخاذ قرار استئصالي حاسم ضد المغيّرين بذريعة (وأد الفتنة، واجتثاث الفساد)، ومن الإجراءات المراد اتخاذها (الإذلال، النفي، السجن، التمثيل، القتل): ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم

(١١٣) سورة العنكبوت/ ٢٤.
(١١٤) سورة طه/ ٧١.
(١١٥) سورة الأنبياء/ ٦٩.
(١١٦) سورة النساء/ ١٥٥.
(١١٧) سورة الشعراء/ ١٥ - ١٨، ٢٧، ٢٩، ٣٤ - ٣٧، ٥٣ - ٥٦.

بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * .... * قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * .... * وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ * وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾(١١٨).

من المجموعتين السابقتين من الآيات تبرز مجموعة من السبل التي تقوم بها الدولة لمواجهة التغيير، منها:

ألف- المنّ:

فهي تمنّ على أبنائها أنّها ربتهم، وأطعمتهم، ودرّستهم، ووظفتهم، متجاهلة أنّ ذاك إنّما هو بعض خيراتهم التي سرقتها منهم، واستأثرت بها وتقلبت في بذخ نعيمها، وكأنّها تنفق عليهم من خزينتها الشخصية، ومن المال الشخصي الذي اكتسبه الحاكم وذووه عبر اشتغالهم في الأعمال الشاقة وكدح الجبين:

- ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾.

بـاء- التهديد والوعيد:

والدولة وأجهزتها تشرع سلاح التهديد بالإذلال والسجن والنفي والتمثيل والقتل لمن يختلف معها:

- ﴿ لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾.
- ﴿ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.
- ﴿ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾.

جيم- التعبئة الإعلامية:

وهنا تقوم الدولة بالتعبئة الإعلامية، وصبّ آلتها الإعلامية لتشويه سمعة الخصوم، وتصفيتهم معنويًّا (قتل الشخصية)، في سعي منها لمسخ شخصيتهم ودعوتهم، وإقامة

(١١٨) سورة الأعراف/ ١٠٤ - ١٠٥، ١٠٩ - ١١٢، ١٢٠ - ١٢٧.

الحواجز النفسية المانعة من التأثر بهم:

- ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾.
- ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾.
- ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.
- ﴿ إِنَّ هَؤُلاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾.
- ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾.
- ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾.

دال- التعبئة الاجتماعية:

وتقوم الدولة بتعبئة الرأي العام الاجتماعي ضد المغيّرين، عبر استثارة وجدانهم، والإيحاء لهم بأنّهم أمام خطر داهم يستهدفهم:

- ﴿ أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾.
- ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾.

هاء- المواجهة والصدام:

وإذا فشلت الدولة وأجهزة أعلامها وقمعها من التهديد النفسي ومسخ الشخصية؛ تلجأ إلى ممارسة العنف ضد أبنائها عبر تنفيذ السجن، والتنكيل، والقتل (التصفية الجسدية):

- ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[١١٩].
- ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴾[١٢٠].

وهكذا عوقب النبي إبراهيم بالحرق، كما حُرق أصحاب الأخدود، ولبث النبي يوسف في السجن سنين، وتمت تصفية الكثير من الأنبياء والمرسلين □

(١١٩) سورة القصص/ ٤.
(١٢٠) سورة الفجر/ ١٠.

الملامح العامة في التربية والبناء

■■ الشيخ محمد حسن الحبيب*

تمهيد:

قبل الولوج في الرؤية التربوية التي يتبناها المصلحون من أبناء الأمة، والعملية التربوية التي طالما اجتهد المجتهدون فيها لبناء الإنسان (الرسالي أو الرباني)، كنواة لتأسيس أمة مؤمنة بقيم الدين الذي تنتمي إليه وصولاً إلى إعادة بناء الحضارة الإسلامية؛ ينبغي أن نتعرف على الإنسان باعتباره المستهدف من هذه العملية (الإصلاح والبناء)، ومنه وبه وله يتم العمل على تحقيق الأهداف التي طالما بشَّر بها المصلحون من الأنبياء والمرسلين والأئمة والصالحين، وعملوا وضحوا بكل غال ونفيس من أجلها.

ومعرفة الإنسان من خالق الإنسان (الوحي والنص) يبين لنا حقيقة الإنسان بعيداً عن الأقنعة التي يلبسها هذا الإنسان من خلال تأثير الظروف المحيطة؛ لذا يكون مهمًّا الجمع بين الدراسة النصية لما جاء به الوحي والدراسة الميدانية للواقع الذي يعيش فيه الإنسان المستهدف بالإصلاح، والجمع بينهما يخرجنا من ظاهرة التكرار للنصوص أو اجترار الحوادث التي حدثت في لحظة من الزمان الماضي وتعميمها على الحاضر والمستقبل.

لذا فإن الجهد الجامع لفهم النص وفهم الواقع هو الذي يكشف حقيقة الإنسان وواقعه، وبالتالي يُعَبِّد الطريق للوصول بالعملية التربوية إلى مقاصدها.

---

* عالم دين، كاتب وباحث، أستاذ الدراسات العليا في حوزة الإمام القائم العلمية، السعودية.

الإنسان في القرآن الكريم:

ربما يرى البعض أن وصف الإنسان في القرآن الكريم جاء سلبيًّا أو إيجابيًّا، بينما يرى آخرون أن ما جاء في القرآن ما هو إلا بيان لحقيقة الإنسان وواقعه بغض النظر عن السلبية والإيجابية.

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[1].

وروى جميل بن دَرَّاج عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «مَا تَلَذَّذَ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بِلَذَّةٍ أَكْثَرَ لَهُمْ مِنْ لَذَّةِ النِّسَاءِ، وَهُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّساءِ وَالْبَنِينَ ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ. ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَا يَتَلَذَّذُونَ بِشَيْءٍ مِنَ الْجَنَّةِ أَشْهَى عِنْدَهُمْ مِنَ النِّكَاحِ لا طَعَامٍ وَلا شَرَابٍ»[2].

قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: الآية وما يتلوها بمنزلة البيان وشرح حقيقة الحال[3].

فما ورد في هذه الآية والرواية من اتصاف الإنسان بهذه الصفات لا يراد منها القدح أو المدح، وإنما بيان لاتصافه بها، نعم ما يترشح عنه من استخدامات لهذه الصفات يأخذ مسار السلبية من الحرمة والكراهة والقدح، أو الإيجابية من الإباحة والوجوب والاستحباب والمدح.

وهذا لا يعني أن القرآن الكريم بوصفه لواقع حال الإنسان قد أغفل وصف الإنسان كما ينبغي أن يكون، بل على العكس تماماً؛ وما إرسال الرسل وبعث الأنبياء وإنزال الكتب وحث المصلحين إلا للارتقاء به من تلك الحالة إلى حالة أخرى تحمل الخير وتطبقه وتدعو له وتضحي من أجله.

وفيما يأتي عرض لبعض الصفات التي وردت في القرآن الكريم على نحو الإجمال.

١- الإنسان خليفة في الأرض:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٤.

(٢) ثقة الإسلام الكليني، الكافي ج ٥ ص ٣٢١.

(٣) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان ج ٣ ص ٩٩.

(٤) سورة البقرة: آية ٣٠.

الخليفة هنا في هذه الآية «لا تعني أن الإنسان خليفة الله أي نائب الله ووكيله في الأرض»[٥] ولكنها تشير بمدلولها العام إلى معنيين: أحدهما خلافة أبناء آدم لمن سبقوهم. والثاني أنها موقع سام متقدم يحتوي على المكانة والمنزلة التي يريدها الخالق جل اسمه.

وقد تدخلت إرادة الله في أمر الخلافة جعلاً منه سبحانه كما في قوله: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾، وبديهي أن هذا الجعل الإلهي لا يعني الوراثة بل المراد منه هو المعنى الثاني؛ حيث تتجلى في الخليفة الصفات الحميدة والخيِّرة اتصافاً وعملاً وسلوكاً، وصولاً إلى الغاية منها؛ أي إحقاق الحق وشيوعه بين الناس.

ولعل أمر نبي الله داوود عليه السلام -بعد جعله خليفة- بالحكم بالعدل يكشف المراد من الخليفة المجعول من قبله سبحانه.

قال تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾[٦].

بل يمكن القول: إن الدور مطلوب من غيره أيضاً -مع لحاظ الفارق بين المُنَصَّب بالجعل الإلهي كالأنبياء والرسل وأوصيائهم، والممتثل للأوامر العامة كسائر البشر- من باب التأسي والاقتداء والامتثال لما ورد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث على نشر رسالة السماء وتطبيقها بين الناس.

٢- الإنسان حر مريد مختار

الإيمان والكفر وما يتبعهما من عمل صفات تخضع لحرية الإنسان وإرادته واختياره، وهذا يعني أنه مسؤول عن اختياره ومحاسب عليه في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٧].

قال الإمام الشيرازي رحمه الله: «إن الله لم يُلجئ الخلق إلى اعتناق الدين بل جعل فيهم الاختيار والإرادة فإن شاؤوا دانوا وإن لم يشاؤوا لم يدينوا»[٨].

وقال العلامة الطباطبائي رحمه الله في ميزانه: «وفي قوله: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ نفي الدين الإجباري، لما أن الدين -وهو سلسلة من المعارف العلمية التي تتبعها أخرى- عملية

(٥) المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن - طبعة بيروت دار القارئ ج ١ ص ١٧١.

(٦) سورة ص، آية ٢٦.

(٧) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

(٨) الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، تقريب القرآن إلى الأذهان ج ٣ ص ١٤.

يجمعها أنها اعتقادات، والاعتقاد والإيمان من الأمور القلبية التي لا يحكم فيها الإكراه والإجبار، فإن الإكراه إنما يؤثر في الأعمال الظاهرية والأفعال والحركات البدنية المادية، وأما الاعتقاد القلبي فله علل وأسباب أخرى قلبية من سنخ الاعتقاد والإدراك، ومن المحال أن ينتج الجهل علماً أو تولد المقدمات غير العلمية تصديقاً علميًّا»[٩].

والدعوة إلى الإيمان بالله والعمل بشرائعه وأحكامه لا تسلب الحرية والاختيار، بل يمكننا القول: إن الالتزام بهذه الدعوة هو ما يعزز الحرية ويصوب الإرادة والاختيار نحو الاتجاه السليم.

قال السيد المرجع المدرسي دام ظله: إن الله هو لا إله إلا هو وعلى الناس أن يطيعوه ويتخذوه وليًّا من دون الشركاء والطواغيت ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لَا انْفِصامَ لَها وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم﴾ لأنه استعاد حريته وإنسانيته، واستطاع أن يستثمر طاقاته في السبيل الأقوم. وأية قوة هي أقوى من الإنسان حين يكفر بالطاغوت، ويتمرد على كل سلطة تستعبده وتستغله، ثم يؤمن بالله ويعمر قلبه بالثقة والأمل والتواضع للحق والتسليم له؟ إن القوة الحقيقية في هذا الكون هي قوة الحرية (الكفر بالطاغوت) وقوة الحق (الإيمان بالله) والله يؤيد بنصره من يشاء[١٠].

٣- التعقل والتفكر والتعلم ومنافذ المعرفة:

قالوا قديماً: إن الإنسان حيوان ناطق؛ ومرادهم بالناطق هنا (العاقل) أي أنه قادر على أن يعقل أموره ويضبطها من الانفلات.

وبتعبير آخر وإن كان لا يخلوا من مسامحة: إنه يتمتع بالقدرة على التحليل بما لديه من معطيات علمية وعملية بل ونفسية وروحية أيضاً واتخاذ القرار المناسب وفقاً لتلك المعطيات.

والقرآن الكريم ذكر السمع والبصر باعتبارهما وسيلتين هامتين من وسائل المعرفة من دون فرق بين أن تكون المعرفة عن طريق الوحي أو غيره.

قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[١١].

ومن المهم جدًّا الاعتراف بمحدودية السمع والإبصار مما يجعله محتاجاً للإيمان بالغيب المنزل عن طريق الوحي بعيداً عن الخرافات والأساطير. وإن كان الإيمان بالغيب قد يمر بالسمع أو البصر أيضاً.

(٩) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان ج ٢ ص ٣٦٠.
(١٠) المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن ج ١ ص ٤٤٤.
(١١) سورة الإنسان، آية ٢.

قال تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾[١٢].

ومع وجود منافذ المعرفة يأتي الحث على التعلم إلى جانب التأمل والتفكر، مما يعني أن ما يحصل عليه الإنسان من معارف وعلوم ينبغي أن يخضعها الإنسان إلى التحليل فلا يصح بحال أن يبدأ مسيرته في الحياة متلقياً ويستمر كذلك متلقياً إلى أن يخرج من هذه الحياة.

وعليه لا يمكن القبول بالمناهج التلقينية -إلا في المراحل الأولى- أيا كان مصدرها -دولة أو حركة أو مصلحين- لتناقضها مع صفات أساسية في الإنسان كالحرية والإرادة والاختيار والتفكير، مما يعني الدخول تحت سلطة البشر وتأثيرهم بعيداً عن تعاليم السماء والوحي.

ودعوة القرآن الكريم الإنسان إلى التفكر والتعقل ما هي إلا إعمالاً لما يملك من صفات ومؤهلات يتمكن من خلال استخدامها بالشكل الصحيح السير نحو الكمال البشري.

قال تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[١٣].

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[١٤].

ومع التخلي عن التعقل والتفكر يقع الإنسان فريسة للآخرين مسلوب الإرادة مغلول الفكر، لا يتمكن من أن يمارس دوره في الحياة.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آَبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[١٥].

قال السيد المرجع المدرسي دام ظله: «إن في الحياة سلطة حقيقية واحدة متمثلة في سلطان الله وقدره وقضائه وبالتالي سننه الحتمية، وأنظمته التي لا تتحول ولا تتبدل، ومن خضع لهذه السلطة واتصل بها واستمد منها القوة والشرعية استطاع أن يُسَخِّر الحياة ويصبح خليفة عليها من قبل تلك السلطة، ومن كفر بها وتمرد عليها وفتش عن سلطات وهمية واستسلم لها ظل عبداً وتاه في ظلمات لا يبصر... والإنسان الذي لا يخضع لله لا يتمرد على الطاغوت... ومن يستعبده الطاغوت فأول ما يسلبه منه قدرته على التفكير واستقلاله فيه فلا يرى إلا ما يراه الطاغوت ولا يعمل إلا بما يملي عليه، من هنا يفقد عقله الذي وهبه الله للإنسان»[١٦].

---

(١٢) سورة الحاقة، آية ٣٨ - ٣٩.

(١٣) سورة الأنعام، آية ٣٢.

(١٤) سورة آل عمران، آية ١٩١.

(١٥) الزخرف: ٢٣ - ٢٥.

(١٦) المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن ج ١ ص ٤٤٤.

الرؤية التربوية:

تطلق الرؤية على مجموع الأهداف القريبة والبعيدة التي يطمح واضعها والمؤمن بها الوصول إليها مستقبلاً. وبالتالي فهي عبارة عن صورة ذهنية يراد الوصول إليها في المستقبل، وتعتمد على مجموعة من المبادئ والمفاهيم والسياسات متحدة ومترابطة مما يدفع بالعملية التربوية السير نحو الأهداف والتطلعات المحددة.

أما التربية فقد قيل في معناها الكثير، نقتصر على ذكر بعض منها:

١- هي تلك العملية وذاك الجهد الذي يصبح سلوك الإنسان بمقتضاه موافقاً لمراد الله، دون كثير عناء، مما يؤهله للقيام بدور فعَّال داخل بيئته ومجتمعه، وما يحقق له مزيداً من النماء والارتقاء والتطور.

٢- هي تعهد المسلم بالتكوين المنظم بما يرقيه في مراتب التدين تصوراً وممارسةً.

٣- هي الأسلوب الأمثل في التعامل مع الفطرة البشرية توجيهاً مباشراً بالكلمة، وغير مباشر بالقدوة وفق منهج خاص ووسائل خاصة لإحداث تغيير في الإنسان نحو الأحسن.

٤- هي تنمية فكر الإنسان، وتنظيم سلوكه وعواطفه على أساس الدين الإسلامي، وبقصد تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والجماعة.

وهذه التعريفات وإن كانت لا تخلو من مناقشة، خصوصاً إذا ما أُخضعت للموازين المنطقية للتعريف، إلا أنها تعكس جانباً كبيراً منها، خصوصاً إذا ما أُخذ بالحسبان المنطلقات التي ينطلق منها قائلها وأهدافه التي يسعى للوصول إليها.

وعلى أي فالأمر سهل فأيًّا تكن العبائر المهم هو واقع العملية التربوية وصيرورته إلى صياغة شخصية الإنسان بما ينسجم مع الفطرة وتعاليم الوحي. وهذا يعني ضرورة حضور الأهداف التربوية في وعي المربي والعمل على تطبيقها بالطرق الحكيمة.

الملامح العامة في البعد التربوي:

أولاً: التغيير

١- ورد مصطلح (التغيير) كثيراً في خطاب المصلحين وأدبياتهم. وعُدَّ هذا المصطلح مصطلحاً قرآنيًّا. ومرادهم منه هو: استبدال حال أو واقع سيئ بآخر حسن، أو استبدال واقع حسن بأحسن منه.

وربما أخذ هذا اللفظ من الآية ١١ من سورة الرعد، وآية ٥٣ من سورة الأنفال.

قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾(١٧).

قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١٨).

قال العلامة السيد المرجع المدرسي دام ظله: «إن الإنسان هو الذي يصنع واقعه بنفسه، ولا نشك أن للتصرفات والسلوك الإنساني دخلاً في صنع الظروف المؤثرة فيه، فباستطاعتك أن تغيّر نفسك، وإذا غيّرت نفسك فإنك آنئذ تغيّر ما حولك، وهكذا الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية، وما مرت به بالأمس إنما كان بسبب نفسي، فإذاً لا يجب أن نُلقي اللوم على الحكام وحدهم، بل يجب أن نراجع حساباتنا، ونمارس النقد الذاتي الصريح بحق أنفسنا... وهذا هو العلاج الأمثل لذلك قال ربنا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾»(١٩).

وربما فهم البعض خلاف ذلك بلحاظ سياق هذه الآية، وكذلك الآية الأخرى، إذ إن سياق الآيتين جاء في مورد التغيير من الحال الحسن إلى الحال السيئ، دون العكس، ولكن يمكن القول بانعكاس التغير على واقع الإنسان في الحالين بملاحظة تجارب الأمم التي ورد كثير من المرتبط بها في القرآن الكريم.

وما ورد في السنة النبوية المطهرة كقول رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ رَأَى فِي مَنْزِلِهِ شَيْئاً مِنَ الْفُجُورِ فَلَمْ يُغَيِّرْ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى بِطَيْرٍ أَبْيَضَ فَيَظَلُّ بِبَابِهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً، فَيَقُولُ لَهُ كُلَّمَا دَخَلَ وَخَرَجَ: غَيِّرْ غَيِّرْ؛ فَإِنْ غَيَّرَ وَإِلا مَسَحَ بِجَنَاحِهِ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَإِنْ رَأَى حَسَناً لَمْ يَرَهُ حَسَناً وَإِنْ رَأَى قَبِيحاً لَمْ يُنْكِرْهُ»(٢٠).

وقوله ﷺ في أدعية شهر رمضان: «اللَّهُمَّ غَيِّرْ سُوءَ حَالِنَا بِحُسْنِ حَالِكَ»(٢١).

وعليه يمكن لنا إطلاق لفظ التغيير في الحالين؛ من السيئ إلى الحسن والعكس، وفي الحالة الأولى يراد منه الإصلاح؛ وهو: التحول في وضع معين غير ملائم عما كان عليه من قبل.

ودور العملية التربوية في هذا المجال هو التحفيز لإحداث التحول وتعاهد الإنسان للوصول به إلى الوضع الملائم واللائق به وفقاً لإرادة الوحي.

---

(١٧) سورة الرعد، آية ١١.

(١٨) سورة الأنفال، آية ٥٣.

(١٩) المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن ج ٥ ص ٣٠٩.

(٢٠) المحدث النوري، مستدرك الوسائل ج ٨ ص ٢٠٠.

(٢١) المحدث النوري، مستدرك الوسائل ج ١٤ ص ٤٤٧.

٢- يصطدم الإنسان في عملية التحول بجملة من المعوقات التي إذا استسلم لها فإنها تشل إرادته وتفني حياته، وتحوله من قوة فاعلة في المجتمع وطاقة حيوية قادرة على صناعة واقع أفضل إلى أداة تفسد المجتمع وتضر بالناس، وفي أحسن الظروف تحوله إلى محبط مليء بالسلبية والعقد لا يعنيه من أمر الدنيا إلا أنه يحيا ليموت.

والعملية التربوية تبحث في معوقات التغيير والتحول عند الإنسان وتعمل على إزالتها كي يتمكن هذا الإنسان من تفعيل طاقاته وإمكاناته في تثبيت قيم الخير والصلاح في نفسه والمحيط الذي يعيش فيه بل والعالم أيضاً.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢٢].

والإصر في الأصل: الثِّقْل والشَّد[٢٣]، وهنا في هذه الآية هو: الأمور التي تثبطهم وتُقيّدهم عن الخيرات، وعن الوصول إلى الثوابات[٢٤].

قال السيد المرجع المدرسي دام ظله: «الإصر هو الثقل؛ والبشر يعيش في ذاته ثقل المادة، حيث يحنّ إلى ما في الحياة من زينة، وينهار أمام شهوات النساء والثروات والمناصب، ويضغط عليه واقع اليوم دون حقيقة المستقبل، وهكذا يصبح البشر إن لم يقصمه الله جزءاً من الطبيعة، يتحرك حسب عواملها وتغيراتها. ورسالات الله تنقذ الإنسان من أصله وترفع عنه هذا الثقل المادي بتوجيهه إلى العالم الأعلى عالم الروحيات وعالم المستقبل القريب في الدنيا والمستقبل البعيد في الآخرة[٢٥].

والأغلال: جمع غل وهو ما يُقيّد به، فيسلب حريته ويمنعه من ممارسة دوره في الحياة.

وقد يكون ذلك بالقهر والسجن والنار، وقد يكون بسن القوانين التي من شأنها إعاقة حركة الإنسان نحو الفاعلية والتقدم.

وهذه الأغلال لا يتحمل وزرها على الدوام أربابها، بل وفي كثير من الأحيان يكون المقيد بها شريك للمغل وذلك نتيجة لخوار النفس وضعفها أمام الأهواء والشهوات كالمال والجنس والشهرة وحب البقاء والمصالح... وغيرها.

وهنا يأتي دور العملية التربوية في رفع ذلك الإصر وتلك الأغلال، فالرسالة «كما ترفع إصر البشر ترفع الأغلال الآتية من الإصر، مثل الأغلال الاجتماعية التي يفرضها

(٢٢) سورة الأعراف، آية ١٥٧.

(٢٣) لسان العرب ج ٤ ص ٢٢.

(٢٤) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان ج ٨ ص ٢٩٢.

(٢٥) المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن ج ٣ ص ٤٦٣.

النظام السياسي أو الاقتصادي الحاكم على المجتمع، والقوانين المعيقة للتقدم، والكبت والدكتاتورية والإرهاب الفكري الذي يمنع تفجير النشاط وتفتق المواهب[٢٦].

٣- التغيير والإصلاح قد يفهم منه أنه موجه للمجتمع بمعنى إحداث تغيير في حال المجتمع، سياسيًّا أو اقتصاديًّا أو حتى عمرانيًّا. وهذا يمكن أن يتم مع تجاوز الإنسان «الفرد». وهو واقع من حيث الحدوث إلا أنه لا يمكن الركون إليه والوثوق به في عملية الإصلاح. نعم هو سيرة الباحثين عن السلطة والطامحين في التسلط على العباد.

وهذا لا يعني أن المجتمع ينبغي أن يكون بعيداً عن الاستهداف في عملية الإصلاح، وإنما يعني أن إصلاح المجتمع إنما يكون بإصلاح لبناته وترميم مداميكه، وحينها يكون التغيير في المجتمع أمراً صحيحاً وسليماً؛ لأنه يرتكز على بنية متينة وسليمة.

وهنا ينبغي الإشارة إلى أن هذه العملية يجب أن يشترك فيها الجميع بما فيها الحكومات، خصوصاً وأن التحديات التي تطل علينا من كل حدب وصوب في زمن العولمة، تستهدف الجميع وتهدد المجتمع والدولة من أماكن حساسة كالهوية والثقافة بل وحتى السياسة والاقتصاد.

فالإرهاب والطائفية والمخدرات والفساد والانحلال الخلقي والحروب وما تخلفه من أزمات اقتصادية وصحية ونفسية وغيرها كثير؛ تدعونا للتعاون في إحداث تغيير في الإنسان من خلال عملية تربوية تفعل طاقاته لخدمة المجتمع والأمة، بدلاً من أن يُترك لعبث مفخخي العقول بالطائفية البغيضة والحقد الأسود، فينتج منه ما يورث الندم، أو يترك لتجّار المخدرات ومروجي الموت البطيء فيصبح مشلولاً إلا من البحث عن المال -بكافة الوسائل بما فيها السطو والسرقة والقتل- لشراء السم الذي يسير به نحو الهاوية.

لذا ينبغي التفكير الجاد بتحرير محل النزاع كما يقال، والتعاون الجاد فيما سواه، كل بحسب موقعه ودوره وسلطاته.

٤- الإنسان يستقبل الأفكار من وسائل عدة، من أهمها التعليم والمحاكاة والإعلام، وقد يستجيب لها وقد يرفضها، ومع الاستجابة تتحول إلى معتقد ديني أو مذهبي أو اجتماعي أو سياسي أو غير ذلك، وحين تتحول تلك الأفكار إلى معتقد فإن الإنسان سيقدم كل ما في وسعه من أجلها.

من هنا يمكن القول: إن النقطة الأساس التي ينبغي العمل عليها هي معالجة المعتقد لدى الإنسان، والمعالجة ينبغي أن تشمل بعدين أساسيين:

البعد الأول: المعتقدات الخاطئة، فمعالجتها هي المفتاح لتغيير السلوك السلبي إلى سلوك حميد، بل هي السبيل إلى إحداث تحوّل من السلبية إلى الإيجابية، ومن الحقد إلى

(٢٦) المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن ج ٣ ص ٤٦٣.

الحب، ومن الأنانية والانكفاء إلى الإيثار والعمل من أجل المجتمع... وهكذا.

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة، فبالرغم من قصر المدة التي قضاها في مجتمع يوصف بالخشونة والاعتداد والاعتزاز إلا أنه أحدث انقلاباً غير مسبوق في سلوك إنسان ذلك المجتمع. وما ذاك إلا نتيجة لتغيير المعتقد.

البعد الثاني: وسائل التلقي تلعب دوراً أساسيًّا وخصوصاً في زماننا هذا الذي تنوعت فيه مصادر التلقي وأخذ كل واحد من أصحاب المصادر في تقديم ما لديه بأبهى حلة، ونحن هنا لا ندعو إلى إلغاء التعدد مع فرض القدرة على الإلغاء، وإنما ندعو إلى التعاون والتطوير لما هو قائم بين أيدينا كي يتمكن القائمون على العملية التربوية من إحراز تقدم أكبر وانتشار أوسع.

وهذا يعيدنا إلى النقطة التي أثرناها سابقاً، وهي التعاون بين المصلحين ومن يبتغي الإصلاح من حكومات الشعوب.

ثانياً: البناء

١- الانتماء

بالرغم من أن الانتماء من الأمور الغريزية إلا أن توجيهه في الاتجاه السليم يُجنى منه أمرين مهمين:

الأول: ذات الانتماء.

الثاني: ما يترتب على الانتماء من التسليم والقدوة والطاعة.

والمصلحون -بل وغيرهم أيضاً- عادة ما يحتاجون إلى ذلك حتى تنطلق عملية إصلاح الإنسان، ولكن ينبغي الحذر من أن يتحول الانتماء إلى المصلح أو جهة الإصلاح والتسليم والطاعة له أو لهم، والاقتداء به أو بهم إلى هدف يحجزهم عن الوصول إلى الانتماء إلى دين الحق والطاعة لله ولرسوله وولاة الأمر المنصوص عليهم.

ولعل التأكيد المتكرر في القرآن الكريم على بشرية الأنبياء والرسل وأن كل ما لديهم إنما هو من عند الله سبحانه وأن الطاعة والتسليم لا تكون إلا له جل وعلا أو لمن أذن له، يراد منه بيان حقيقة الانتماء وتوجيه لوازمها نحو الخالق جل وعلا.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(٢٧).

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ

(٢٧) سورة الكهف، آية ١١٠.

غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[٢٨].

وهنا ينبغي أن نسجل موقفاً متشدداً من أي محاولة تجعل من العملية التربوية وسيلة لتسويق انتماءات لا يقر بها الدين حتى وإن تجلببت بجلبابه.

نعم الانتماء لأهل الصلاح والمصلحين، وللجماعات المؤمنة أقره الدين وشجعه وحث عليه.

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢٩].

٢- العلم والثقافة والفكر

المنهج السليم في التعليم والتعلم هو الذي يعتني بالاستنتاج ولا يغفل التلقين، فالتلقين يحتاج إليه الإنسان في المراحل المبكرة من عمره أو من عمر تعلمه، كما أن بعض العلوم ذات طابع تلقيني أكثر من كونها استنتاجيه، ولكن التمرين على التحليل والاستنتاج وتطبيق الصغريات على كبرياتها وصولاً إلى النتائج هو الهدف الأسمى من التعليم.

ومع أن العملية التعليمية ليست من اختصاص المصلحين نظراً لتحمل الحكومات وفئات من المجتمع لهذا المجهود، إلا أن إخضاعها للتقويم المستمر هو من صلب اهتمامات المصلحين، مضافا إلى أن التحفيز على امتلاك الثقافة الأصيلة والقدرة على التمييز بين السليم والسقيم منها هو الآخر من صلب مهامهم.

وهذا يعني تقديم الخطوط العريضة أو ما يصطلح عليه بالكبريات إلى وعي الإنسان ومدركاته، وتعليمه طريقة تطبيق الصغريات على تلك الكبريات ليحصل على النتيجة التي قد تكون موقفاً من حدث معين -سياسي، اقتصادي، اجتماعي- أو مسلكاً يجب عليه السير فيه، أو فعلاً عليه القيام به.

وهذا يعني بناء الإنسان المفكر فيمن وفيما حوله، والمسؤول في الأحوال كلها صمتاً ونطقاً وعملاً، وهذا لا يتنافى مع التسليم والطاعة؛ لأن الأخير يعني أولاً وبالذات الأصول العامة التي يفرع منها الإنسان الفروع المبتلاة، وموارد الالتباس والاشتباه التي يضطر فيها المصلح لبيان رأيه وموقفه.

٣- صفات العظماء

العزة والكرامة والسخاء والجود والشجاعة والإقدام والثقة... وغيرها، صفات يتوق إليها الإنسان الحر الأصيل، ويعتز بصحبة من يتصف بأحدها فضلاً عن مجموعها، ويسمو

(٢٨) سورة آل عمران، آية ٣١ - ٣٢.

(٢٩) سورة آل عمران، آية ١٠٤.

إذا اتصف بها.

والقرآن الكريم ركّز على صفات الخير ليسمو بالإنسان من حضيض التبعية والخنوع والذل والمهانه إلى علو المنزلة ورفعة الشأن وعزة النفس وصولاً إلى الخضوع لله وحده، والخوف منه جلت قدرته، والتوكل عليه، والاستعانة به.... الخ.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[٣٠].

قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[٣١].

والعملية التربوية تأخذ في الحسبان تركيز هذه الصفات في نفس الإنسان.

٤- مهارات القيادة

الإنسان الخليفة، والإنسان المسؤول، والإنسان المبلغ لرسالات السماء، والإنسان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والداعي إلى الخير... إلخ. كل ذلك يعني أن يهيئ نفسه للإدارة والقيادة حتى يتمكن من أداء الواجب الملقى على عاتقه.

والإدارة والقيادة من الأمور الكسبية التي كان الأقدمون يكتسبونها بالمحاكاة والتجربة نظراً لبساطة مجتمعاتهم، أما اليوم فينبغي أن تأخذ العملية التربوية مهمة التدريب على مجموع المهارات المتعلقة بالقيادة.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾[٣٢] □

(٣٠) سورة النساء، آية ١٣٩.

(٣١) البقرة، ١٣٣.

(٣٢) سورة الفرقان، آية ٧٤ - ٧٦.

في رحاب التوحيد

السنن الإلهية وحركة العقل البشري

■■ السيد محمود الموسوي*

طالما وجدنا أن البحث العَقَدِيَّ ضمن البحوث العلمية المتعددة في جوانبها، منعزل عن حياة الإنسان وحركة الإنسان في كافة شؤونه، فقد نرى علم الفقه يتناول أحكام عبادات الناس ومعاملاتهم وعقودهم، ونرى علم الأخلاق يبحث سلوك الناس ودوافعهم وطرق تعاملهم وانفعالاتهم مع بعضهم بعضاً، ونرى العلوم الاجتماعية تتصل بهموم الناس وحركتهم ونظم قوانين حياتهم في جوانبها المختلفة، اجتماعاً واقتصاداً وسياسةً، فيستشعر الإنسان أهميةَ هذه العلوم وهذه المعارف، لما يرى من انعكاسات واضحة لها على حياته، إلا أن البحث العَقَدِيَّ في كثير أحيانٍ، نزع إلى المنحى الفلسفي والكلامي البحت، بعيداً عن اتصاله بحياة الإنسان الذي يؤمن بهذه العقيدة أو تلك. كما نرى في مباحث الوجود والماهية والخلاف في أصالتهما، ومباحث العدم والمعدوم وإمكان إعادة المعدوم من عدمه، وما شاكل ذلك.

إننا نرى أن المنهج القرآني في تناول البحث العَقَدِيِّ يتمازج مع حياة الإنسان، إما فيما يشعر به ويقع عليه نظره وما يحيط به من أشياء، وإما فيما يتصل بالعقيدة من أفعال واقعية، ويمكن أن نلاحظ ذلك من خلال، بيان النقاط التالية:

الأولى: أننا نجد حتى السورة التي هي مخصصة للبعد العَقَدِيِّ وهي (التوحيد) تتضمن بُعداً متصلاً بالإنسان، ففعل الأمر (قل هو الله أحد)، يشير إلى بُعد المسؤولية

* عالم دين، باحث من أسرة التحرير، مملكة البحرين.

للإنسان المؤمن تجاه كلمة التوحيد في المجتمع، فتأمره بأن يخرج من أنانياته ويتحمّل مسؤولية تبليغ كلمة التوحيد إلى من لا يؤمن بها، والسور المكية التي نزلت آياتها مؤكدة على العقيدة، قد اختلطت بالآيات المدنية التي تناولت الجانب التنظيمي والقانوني في حياة الناس، بل إن السور والآيات المكية لم تكن آيات متمحضة في العقيدة، كما أن الآيات والسور المدنية لم تخلُ من البعدي العقيدي.

وكما نرى في سورة النور ذات الموضوع الاجتماعي التربوي في العلاقات الاجتماعية والعلاقة بين الجنسين وحدودها وأحكامها، فإن السياق يقودنا إلى التوحيد، في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾[1].

الثانية: أن آيات العقيدة تشير إلى قيم متصلة بالإنسان إما مباشرة أو من خلال أسماء الله الحسنى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾[2].

الثالثة: أن سياق الآيات العام الذي يتحدث عن العقيدة كالإيمان بالله تعالى أو بالرسل واليوم الآخر، يتصل بسياق متعلق بحياة الإنسان، في التربية أو الأخلاق أو المواقف والمسؤوليات، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3].

الرابعة: هنالك ربط بين عقيدة الإنسان بالله تعالى وبالغيب والرسل والآخرة، وسائر العبادات والسلوكيات، كما قال عز وجل: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[4].

الخامسة: يثير القرآن دفائن العقول حول وجود الله والتوحيد عبر الموجودات التي تحيط بالإنسان، والتي تدخل ضمن اهتماماته، وتلامس حاجاته، والتي يقع عليها بصره وحواسه، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ. فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ

(١) النور: ٤٣.
(٢) البقرة: ١٦٣.
(٣) البقرة:٢١ - ٢٢.
(٤) البقرة: ٣.

وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ. وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ. فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾(٦).

التوحيد وارتباطه بواقع الإنسان

مما ذكرنا يتكشّف لنا أن منهجية القرآن الكريم هي منهجية تمازج بين العقيدة وعلى رأسها الإيمان بالله وتوحيده، وبين حياة الإنسان وحركته ومسؤولياته، وذلك لأن الإيمان بالله وتوحيده هي أشرف معرفة، وأولى المعارف التي تُبنى على أساسها سائر معارف الإنسان، وكما قال أحد الباحثين: «إن حديث العقيدة -في القرآن- ليس درساً يُعطى ثم يُمضى عنه إلى غيره! إنما هو درس يُعطى على الدوام ثم يُمضى معه إلى غيره! بحيث لا ينقطع الحديث عنه في يوم من الأيام!»(٧).

وهنا ننقل بعض الروايات التي تدلّ على أهمية المعارف الإلهية العَقَدِيَّة، وبالأخص التوحيد:

«فعن محمد بن سماعة، قال: سأل بعض أصحابنا الصادق عليه السلام فقال له: أخبرني أي الأعمال أفضل؟ قال: توحيدك لربّك، قال: فما أعظم الذنوب؟ قال: تشبيهك لخالقك»(٨).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة»(٩).

وعن فقه الرضا عليه السلام: «إن أول ما افترض الله على عباده وأوجب على خلقه معرفة الوحدانية، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾، يقول: ما عرفوا الله حق معرفته»(١٠).

ولذلك فإننا نشير إلى أبعاد عامة في اتصال معرفة الله وتوحيده بحياة الإنسان:

---

(٥) الأنعام: ٩٥ - ٩٩.

(٦) الغاشية: ١٧ - ٢١.

(٧) دراسات قرآنية، محمد قطب، ص ٢٢

(٨) تنبيهات حول المبدأ والمعاد، آية الله الميرزا حسن علي الميرواريد، ص٤٠، نقلاً عن البحار ٣: ٢٨٧، عن امالي الشيخ.

(٩) المصدر، نقلاً عن البحار ٣: ١٤ عن جامع الأخبار.

(١٠) المصدر، عن فقه الرضا عليه السلام ٦٥، وعنه البحار ٣: ١٣

معرفة الله منقذة من الخطأ:

«من الأخطار الحقيقية التي تواجه الإنسان هي الوقوع في الخطأ خلال مسيرته الحياتية، والأخطاء لا شك هي مسألة نسبية، فقد يكون فعل ما، بالنسبة إليك خطأ، ولا يكون كذلك للآخرين، من جهة الاعتبار، وهذا الاختلاف في الاعتبار راجع إلى البعد الإيماني للإنسان، أي أنه راجع إلى الإجابة عن هذا التساؤل: من يحدد الخطأ من الصواب؟

فالنظرة الواقعية هي التي تقول: إن من يحدّد الخطأ من الصواب هو خالق الإنسان لأنه الأعرف بخلقه من أنفسهم، وهذا الإيمان يقوى إذا عرفنا محدودية معرفة الإنسان بنفسه، وتطوّر معرفته من الجهل إلى العلم، فهذا دليل على أن الإنسان لا يتمكّن من تحديد المصلحة الحقيقية في كل شيء، فلا بد أن يستعين بالخالق العالم، ليطبّق ما هو خير له، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[11].

وقال عز وجل: ﴿ أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[12].

والأخطاء يعبر عنها في المصطلح الإسلامي بالمعاصي، أي أن الله تعالى حدّد مجموعة من الأخطاء هي نواهٍ لابد ألّا يقربها الإنسان المؤمن، فمن هنا تكون معرفة الله ذات فائدة أساسية، فمن يعرف الله حق معرفته، فإنه يتقي الله ويتجنّب الوقوع في مهاوي المعاصي، سواء من الذنوب النفسية الشخصية، أو من الانحرافات الاجتماعية، فيراقب نفسه في السر والعلن، ولا يرتكب الذنب ولا يتعدّى حدود الله التي تجسّدت في أحكامه.

ففي «علل الفضل عن الرضا (عليه السلام): فإن قال قائل: لِمَ أمر الله الخلق بالإقرار بالله وبرسله وحججه، وبما جاء من عند الله عز وجل؟

قيل لِعللٍ كثيرة، منها أن من لم يُقرّ بالله عز وجلّ لم يجتنب معاصيه، ولم ينته عن ارتكاب الكبائر، ولم يراقب أحداً فيما يشتهي ويستلذّ من الفساد والظلم..

ومنها: أنّا وجدنا الخلق قد يفسِدون بأمور باطنية مستورة عن الخلق، فلولا الإقرار بالله عز وجلّ وخشيته بالغيب، لم يكن أحد إذا خلا بشهوته وإرادته يراقب أحداً في ترك شهوته..»[13].

و«لا ريب أن هذا الوازع النفسي يتمثل في معرفة الله -سبحانه وتعالى- والإحاطة بعظيم صفاته وأسمائه، ومنها أنه -سبحانه- سميع عليم، يسمع ويرى، وحسّ المسؤولية إنما يظهر ويترسّخ في وجدان الإنسان وضميره كلما ازداد معرفة بالله -جل جلاله- بحيث

(١١) البقرة: ٢١٦.

(١٢) البقرة: ٢٢١.

(١٣) ميزان الحكمة، الريشهري ج٦، ص ١٥٤.

يعيش الشعور برقابة الله سبحانه عليه، في كل حركة وسكنة تصدر منه، فهو معه في كل مكان، وفي كل لحظة وأوان. والرقابة الإلهية هي التي تجعل الإنسان يتزن، ويستقيم في حياته، فتخلق فيه روح التقوى»[١٤].

معرفة الله وحفظ التوازن

ومن الحقائق المهمّة التي تجعل معرفة الله تعالى تؤثّر في حياة الإنسان بإيجابية وتدفعه نحو النجاح الدنيوي والفلاح الأخروي، هي أن النفس تأنس بهذه المعرفة وتتغذّى بفيوضاتها وألطافها التي تسبغها على النفس البشرية، فتشعر النفس بالرضا، فتمتنع عن التعدّي على ما متّع الله به الآخرين، من هنا تكون معرفة الله عز وجلّ وسيلة لحفظ التوازن في الشخصية في بعدها النفسي وبعدها الاجتماعي، كذلك هي غاية يسعى الإنسان إليها، لما فيها من قرب من الله، وأنس بلذيذ مناجاته، وهي ملجأ وركن لكل ضعيف ومحتاج.

فعن الإمام الرضا (عليه السلام): «لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عزّ وجلّ ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمهما وكانت دنياهم أقلّ عندهم مما يطؤونه بأرجلهم، ولنعموا بمعرفة الله جل وعزّ، وتلذّذوا بها تلذّذ مَنْ لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله.

إن معرفة الله عزّ وجلّ آنس من كل وحشة، وصاحب من كل وحدة، ونور من كلّ ظلمة، وقوّة من كل ضعف، وشفاء من كل سقم»[١٥].

فما عند الله أفضل مما عند الآخرين، ولذلك فإن النظر إلى ما عند الآخرين، ومدّ العين إلى ما أعطاهم الله تعالى، تعتبر مشكلة حقيقية تواجه الإنسان، لأنه يسعى دائماً لمقارنة نفسه بما لديهم، بل ويسعى لامتلاك ما لديهم أو لامتلاك مثل ما يمتلكون، وهذه الحالة تجعل الإنسان مضطرباً لا يرضيه شيء، وقد يرتكب الأخطاء ويتعدى الحدود لتغذية هذه الرغبة الجامحة، وإن التغلّب على هذه المشكلة سيضع النفس على مرسى صلب من الرضا، وسبيلها للوصول إلى ذلك هو الرضا بما عند الله، ويكون ذلك عبر معرفته حق معرفته، كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[١٦].

معرفة الله مفتاح للأولياء:

بمعرفة الله يكون الله تعالى وليّ الإنسان، ومن يكون الله وليّه فإنه تعالى يحقّق على

(١٤) التوحيد يتجلّى في الحياة، آية الله السيد محمد تقي المدرسي، ص٥٦.
(١٥) ميزان الحكمة، الريشهري. ج٦، ص١٥٥.
(١٦) طه: ١٣١.

يديه الخير، ويُجري على لسانه الدعاء المستجاب، فيخترق حجب الشهوات وتراكمات المادّة، بنور المعرفة، فيكون من عباد الله المخلصين الذين يقولون للشيء كن فيكون.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «الله ولي من عرفه وعدوّ من تكلّفه»[١٧].

ويقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «لو عرفتم الله حق معرفته، لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال»[١٨].

فمعرفة الله هي غاية ووسيلة في آن واحد، فهي وسيلة لإصلاح الإنسان وضمان عدم انحرافه، و هي غاية يسعى إليها المؤمنون ليستغنوا بها عما سواها من زخرف الحياة الدنيا».

«وهذه الصفات هي المعبرة عن المعرفة بالله تعالى، كقاعدة وأساس يبني عليها الإنسان سائر جوانب حياته، فترتسم حركته في الحياة وتتحدّد مساراته.. فإذا عرف الإنسان ربّه حقّ معرفته كما وصف بها نفسه، وكما عرّف بها أولياءه، فسيكون من العرفاء الأغنياء بمعرفته والهداة بنورها في سائر مناهجه.. خلافاً لمن تكلّف معرفة الله من تصورات البشر، وأقوالهم التي جانبت الحقائق وتوغّلت في التيه، فسبحان الله وتعالى عمّا يصفون.

ومعرفة الله من الأمور اللازم على الإنسان أن يوليها اهتماماً في مساحة معقولاته وثقافته، لأنها داخلة في تحديد نوع الإيمان، فقد جاء في رواية «إن أفضل الفرائض وأوجبها على الإنسان معرفة الربّ والإقرار له بالربوبية). وفي صدر تلك الرواية: ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنة أو ثمانون سنة يعيش في ملك الله ويأكل من نعمه ثم لا يعرف الله حق معرفته»[١٩].

التوحيد والقرب الإلهي:

كما أن التوحيد هو بوابة دخول الإنسان إلى حصن الله تعالى، والتنعم بجنته، ونيل رضوانه، كما أن الشرك هو الذنب الذي لا يُغفر؛ فإن التوحيد الخالص هو المُنجي يوم لا ينفع مال ولا بنون في يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾[٢٠].

وقال عز من قائل: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنَّ

(١٧) الكافي، الكليني ج١٠، ص ٢٨.
(١٨) ميزان الحكمة، ج١٠/١٨٨٩.
(١٩) تنبيهات حول المبدأ والمعاد، آية الله الميرزا علي حسن ميرواريد، ص ٤٠ نقلاً عن البحار.
(٢٠) النساء: ١١٦.

الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٢١].

و«إذا كان يوم القيامة، أمر الله بأقوامٍ ساءت أعمالهم -في دار الدنيا- إلى النار، فيقولون: ربنا! كيف تُدخلنا النار، وقد كنّا نُوحدك في دار الدنيا؟.. إلى أن قال: فيقول الله: ملائكتي! وعزّتي وجلالي، ما خلقتُ خلقاً أحبّ إليّ من المقربين بتوحيدي، وأن لا إله غيري، وحقٌّ عليّ ألّا أُصلي بالنار أهل توحيدي»[٢٢].

وفي الحديث القدسي عن الله أنه تعالى قال: «إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن أقرّ بالتوحيد دخل حصني، ومن دخل حصني أمِن من عذابي»[٢٣].

نظام السنن الإلهية في حركة العقل

المعرفة بالنسبة للإنسان هي حركة عقله باتجاه العلم وباتجاه الحقائق، فكلما كشف بنور العقل الحقائق عرفها وأدركها، وصارت في حيز علمه، فارتباط التوحيد بحياة الإنسان يتمركز في حركة العقل البشري باتجاه حقائق الحياة المختلفة، لتشكل له علماً ورؤيةً تبني مساره السليم في الحياة، ويمكننا أن نكتشف نظاماً دقيقاً استخدمه القرآن الكريمة في هذه الحركة العقلية للبشر باتجاه التوحيد، من خلال نظام السنن الإلهية.

وقبل أن نُبيّن هذا النظام القرآني، وهو كيفية حركة العقل البشري عبر السنن الإلهية وعلاقة التوحيد بها، نسلّط الضوء على ماهية السنّة بشكل إجمالي:

السنّن لغة:

«السنّة: جمعها سنن: السيرة والطريقة، الطبيعة، الشريعة»[٢٤]، «والسنّةُ السيرةُ. قال الهذلي:

فأول راضٍ سُنَّةً مَنْ يَسيرُها فلا تَجْزَعَنْ من سُنَّةٍ أنتَ سِرْتَها»[٢٥]

وقال ابن منظور في لسان العرب: «وسنّ الله سُنّةً أي بيّن طريقاً قويماً. قال الله تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾، نصب سنة الله على إرادة الفعل أي سنّ الله ذلك في الذين نافقوا الأنبياء وأرجفوا بهم أن يُقتلوا أين ثُقفوا أي وُجدوا»[٢٦].

«وسننتها سناً واستننتها: سرتها، وسننت لكم سنة فاتبعوها. وفي الحديث: «من

(٢١) لقمان: ١٣.
(٢٢) كلمة الله، السيد حسن الشيرازي ص ٣٢.
(٢٣) كلمة الله، السيد حسن الشيرازي ص ٣١.
(٢٤) المنجد في اللغة والأعلام، مادة سنّ.
(٢٥) الصحاح في اللغة، للجوهري.
(٢٦) لسان العرب ، ابن منظور ج ٣، ص٢٢٦.

سَنَّ سُنَّةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها، ومن سن سنة سيئة يريد من عملها ليُقتدى به فيها، وكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده قيل: هو الذي سنه»[٢٧].

و«الفرق بين العادة والسنة: أن العادة ما يُديم الإنسان فعله من قبل نفسه، والسنة تكون على مثال سبق»[٢٨].

«أما السنة في الفكر: هي مجموعة القوانين التي يسير وفقها الوجود كله، وتتحرك بمقتضاها الحياة، وتحكم جزئياتها ومفرداتها فلا يشذّ عنها مخلوق وما في الكون ذرة أو حركة إلا ولها قانون وسنة[٢٩].

السنن في القرآن:

إن الخطاب القرآني متنوع ومتعدد في طرائقه التي يوصل من خلالها المعارف للإنسان، فبعضها مثل وقصة، وبعضها أحكام مباشرة، وبعضها سنن، فإن نظام التعليم، وتربية الإنسان، وبناء فكره عبر خارطة السنن، هو أسلوب قرآني فريد، ودقيق جدًّا، وقد ذكرت الروايات هذا القسم في الخطاب القرآني:

«عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نزل القرآن أثلاثاً: ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام»[٣٠].

و«عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن القرآن نزل أربعة أرباع: ربع حلال وربع حرام وربع سنن وأحكام وربع خبر ما كان قبلكم ونباء ما يكون بعدكم وفصل ما بينكم»[٣١].

وذكر القرآن الكريم في آيات عديدة بعض السنن وأشار إليها باللفظ:

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللّهُ لَهُ سُنَّةَ اللّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً ﴾[٣٢].

وقال عز وجل: ﴿ يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٣٣].

وقال سبحانه: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ

(٢٧) لسان العرب ج١٣، ص٢٢٦.
(٢٨) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ص ٣٤٧.
(٢٩) حركة التاريخ في القرآن، عامر الكفيشي، ص٢٢٦، نقلاً عن سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، ص٢٧ ، محمد هيشور.
(٣٠) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢ ص٦٢٨.
(٣١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٦٢٨.
(٣٢) الأحزاب: ٣٨.
(٣٣) النساء: ٢٦.

عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[٣٤].

وهذه السنن هي سنن الله تعالى في خلقه، وما نسبتها في بعض الآيات إلى الأولين أو غيرهم، إلا لتعلقها بهم، ووقوعها عليهم، وليس من جهة أنها منسوبة منشأً لهم، فإن الكون كله قائم على نظام دقيق وسنن ثابتة، فلم يخلق الله الخلق عبثاً، إنما خلقه بالحق، كما قال عز وجل:

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾[٣٥].

وقوله تعالى داعياً إلى التفكير في خلقه الدقيق: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾[٣٦].

ويقول الإمام علي عليه السلام: «فإن الدنيا ماضية بكم على سنن»[٣٧].

المواصفات العامة للسنن الإلهية:

وذكرت الآيات أيضاً بعض المواصفات للسنن الإلهية، وهي على النحو التالي:

١- لا تقبل السنن الإلهية التحويل، كما قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾[٣٨].

«التحويل تصيير الشيء في غير المكان الذي كان فيه»[٣٩]، بحيث تتحول إلى مقصد أو نتيجة مغايرة غير التي وُضعت من أجلها، فنتيجة السُّنَّة نتيجة واحدة لا تتحول عنها إلى غيرها.

٢- لا تقبل التبديل، كما قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً ﴾[٤٠].

«(تبديل) الشيء، تعويضه بغيره كاملاً، بحيث يرفع الأوّل ويوضع الثاني»[٤١]، فالسنن الإلهية، لا يمكن أن تُلغى ويوضع بدلاً عنها سنّة مناقضة لها.

٣- والسنن الإلهية تجري وفق نظام دقيق وقانون مقدّر وموزون من لدن حكيم خبير،

(٣٤) آل عمران: ١٣٧.
(٣٥) الأنعام: ٧٣.
(٣٦) الروم: ٨.
(٣٧) نهج البلاغة، للإمام علي عليه السلام، الخطبة رقم ١٩٠.
(٣٨) الإسراء: ٧٧.
(٣٩) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: محمد بن الحسن ج ٨، ص: ٤٤٠.
(٤٠) الفتح: ٢٣.
(٤١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج ١٤، ص: ١١٦.

قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً ﴾[٤٢].

« فالقدر المقدور هو ما كان على مقدار ما تقدم من غير زيادة ولا نقصان»[٤٣].

٤- من هذه الآية أيضاً نهتدي إلى أن السنن لها غايات وأهداف محددة ودقيقة، فلكل سنّة هدفاً تحققه في الحياة. فالهدف الجامع بينها هو الهداية.

٥- في السنن الإلهية هداية الإنسان وسلامة طريقه، وفيها نور العلم وجودة المعرفة، فهي تحتوي على معارف توصله إلى الحقائق المطلوبة، وتبعده عن المهاوي المضلة، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٤٤].

٦- هي مظاهر هيمنة الله وعلمه وحكمته ورحمته، لأن الله تعالى أجرى سننه بالحق، لتتجلى لنا رحمته وحكمته في الخلق، وفي السنن يتجلى المعنى العميق للتوحيد، من خلال الاعتراف بهيمنته، وبحكمه، وبعدله، ومن خلال الالتزام الفعلي بالقوانين والسنن.

٧- وللسنن الإلهية خاصية الاطِّراد، حيث تجري على اللاحقين كما جرت على السابقين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذه الخاصية نفهمها من عدم تبديلها وعدم تحويلها، وهدفيتها التي جاءت بحكمة الله تعالى للخلق، وهذه الحكمة ليست خاصة بأقوام دون آخرين.

السنن والحتمية، وإشكالية سلب الحرية:

من خلال المواصفات العامة التي تحدث عنها القرآن الكريم للسنن الإلهية، قد يُتصور بأنها مادامت لا تقبل التغيير والتبديل والتحويل، أو الزيادة والنقصان، فهي قوانين حتمية تجري على كافة البشر، فهي بحسب هذا التصور مناقضة لحرية الإنسان في الحياة، وتوحي بالجبر، وتنافي قدرة الإنسان على التغيير، بل وتنفي بُعد المسؤولية التي تترتب على حرية الاختيار.

ولكن هذا الإشكال وهمي، لا أساس له، لأن السنن هي قوانين، تجري على من توافرت فيه الشروط، أي أنها مرتبطة بالاستحقاق سلباً أو إيجاباً، فهي بالتالي خاضعة لإرادة الإنسان في اختياره لمجرى هذه السنة أو تلك، ومن هنا فلا تنتفي المسؤولية.

ويشير السيد المدرسي إلى الفرق بين السنّة والقدر، في هذا الجانب بقوله: « والفرق بين القدَر والسنّة، أن القدَر كطلوع الشمس من مشرقها في وقتها لا يخضع أبداً لإرادة البشر، بينما السنّة كما التمرّد ضد الظلم، وسقوط الطاغوت، قد يتقدم أو يتأخر، أو

(٤٢) الأحزاب: ٣٨.

(٤٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي ج ٨، ص: ٣٤٥.

(٤٤) النساء: ٢٦.

حتى لا يقع إذا أراد الإنسان، فقد لا يقرر الشعب المضطهد الثورة ضد جلاديه، وقد يغير الطاغوت عاداته الظالمة في الوقت المناسب فيمدد في أجله، وهكذا جحود الظالمين وكفر المكذبين بآيات الله ليس قدراً، بل سنّة، فمن الممكن عقلاً أن يدور المرء مائة وثمانين درجة باتجاه الصلاح كما فعل قوم يونس، ولكن لا يقع ذلك عادة بسبب تكبر الفاسقين وتعاليهم عن التوبة إلّا بعد فوات الوقت.

﴿ فَلَوْ لا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها ﴾ أي لماذا لم يُقدّم هؤلاء إيمانهم في الوقت المناسب؟

لماذا لم يتب الطاغوت حين رأى تململاً اجتماعيًّا، بل أخذته العزة بالإثم، حتى أصبح التململ تمرّداً عارماً؟ ولماذا لم يتب الشعب المتوغل في الفساد الخلقي، وفي ظلم بعضهم لبعض، حين رأوا نقصاً في الثمرات، و تدهوراً في الاقتصاد، وفي الصحة العامة، بل استمروا في غيّهم حتى أنهار اقتصادهم وصحتهم تماما؟!

إنّ هذا التحريض القرآني الشديد يدل:

أولاً: على إمكانية تحوّل الفرد والمجتمع تحوّلاً جذريًّا قبل فوات الأوان.

ثانياً: إنه يدلّ على الصعوبة البالغة لهذا التحول»[٤٥]

التوحيد ومسارات السنن الإلهية:

لقد ذكرنا من قبل أن العقل البشري الذي خلقه الله من نور، يستفيد من السنن الإلهية الدقيقة والحكيمة، في تنمية معارفه، فهو يتحرك من خلال السنن ويتقلب في المعرفة عبر نظامها الدقيق، ولقد جاءت العديد من البحوث في هذا الاتجاه، لاكتشاف مضامين السنن وما تقود إليه من معارف تبني حياة الإنسان الطيبة، ليأخذ الإنسان بأسباب التقدّم، فهي تشكل مدخلاً معرفيًّا مهمًّا لرقي الإنسان، وتعطيه مداخل تسخير القوانين والأشياء لتحقيق أهدافه السامية، ويمكن أن يتجنّب من خلالها الوقوع في التخلف والمهاوي، ونحن في هذا البحث، سنعمد إلى تقسيم هذه السنن الإلهية، لنعي الهيمنة الإلهية بحقيقتها، ولنكتشف أن التوحيد كعقيدة، متصلة بحياة الإنسان في كافة تفاصيلها من خلال نظام السنن الإلهية التي استوعبت أرجاء حياة الإنسان بتمامها.

السنن التكوينية تقود إلى التوحيد:

القرآن الكريم لم يجبر الناس على الإيمان بالله الواحد الأحد، ولم يملِ عليهم إيمانهم بالتوحيد، إنما جاء ليخاطب العقل البشري عبر آياته المباركة، ويثير في الناس دفائن

(٤٥) من هدى القرآن، آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي، ج٣ ص٤٣١.

العقول، لكي يكتشف العقل الحقائق الواضحة، فيقوده عقله إلى وجود الله الخالق، وإلى توحيد الله، كما قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾(٤٦).

وقد جاءت السنن التكوينية في القرآن الكريم، لتحقق هذا الغرض، وتوصل الإنسان إلى الدخول في دائرة الإيمان بالله وتوحيده عبر تذكيره بما حوله من سنن في الخلق، وهذه هي مهمة الأنبياء والرسل حيث يذكّرون الناس بآيات الله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ ﴾(٤٧).

والسنن التكوينية هي السنن التي تتحدث عن خلق الله تعالى وتكوينه للأشياء بما فيها من حركة ودقائق ومواصفات، مثل الكون وأجزائه (السماء والشمس والقمر والكواكب والنجوم) وما يتفرع منها كالمطر والسحاب والريح، وغيرها من الأرض وما فيها من مخلوقات، ويشمل ذلك تكوين الإنسان ومكوناته، منذ خلقه الأول، ومروره بعالم الذر والأصلاب والأرحام في ظلمات ثلاث، وحتى خروجه إلى الدنيا، صغيراً..فشاباً... فكهلاً... فشيخاً..

فنظام المخلوقات وسنن تكوينها في الخلق والحركة والنمو والمآل، هو نظام دقيق تثيره آيات القرآن الكريم، من أجل هدف كبير، هو إيصال الإنسان عبر عقله إلى خالقه، لكي يوحده.

كما قال الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٤٨).

ففي الآفاق والأنفس يجد الإنسان آيات الله تعالى عبر نظام دقيق فيؤمن بأن الله تعالى شهيد عليها، فهو يحرك العقل باتجاه المخلوقات في الكون، لينظر تكوين الأشياء في حركتها ونموها وتناسقها، ليخرج بنتيجة واضحة توافق فطرته التي فطره الله عليها بالإيمان بالخالق، ومن خلال ملاحظة التكامل فيما بين المخلوقات مثلاً ينقاد العقل إلى الإيمان بوحدانية الله الذي لا شريك له ولا عديل.

فالشمس والقمر لهما سنن مقدرة: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٤٩).

---

(٤٦) الغاشية: ٢١.

(٤٧) يونس: ٧١.

(٤٨) فصلت: ٥٣.

(٤٩) يونس: ٥.

ويقول تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾[٥٠].

فعند متابعة نظام حركة الشمس والقمر، وتعاقب الليل والنهار، وهطول المطر المتناسق مع منافع الناس، ليحي به الأرض، والأرض بدورها هي مسرح معاش الإنسان والدواب التي يسخرها من أجل حياته، يكتشف الذين يعقلون من خلال هذا النظام المتكامل بين سائر المخلوقات أن خالقها رب واحد لا شريك له، كما يقول تعالى في هذه الآية:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٥١].

التوحيد يقود إلى السنن الاجتماعية:

السنن الاجتماعية هي القوانين العامة التي تحكم حركة الإنسان في الحياة الاجتماعية والعلاقات وفي السياسة والاقتصاد والفكر والتنمية والتاريخ، فمن هذه السنن (الابتلاءات والفرص والنعم وحركة الطغيان والكفر وأحوال الحكم والأخلاق والسلوك والعلاقة بالمال) وتشمل التاريخ والحاضر والمستقبل.. فإن حركة المجتمع في التاريخ عبر سنن ثابتة هي حركة المجتمع في الحاضر ذاتها، وهي حركة المجتمع في المستقبل، لا تقبل التغيير، فعندما تتوافر الشروط ذاتها فإن النتائج عينها لا محالة تتحقق. فإن روح السنن ثابتة، وإنما تساق في القرآن الكريم من خلال الوقائع التاريخية من أجل التذكير بها كقالب تطبيقي حصل فعلاً[٥٢].

والسنن الاجتماعية أهميتها تتركز في معرفة الإنسان لواقعه من أجل تحديد مسار مستقبله على هدى وبصيرة، استفادة من تلك السنن الثابتة التي لا تتحول ولا تتبدل، فعندما يعيها فإنه سيجري مجراها، ويستنّ بمعطياتها.

فمن السنن الاجتماعية سنّة الفشل عند التنازع، كما قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ

(٥٠) النمل: ٦٠.

(٥١) البقرة: ١٦٤.

(٥٢) بعض الباحثين يقسمون السنن تقسيمات مغايرة مثل سنن التاريخ، وسنن الإنسان، وسنن المجتمع، وبرأينا أن كلها سنن اجتماعية تجمع هذه الأقسام، ولعل التقسيمات تختلف أحياناً اعتباريًّا لا حقيقيًّا. فإننا نلاحظ أن روحها واحدة، فبعض السنن تأتي في قالب تاريخي من أجل التعريف بسنن الحاضر بل والمستقبل، سواء كانت مختصة بسلوك الفرد أو المجتمع على نحو متداخل.

فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[٥٣]، فلا يمكن أن تتقدّم أمة يسودها النزاع بين فئاتها وطوائفها.

ومن السنن، سنّة الزوجية في كل شيء، ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٥٤]، فالتكامل والتوالد والنمو بين الكائنات لا يكون إلا بزوجين مختلفين، ولابد أن يتآلفا معاً، ليتحقق الاستقرار.. فالشذوذ والمثلية والتفكك الأسري كلها من عوامل التراجع والهدم.

وهذه السنن وضعت لكي يتعظ بها الذين يريدون التقدّم والعيش في حياة طيِّبة، يقول الله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ. هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[٥٥].

ففي هذه الآية إشارة إلى أن (المتقين) الذين قادتهم السنن التكوينية لمعرفة الله تعالى حقًّا وصدقاً ووحَّدوه حق توحيده، هم الذين يتَّعظون بالسنن الإلهية التي جاءت في القرآن الكريم، وأبرزها السنن الاجتماعية التي جاء في آيات القرآن الكريم الكثير منها، فإن الاستفادة من هذه السنن تحتاج إلى إيمان بأن الله تعالى هو الواحد وهو عز وجلّ وحده المهيمن على نظام الخليقة وبيده تصريف الأمور، لتكون له هدى وبصيره في الحياة.

فـ« من سنن الله في المجتمع أن المؤمنين ينتصرون. فعليهم ألاَّ يَهِنُوا وألاَّ يتسرب إلى نفوسهم الانهزام، أو اليأس والضجر. كما أن عليهم ألاَّ يتألموا لبعض الخسارات، إذ إن ربح الانتصار سوف يغطي على الخسارات البسيطة ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٥٦].

ومن تلك السنن أن العلو والنصر لا يأتي بالصدفة، أو بلا شيء من التضحية، بل لابد من الاستعداد للقرح، ومعرفة أن الأعداء هم بدورهم يستعدون له، فلماذا التهرب منه ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[٥٧][٥٨].

ويمكن أن نأخذ مثلاً تطبيقاً لحركة العقل البشري من ملاحظة السنن التكوينية إلى الإيمان بالوحدانية إلى معرفة السنن الاجتماعية، ليقوده اتِّباعها إلى الهدى، نعرض هذه الفكرة ضمن سياق آيات من سورة الأنبياء، في قوله تعالى:

---

(٥٣) الأنفال: ٤٦.
(٥٤) الذاريات: ٤٩.
(٥٥) آل عمران: ١٣٧ - ١٣٨.
(٥٦) آل عمران: ١٣٩.
(٥٧) تفسير من هدى القرآن، آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرّسي، ج١ ص٤٦٤.
(٥٨) آل عمران: ١٤٠.

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا السَّمَآءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ ءَايَاتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ * وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ * وَإِذَا رَءَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ * خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَن ظُهُورِهِمْ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ * وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾[٥٩].

فحركة العقل تفاعلت عبر التالي:

أولاً: رؤية السنن التكوينية وملاحظتها، وهي تكوين السماوات والأرض، وأساسية الماء في الحياة لمختلف الكائنات، وتكامل نظام الأرض مع حاجات الإنسان، لكيلا تميد به، بل والتمهيد للإنسان وجعل السبل فيها لكي يهتدي، وهكذا السماء وعلاقتها حفظاً بسائر المخلوقات. ليؤمن الإنسان عبر إعمال عقله بالسنن التكوينية بأن الله خالقها الواحد الأحد.

ثانياً: بعد معرفة الله وتوحيده، يسوق القرآن عبر تسلسله السياقي سنناً اجتماعية يحتاج التصديق بها إلى الإيمان بالتوحيد، فتتجه حركة العقل نحو هذه السنن، ومن هذه السنن أن الموت حق، وأن هنالك فتناً وابتلاءات لتمحيص الإنسان عبر (الشر) أو (الخير)، وأن الإنسان خلق من عجل، فينبغي ألّا يستعجل الآيات والحقائق، وأن الكافرين هم أهل النار، وأن الاستهزاء بالرسل عاقبته ترجع على المستهزئ نفسه.

ثالثاً: يتجه مسار العقل بعد معرفة السنن التكوينية، والسنن الاجتماعية، إلى فقه سنن الشريعة التفصيلية التي تنظم حياة الإنسان. وهذا هو المسار الآخر للعقل الذي سنتحدث عنه.

حركة العقل نحو سنن الشريعة:

سنن الشريعة هي أحكام الله تعالى لتنظيم حياة الإنسان في كافة شؤونه، فالسنّة بشكل عام، وكما هي معطيات اللغة هي «المنهج والطريقة والأسلوب الذي يعتمده الشخص

(٥٩) الأنبياء ٣٠ - ٤١.

في حياته. وبالرغم من استخدام هذه الكلمة (السنة) في الأحاديث، وفي كلمات العلماء للتعبير عما تتصل بحياة الرسول قولاً وفعلاً وموقفاً، إلا أنها لم تستخدم في القرآن بهذا المعنى»[٦٠].

ومنشأ اصطلاح الفقهاء حول السنة في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته عليهم السلام وفعله وتقريره، هو «أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم باتباع سنته، فغلبت كلمة (السنة) حينما تطلق مجردة عن نسبتها إلى أحد على خصوص ما يتضمن بيان حكم من الأحكام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم سواء كان ذلك بقول أو فعل أو تقرير»[٦١].

وما نتحدث عنه في هذا القسم هي سنن الشريعة الأعم من اختصاصها بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بل بكل الأحكام الشرعية المتفادة من الكتاب العزيز، والمستفادة من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، فسنن الشريعة واحدة، فالروايات الشريفة هي انعكاس لما في الكتاب العزيز.

ولأن من مواصفات السنن الثبات كما أسلفنا، فإننا هنا نقصد بسنن الشريعة القسم الثابت منها، وهي الأصول، بتعبير أهل البيت عليهم السلام: «علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع»[٦٢]، ومن خلال تلك السنن الثابتة تعرف سائر الأحكام للمتغيرات والوقائع المختلفة، حيث إن الحكم يتغيّر بتغيّر موضوعه، لا بتغير أصله أو نوعه، فيبقى ثبات السنن على حالها.

فأين مسار العقل البشري يتجه لكي يكتشف سنن الشريعة؟

إن معرفة السنن الإلهية الاجتماعية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمعرفة الأحكام التي عبّرنا عنها بسنن الشريعة، وهنالك مجموعة من الأحكام مرتبطة بدورها بالسنن التكوينية.

تطابق أحكام الشريعة مع السنن الإلهية:

يطرح سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرّسي (دام ظله) في كتابه القيّم (التشريع الإسلامي) نظرية في فقه الشريعة، تقوم على أساس الترابط بين السنن الإلهية والأحكام الشرعية، كمنهجية قرآنية، وملخصها أن «ربنا يبين في كتابه ما هو هذا العالم الذي يحيط بنا؟ وما هي أهداف خلقته؟ ونحن من؟ وما هي غاية خلقتنا؟ وكما يبين سنن الله التي أجراها في الخلق.. مثلاً سنة الصيرورة، سنة الزوجية، سنة التطور، سنة الهلاك، سنة الصراع، سنة المسؤولية والجزاء...

وحينما يذكر بسننه التي تلتصق أكثر فأكثر بحياتنا، يفصل القول فيها تفصيلاً، ويُبصِّرنا بأنفسنا وما تعمل فيها من شهوات عاصفة، وأهواء جامحة ونوازع فطرية خَيِّرة،

(٦٠) التشريع الإسلامي، آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي، ج ٢، ص ١٤٩.

(٦١) أصول الفقه، العلامة محمد رضا المظفر، ج٢، ص٦١.

(٦٢) عن الإمام الرضا عليه السلام وورد مثله عن الإمام الصادق عليه السلام، وسائل الشيعة ج٢٧، ص٦٣.

ويضرب لنا من كل شيء مثلاً، ويقص علينا عِبَر الغابرين، ويحدثنا عمن نجا كيف نجا وعمن هلك لم هلك؟

وأحكام الشريعة مطابقة لسنن الله في الخلق»[٦٣].

« حين يأمرنا الله بتحدي الطاغوت وتجنبه، فهذه شريعة إلهية مطابقة لسنة بيّنها ربنا سبحانه عبر قصص الذين اتبعوا الطاغوت فدمرهم الله شر تدمير.

وحين يأمرنا باتِّباع رسل الله وطاعة أوليائه، يسوق لنا مثلاً للذين آمنوا من واقع المؤمنين، الذين اتبعوا النبي نوحاً عليه السلام فنجّاهم الله من الطوفان، ومثلاً للذين كفروا من واقع الذين كفروا فأغرقهم الله.

فكل حكم يتبع حكمة، وكل حكمة تتصل بسنة[٦٤]، وقد بيَّن الله الحكم وعلم حكمته، وذكر بسنته»[٦٥].

ويمكن أن نذكر مثالاً ساقه السيد المدرسي ضمن أمثلة عديدة:

« قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً ﴾.

هنا نجد البصائر الثلاث:

١- السنة الإلهية: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم ﴾.

٢- الحكمة: ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً ﴾.

٣- الوصية: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ ﴾[٦٦] وهي التي أطلقنا عليها سنّة الشريعة.

« وهكذا نستوحي من التدبّر في هذه الآيات الكريمة، أن أحكام الشريعة تتفرع من شجرة التوحيد، وأن أصولها الحكمة والسنن الإلهية، وأن الراسخين في العلم يسعون أبداً لمعرفة أصول الحكمة، وآفاق السنّن، كما يسألون ربهم المزيد من معرفته سبحانه»[٦٧].

هذه المنهجية يذكرها سماحة المرجع المدرسي في كتابه التشريع الإسلامي كآلية لفهم الشريعة الإسلامية، فهماً عميقاً، خصوصاً للعلماء والفقهاء، ونكتفي بالإشارة إليها بهذا المقدار، من أجل بيان اتصال السنن التكوينية والاجتماعية بسنن الشريعة، في ظل التوحيد.

---

(٦٣) التشريع الإسلامي، آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرّسي. ج٢، ص٥١.

(٦٤) اتصال الحكم والحكمة بالسنة الإلهية، ليس بالضرورة يأتي في آية واحدة، فإنه قد يأتي في سياق الآيات.

(٦٥) التشريع الإسلامي، آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرّسي ج٢، ص٥١.

(٦٦) التشريع الإسلامي، آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي. ج٢، ص٥٦.

(٦٧) المصدر نفسه، ص٥٨.

ارتباط سنن الشريعة بالسنن التكوينية:

لقد حدّد الله تعالى بعض الأحكام الشرعية وهي (سنن الشريعة) بالسنن التكوينية، ولا يتمكن الإنسان المسلم أن يؤدّي عباداته ويطيع الله في شرعه، إلا من خلال النظر إلى تلك السنن التكوينية، لارتباطهما ببعضها، مثل أداء الصلاة وهي عمود الدين، وواجب على كل مسلم ومسلمة في كل يوم خمس فرائض، فهي متصلة بسنن تكوينية، وهي حركة الشمس قبل شروقها فجراً وبعد شروقها، وإلى زوالها وحتى غروبها، فأوقات الصلاة محدّدة بأوقات تكوينية، كما قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾[٦٨].

وكذلك الصيام، في قوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّيْلِ﴾[٦٩].

وبخصوص بدء الشهر الشرعي كشهر رمضان ووجوب الصوم، فهو معتمد على رؤية الهلال، كما في الرواية: «صم لرؤيته، وأفطر لرؤيته»[٧٠]، وهكذا العديد من الأحكام، مثل صلاة الآيات المرتبطة بالخسوف والكسوف والريح، ومثل أيام وليالي الزواج والعقد والجماع، وماشابه ذلك.

خلاصة القول

إن معرفة الله وتوحيده أشرف معرفة وأهمها بالنسبة إلى الإنسان، وهذه المعرفة التوحيدية تتم عبر تفكير العقل في السنن التكوينية التي يراها كل الناس دون استثناء، لكي يؤمن بالله عبر آياته الدقيقة، ثم يتجه العقل بعد الإقرار لله بالربوبية والإخلاص له بالوحدانية، نحو معرفة السنن الاجتماعية التي أجراها الله تعالى في خلقه، من أجل أن يتبصر الإنسان وينتهج سنن الصلاح والهدى ويبتعد عن سنن الهلاك والتيه والفشل، والسنن الاجتماعية بدورها متصلة بسنن الشريعة التي تنظّم حياة الإنسان، وبذلك تكون السنن التكوينية طريقاً إلى التوحيد، والتوحيد طريقاً إلى سنن الحياة الطيبة □

(٦٨) الإسراء: ٧٨.

(٦٩) البقرة: ١٨٧.

(٧٠) وسائل الشيعة، الحر العاملي. ج١٠، ص٢٥٦.

ميزان المعرفة لدى المدرستين الأحسائية والخراسانية

■■ ياسر عبد الله آل خميس*

لم يكن الميرزا مهدي الأصفهاني[1] (١٣٠٣- ١٣٦٥هـ) رائد المدرسة العقدية الخراسانية[2]

* كاتب - السعودية.

(١) من تلامذة السيد اليزدي صاحب العروة الوثقى، والآخوند الخراساني صاحب الكفاية في الأصول، والمحقق الشيخ محمد حسين النائيني. انشغل بالفلسفة والعرفان في بداية أمره، ثم عدل عنهما بعد مكاشفة وقعت له في مسجد السهلة، قال تلميذه الشيخ علي النمازي الشاهرودي: «كان مشتغلاً بتعلم الفلسفة المتعارفة، وبلغ أعلى مراتبها، قال: لم يطمئن قلبي بنيل الحقائق، ولم تسكن نفسي بدرك الدقائق، فعطفت وجه قلبي إلى مطالب أهل العرفان، فذهبت إلى أستاذ العرفاء والسالكين السيد أحمد المعروف بالكربلائي في كربلاء، وتلمذت عنده حتى نلت معرفة النفس، وأعطاني ورقة أمضاها وذكر اسمي مع جماعة بأنهم وصلوا إلى معرفة النفس وتخليتها من البدن، ومع ذلك لم تسكن نفسي إذ رأيت هذه الحقائق والدقائق التي سموها بذلك لا توافق ظواهر الكتاب وبيان العترة ولا بد من التأويل والتوجيه. ووجدت كلتا الطائفتين كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، فطويت عنهما كشحاً، وتوجهت وتوسلت مجدًّا مكدًّا إلى مسجد السهلة في غير أوانه باكياً متضرعاً متخشعاً إلى صاحب العصر والزمان عليه السلام، فبان لي الحق، وظهر لي أمر الله ببركة مولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه، ووقع نظري في ورقة مكتوبة بخط جلي: «طلب المعارف من غيرنا أو طلب الهداية من غيرنا (الشك مني) مساوق لإنكارنا»، وعلى ظهرها مكتوب: أقامني الله وأنا حجة ابن الحسن. قال: فتبرأت من الفلسفة والعرفان، وألقيت ما كتبت منهما في الشط، ووجهت وجهي بكله إلى الكتاب الكريم وآثار العترة الطاهرة، فوجدت العلم كله في كتاب الله العزيز وأخبار أهل بيت الرسالة». (الشيخ علي النمازي الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ج: ١٠، ص: ٥١٧، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة).

(٢) نسبة إلى خراسان وهي إقليم إيراني انتشر في حوزاتها العلمية منهج الميرزا الأصفهاني،

المشهورة باسم التفكيكية[٣] بأول الثائرين نقداً على منهج الفلسفة اليونانية، والكشف الصوفي، ومدرسة العرفاء -الحكمة المتعالية- لصدر المتألهين الشيرازي (ت: ١٠٥٠هـ)[٤]، التي عُنيت بالتوفيق بين النصوص الشرعية وآراء الفلاسفة والصوفية، لتقديم رؤية إسلامية شاملة لقضايا الوجود وشأن المبدأ والمعاد[٥]، إذ سبقه إلى ذلك الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (١١٦٦-١٢٤١هـ)[٦] -مؤسس المدرسة الحكمية الأحسائية- بتقديم المنهج والنقد نفسهما المتناولين لنظريات الفلاسفة، والمتصوفة، والعرفانيين.

تتفق المدرستان على منهج معرفي واحد، وهو اعتماد النص الشرعي -القرآن الكريم والسنة الشريفة- بتجرد عن تأويل المناهج الأخرى، ثم إعطاء العقل الفطري دوراً كبيراً في تعقله وتدبره، ويقصدون بالعقل الفطري البَدَهِيَّات التي لا يختلف عليها العقلاء، من قبيل:

---

(٣) أول من أطلق عليها اسم التفكيكية هو الشيخ محمد رضا الحكيمي في كتابه «المدرسة التفكيكية» (راجع دراسة (المدرسة التفكيكية الأسس والبناءات والمقولات) للشيخ علي ملكي الميانجي، المنشورة في مجلة نصوص معاصرة، العدد الثاني من ربيع سنة ١٤٢٦هـ، ص: ١١، تعريب الشيخ حيدر حب الله). وتُعنى هذه المدرسة بالفصل بين المناهج المعرفية الثلاثة: الأسلوب والمنهج القرآني، الأسلوب والمنهج الفلسفي، والأسلوب والمنهج العرفاني، لتخليص النص الشرعي من كل الرواسب الصوفية واليونانية التي لحقت بتأويله.

(٤) له ترجمة في الكثير من المصادر، منها ما ذكره السيد الأمين في أعيان الشيعة: «هو من عظماء الفلاسفة الإلهيين الذين لا يجود بهم الزمن إلا في فترات متباعدة من القرون، وهو المدرس الأول لمدرسة الفلسفة الإلهية في القرون الثلاثة الأخيرة في البلاد الإسلامية الإمامية، والوارث الأخير للفلسفة اليونانية والإسلامية، والشارح لهما، والكاشف عن أسرارهما، ولا تزال الدراسة عندنا تعتمد على كتبه، لاسيما الأسفار الذي هو القمة في كتب الفلسفة قديمها وحديثها، والأم لجميع مؤلفاته». (السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج: ٩، ص: ٣٢١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت).

(٥) راجع: أعيان الشيعة، ج: ٩، ص: ٣٧٥.

(٦) ولد الشيخ الأحسائي في قرية المطيرفي الأحسائية سنة ١١٦٦هـ، وتنقَّل بين الحواضر العلمية (البحرين، العراق، إيران) وذاع صيته. وصفه العلامة الأميني بأنه «أحد فطاحل العلماء، يروي عن سيدنا بحر العلوم، والشيخ كاشف الغطاء، والسيد صاحب الرياض، والسيد مهدي الشهرستاني، والشيخ أحمد بن الحسن البحراني، والشيخ أحمد بن محمد من آل عصفور، ويروي عنه صاحب الجواهر، والحاج ميرزا إبراهيم الكلباسي صاحب الإشارات» (الشيخ عبد الحسين الأميني، شهداء أعلام الفضيلة، ص: ٣١٧. مؤسسة الوفاء، بيروت). وقد وقع الخلاف حول شخصه، بين محبٍّ غالٍ، وقادحٍ قالٍ، وخلص الشيخ عبد الله نعمة إلى أن «اختلاف الناس فيه -بلا ريب- دليل على نبله ورفع مكانته وعظم شخصيته» (الشيخ عبد الله نعمة، فلاسفة الشيعة، ص: ١٢٩، دار الكتاب الإسلامي). يعتبر الشيخ الأحسائي رمز ما يعرف اليوم بالشيخية، وهم مدرسة فكرية كانت موحدة أبان حياته، ولكنها انقسمت بعد وفاة تلميذه السيد كاظم الرشتي إلى: أتباع الميرزا حسن كوهر -من تلامذة الشيخ الأحسائي- وأتباع الحاج محمد كريم خان الكرماني -تتلمذ قليلاً لدى السيد كاظم الرشتي- المعروفين باسم الركنية لإيمانهم بالركن الرابع. وقد كان السيد الرشتي يرفض لقب الشيخية ويعتبره نبزاً (راجع دليل المتحيرين للسيد كاظم الرشتي) وسار على نهجه أتباع الميرزا كوهر، فيما قَبِل جماعة الحاج الكرماني به، وكتب زعيمهم في البصرة السيد عبد الله الموسوي رسالة في (شرح أحوال علماء الشيخية في البصرة).

أن وجود زيد في المسجد يعني عدم وجوده في المنزل، وأن وجود الأثر يدل على وجود المؤثر، واستحالة اجتماع النقيضين، وهلمج.

وعندما شنع الميرزا الأصفهاني على رمز المدرسة الأحسائية في رسالته (الصوارم العقلية على تأويل الأحاديث المروية، والمقامع العقلية على مفارق الشيخية)[٧]، ظُنَّ -بضم

(٧) مخطوطة. ذكرها الأغا بزرك الطهراني في الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج: ١٥، ص: ٩٢، دار الأضواء، بيروت، تحت اسم (الصوارم العقلية في الرد على الشيخية). كتبها الأصفهاني رداً على « ملفقات الشيخ أحمد الأحسائي لأنها صارت مادة لحيرة الحمقاء، وضلالة السفهاء، حتى ادعوا الركنية والبابية، ثم أظهر الله لأهل الفضل ضلاله وجنونه » وشنع فيها على الأحسائي أشد التشنيع، وقدح في مذهبه وعقيدته، قال في نهايتها: « الحمد لله الذي أظهر جنون هذا الأعرابي بكلامه في الكتابين، وأقام الحجة على شيعته في بطلان تحريفاته وتأويلاته للكتاب والسنة » (راجع: الميرزا مهدي الأصفهاني، أبواب الهدى، ص: ٧٥،٧٦، مركز فرهنكي انتشاراتي منير، إيران).

ومن قرأ التاريخ بتأمل يدرك براءة مدرسة الشيخ الأحسائي من البابية والركنية (فرقتان أظهرتهما روسيا بالتعاون مع الدولة العثمانية) وكنا قد فصلنا ذلك في تحقيقنا لإجازة الشيخ محمد بن الشيخ عبد علي آل عبد الجبار القطيفي للملا محمد الطبسي، الصادر عن هيئة الخط التراثية، وملخصه أن المصالح السياسية قد التقت بين روسيا والعثمانيين ضد القاجاريين -حكام إيران- في العام ١٢٥٩هـ، حين دخل العثمانيون والقاجاريون في منازعات حدودية. وكان الروس قد تكبدوا قبلها خسائر جسيمة في الحملة العسكرية التي قادها العلماء الشيعة ضدهم لصالح القاجاريين سنة (١٢٤١هـ) برئاسة السيد محمد الطباطبائي الكربلائي (المجاهد). فأدركوا أن للحوزة العلمية قوة هائلة تهدد أمنهم القومي.

ولأن القاجاريين يستمدون مكانتهم الاجتماعية والسياسية من علاقتهم المتميزة بالعلماء الشيعة، لاسيما علماء مدينة النجف الأشرف، فقد رأى العثمانيون وجوداً إيرانيًّا باطنيًّا على الأراضي العراقية يهدد أمنهم القومي، قاموا على أثره بالتخطيط لاغتيال الحوزة، ومن هنا كان التقاء المصالح بينهم وبين الروس في إسقاط الحوزة العلمية من الداخل الديني، في محاكاة لتجربة الغرب في إسقاط الكنيسة على يد الراهب الألماني مارتن لوثر.

كان غالبية أفراد العائلة القاجارية الحاكمة يميلون إلى مدرسة الشيخ الأحسائي، ويرجعون في التقليد إلى السيد كاظم الرشتي (ت: ١٢٥٩هـ)، وهو ما جعل الاستعمار يخرج الباب والكرماني من رحم المدرسة الأحسائية دون خصومها، لأن سقوطها يؤدي إلى اضطرابات دينية، واجتماعية، وسياسية تضعف مكانة العائلة القاجارية في المجتمع الشيعي عموماً، والإيراني خصوصاً، فينشغلون بالقضايا الداخلية على حساب مصالح الدولة الخارجية.

وقد ساعدهم على ذلك ما كانت تشهده الساحة العلمية من صراعات مأساوية بين الأصوليين والأخباريين من جهة، وبين الأصوليين أنفسهم حول أطروحات الشيخ الأحسائي من جهة أخرى، ولا نظن تلك الفتن بمنأى عن شرارهم.

بدأت الدولة العثمانية تنفيذ أولى خطوات المؤامرة باغتيالها السيد كاظم الرشتي سنة ١٢٥٩هـ، ثم قامت روسيا عبر جاسوسها الشهير (كنياز) بإظهار الباب بوصفه أحد تلامذة الرشتي. وكان ظهور الباب مدخلاً إلى بروز رجل آخر تتلمذ لمدة بسيطة على يد السيد كاظم الرشتي، وهو محمد كريم خان الكرماني -أحد أفراد العائلة الحاكمة وله مآرب في الحكم- ونال شهرة عظيمة في المجتمع الإيراني بعدما رد على الباب وفضح أكاذيبه قبل أن يدَّعي الركنية.

وقد أثرت تلك المؤامرة سلباً على مدرسة الشيخ الأحسائي، حتى أصبح بينها وبين الناس حاجزاً نفسيًّا، تعدّى الجوانب الفكرية إلى النواحي الشخصية. قال السيد محمد الطالقاني: «ونفى الشيخ

الظاء- أنهما ضدين منهجيين، والحق أنهما منهج واحد، كما تقدم[٨]. وقد تجلّى اتفاقهما بوضوح في دراسة (ميزان المعرفة) لآية الله السيد جعفر سيدان[٩] -من رموز المدرسة التفكيكية- المطابقة لنظريات الشيخ الأحسائي في نبذ المناهج اليونانية والصوفية والعرفانية، واعتماد مدرسة الوحي سبيلاً وحيداً إلى المعرفة.

وقد كتبها السيد سيدان (على المبنى) في مصطلحات المدرسة التفكيكية، أي: طرح الموضوعات العقلية والعرفانية وبيان مصطلحات القوم، ثم تسجيل وجوه النقد والنظر والملاحظة والإشكال الرئيسية على تلك الأسس والأدلة، ثم شرح الفوارق الواقعة بين تلك المفاهيم والمعارف الدينية الخالصة المستمدة من الوحي الإلهي عبر عرض الأُولى على الثانية[١٠].

ويسمى هذا المنهج في المدرسة الأحسائية بدليل المجادلة، أي استخدام قواعد القوم ومصطلحاتهم عند نقاش أطروحاتهم، وهو ما ذكره العلماء في كتبهم من البراهين والأقيسة بكل أنواعها كما هو مقرر في المنطق وفي علم الأصول، وهذه الأدلة إنما هي مستنبطة من إدراكات عقولهم وأفهامهم[١١].

ورغم تغير صياغة الخطاب بين الأحسائي والتفكيكيين المعاصرين، لاستحداث بعض

محمد الخالصي أن تكون في الأحساء قرية باسم المطيرف، وأن يكون الشيخ أحمد أحسائيًّا، واحتمل مجيئه من أفريقيا، وأن له مع أعداء الإسلام نسب وصلة (خرافات شيخية وكفريات إرشاد العوام، ص ٧٢)، وقد رده الشيخ غلام حسين معتمد الإسلام (كلمه أزهزار، ص ٣)، وقال الخالصي أيضاً تحت عنوان: «رجال الدعوة اللا دينية في العراق وإيران» ما نصه: «الأول أحمد الأحسائي وهو رجل أسود اللون سمَّى نفسه أحمد وادَّعى أنه أحسائي. والأحساء بريئة منه»، وقال: «ولذا يظهر من القرائن المفيدة للعلم أن الشيخ أحمد الأحسائي والسيد كاظم الرشتي كانا قسيسين». (السيد محمد حسن آل الطالقاني، الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها، ص: ٩٤).

وكان تلميذي الشيخ الأحسائي الشيخ حسن كوهر في كربلاء المقدسة، والشيخ محمد حجة الإسلام المامقاني في تبريز، أول من أفتى بكفر الباب، وقالا بضلالة الحاج محمد كريم خان الكرماني مؤسس الركنية، وأعلنا براءة المدرسة منهما.

(٨) خلص الشيخ سعيد القريشي -أحد فضلاء الأحساء المعاصرين من شراح فكر الشيخ الأحسائي- في قراءته لكتاب أبواب الهدى للميرزا مهدي الأصفهاني (مخطوطة) إلى التطابق التام بين فكر الشيخ الأحسائي والميرزا الأصفهاني، ورأى أن الاختلاف بينهما كائن في طريقة التعبير الفلسفية، لاجتهاد الميرزا الأصفهاني في تقديم مصطلحات جديدة تختلف عن مصطلحات الأحسائي في المسمى وتتوافق في المضمون.

(٩) نُشرت هذه الدراسة في مجلة البصائر، العدد: ٤٤، شتاء ١٤٣٠هـ.

(١٠) الشيخ محمد رضا الحكيمي، رجال المدرسة التفكيكية، رصد أبرز الشخصيات التفكيكية في القرن الرابع عشر الهجري، القسم الأول، مجلة نصوص معاصرة، العدد الثاني، ربيع الأول ١٤٢٦، ص: ٨٥.

(١١) الشيخ أحمد الأحسائي، شرح الفوائد، مؤسسة فكر الأوحد للتحقيق والطباعة والنشر، ج: ١، ص: ١٩٧.

المصطلحات الفلسفية، وظهور بعض المناهج الفكرية غير الحاضرة في عصر الأحسائي، إلا أنه أحاط بكل ما تناولوه تقريباً. وقد تعود سعة إحاطته إلى طبيعة الحركة العلمية في عصره، الثرية بالرسائل وأجوبة المسائل بين أهل العلم.

سنعرض في هذه الصفحات رأي آية الله السيد سيدان في نقد مناهج المعرفة لدى الماديين، والفلاسفة، والصوفية، والعرفاء الشيعة، وتوضيحه لماهية الميزان الصحيح للمعرفة، لنرى تطابقها مع آراء الشيخ الأحسائي في تشخيص ميزان المعرفة، على أمل أن تنفتح المدارس الفكرية الشيعية على بعضها، وتتقارب، لمواجهة الشبهات العقائدية بجبهة واحدة، ومنهج متماسك.

نقد المنهج المادي (التجريبي)

ينحصر ميزان المعرفة عند الماديين بكسب المعلومات عن طريق الحس والتجربة، وهم يرفضون كلّ المعارف الّتي لا تقوم على أساسهما[١٢]. ويسمى هذا المنهج بضد الميتافيزيقا، أي: رفض القضايا الميتافيزقية التي لا يمكن التحقق من صدقها تجريبيًّا باعتبار أنها خالية من المعنى وبالتالي قضايا زائفة[١٣]. فهم لا يؤمنون بالغيب، كالخالق جل وعلا، والملائكة، والجن، وهلمج.

يرى السيد سيدان بطلان هذا المنهج لوجود الكثير من الأدلة، منها: أن الحواس تخطئ، وعلى هذا الأساس فلا بد للحس من ميزان يستطيع أن يكتشف خطأ الحواس. كما أن القواعد والقوانين العامة والكلية في العلوم المختلفة كالحساب والهندسة والطبيعيات مقبولة، ولم تخضع جزئياتها للحس والتجربة، ولا ربط لها بالحواس[١٤].

ويرى الشيخ الأحسائي بطلان هذا المنهج كون الحواس أدنى وسائل الإدراك لدى البشر، وتلك الوسائل غير محصورة في العقل والحس فقط كما يرى التجريبيون، بل هي أكثر من ذلك، وتقع ضمن سلسلة طولية، يدرك العالي فيها ما يدركه السافل، ولا يدرك السافل فيها ما يدركه العالي، وعناصر تلك السلسلة بالترتيب التنازلي: الفؤاد، ثم العقل، ثم النفس، ثم الحواس. فالنفس تدرك ما لدى الحواس، ولا تدرك الحواس ما لدى النفس، والعقل يدرك ما لدى النفس، ولا تدرك النفس ما لدى العقل، والفؤاد يدرك ما لدى العقل، ولا يدرك العقل ما لدى الفؤاد[١٥].

---

(١٢) آية الله السيد جعفر سيدان، ميزان المعرفة، مجلة البصائر، العدد: ٤٤، ص: ١٥.

(١٣) مراد وهبه، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص: ٣٨٣.

(١٤) آية الله السيد جعفر سيدان، المصدر السابق.

(١٥) قال: «كل شيء لا يدرك ما وراء مبدئه، لأن الإدراك إن كان بالفؤاد فهو أعلى مراتب الذات، وأول جزئيها، وأعلاهما وأشرفهما، وليس له وراء ذلك ذكر في حال، فلا يجد نفسه هناك، ولا يجده غيره،

وللفؤاد الحاكمية على العقل، وليست للعقل حاكمية على الفؤاد، فالفؤاد هو أعلى مشعر في الإنسان، يدرك حقيقة الأشياء بنور الله تعالى[١٦] بَدَهِيًّا بلا واسطة، ولا قانون، ولا حس، ولا صورة، ولا جهة. وهو مصطلح يرادف معنى العقل الفطري كونه لا يخطئ[١٧]، وقولنا (لا يخطئ) يعني اتفاق عموم العقلاء على ما يراه من بَدَهِيَّات يدركها الجميع بلا حس وبلا تجربة، وحيث إن الأنبياء قد بُعثوا ليثيروا الدفائن التي استودعها الله عقول الناس، فقد اعتبر الأحسائي الفؤاد دليل الأنبياء، وأسماه دليل الحكمة[١٨]. أما العقل فيُقيم الحجة والبرهان على ما يراه الفؤاد، إذ هو «داعٍ معين لمراد الفؤاد»[١٩].

إذ أول وجدانه ذلك الإدراك، وإن كان بالعقل والنفس والحس المشترك وبالحواس الظاهرة، فهي بجميع إدراكاتها ومدركاتها دون ذلك، فلا يدرك الشيء ما وراء كونه، فإذا تصور شيئاً بغير الفؤاد أدرك ما وراءه، أي: أن ما وراءه شيء يدركه. فإذا أدرك ذلك الأعلى، أدرك وراءه شيئاً... وهكذا، لا يقف على حد لا يجد وراءه شيئاً». (راجع شرح الفوائد، ج: ٢، ص: ٢١١). يعتبر الفؤاد في حكمة الشيخ الأحسائي أعلى مراتب الإدراك الذاتية في الإنسان، فهو «عبارة عن وجوده الأولي، الذي هو مادته النوعية، التي تؤخذ منها حصة للشيء، وتضاف إليها صورته المشخصة له التي بها هو هو. فالحصة هو فؤاده، وهو نور الله في قوله عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». وهو حقيقة من فعل الله، وهو وجوده، وهو مادته، وهو كونه، والصورة المشخصة له هي حقيقة من نفسه لأنها قابليته، وإن كان الإدراك بما دون الفؤاد كالعقل والنفس والخيال والحس المشترك والحواس الظاهرة، فهي بجميع إدراكاتها ومدركاتها دون الفؤاد، ودون إدراكه، فتدرك أنفسها وما دونها. ولا تدرك ما وراء ذلك: أي ما فوقها، لأن الشيء لا يدرك فوق كونه، أي: وجوده، فإذا تصور شيئاً بأحدهما -أي بغير الفؤاد- أدرك بالفؤاد ما فوق ما أدركه بواحد منها، بمعنى أنه يدرك شيئاً فوقه، كما لو أدرك بعقله شيئاً أدرك بفؤاده أن فوق العقل شيئاً، وأدرك أيضاً بفؤاده أن ما أدركه بعقله فوقه شيء، وأدرك أن وراء هذا الأعلى شيئاً وهكذا، حتى يدرك فؤاده، وينقطع السير، حتى أنه لو كان الإدراك بما هو دون الفؤاد وجد مدركات بعضها فوق بعض، بلا نهاية ولا غاية، حتى يكون الإدراك بالفؤاد لأعلى مراتبه الذي هو نور الله تعالى، فيستدير وينقطع السير» (شرح الفوائد، ج: ٢، ص: ٢١١- ٢١٢).

(١٦) عن محمد بن عيسى بن سليمان الجعفري قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام فقال: «يا سليمان اتق فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله. فسكت حتى أصبت خلوة، فقلت: جعلت فداك سمعتك تقول: اتق فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، قال: نعم يا سليمان، إن الله خلق المؤمن من نوره وصبغهم في رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية، والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، أبوه النور، وأمه الرحمة، وإنما ينظر بذلك النور الذي خلق منه». (محمد بن الحسن الصفار، بصائر الدرجات، منشورات الأعلمي، طهران، ص: ١٠٠).

(١٧) فمن المحال أن يخطئ من ينظر بنور الله تعالى.

(١٨) قال في شرح المشاعر: «وبحثنا ليس مبنيًّا على النقل، وإنما هو مبني على الأدلة العقلية، إما من دليل الفؤاد -أعني دليل الحكمة- وهو أعلاها، وهو دليل الأنبياء والأولياء، أو من دليل العقل -أعني دليل اليقين المسمى بدليل الموعظة الحسنة- وهو دليل المتقين والصالحين. أو من دليل العلم -أعني دليل المجادلة بالتي هي أحسن- وهو أدناها، وهو دليل العلماء». (الشيخ أحمد الأحسائي، شرح المشاعر، ج: ٢، ص: ٣٦٣، مؤسسة البلاغ).

(١٩) الشيخ أحمد الأحسائي، شرح الزيارة الجامعة، ج: ٣، ص: ١٨٨. طبعة دار المفيد.

نقد منهج المتصوفة

قبل الحديث عن المؤاخذات على المنهج الصوفي، فإننا سنعرض لمحة عن نشأة التصوف وغايته، لنرى سر النفور الشيعي منه.

ظهر الفكر الصوفي في العصر الأموي على يد أبي هاشم الكوفي المتوفى بالشام سنة ١٥٠هـ وقيل ١٦٢هـ[٢٠]، ويذهب أغلب الصوفية للقول بتأسيسه على يد الحسن البصري (ت: ١١٠هـ)[٢١]. وقد كان للساسة الأمويين دور كبير في إظهاره وترويجه لما رأوا قيام الثورات ضدهم تحت شعار (الرضا من آل بيت محمد صلى الله عليه وآله) وانجذاب الناس عقليًّا وعاطفيًّا نحو الأئمة عليهم السلام.

ولا يحتاج المتأمل في الفكر الصوفي وطرقه الكثيرة إلى جهد كبير حتى يكتشف الغاية منه، فظاهره الزهد، والتقشف، والذكر، والعبادة، وحب أهل البيت عليهم السلام وجميع الصحابة، وباطنه مُخدِّر سياسي، يدعو لاعتزال الحياة العامة، والانشغال بتصفية النفس حتى الوصول إلى مرحلة الفناء والاندكاك في ذات الله تعالى[٢٢].

---

(٢٠) أول من أطلق عليه لقب الصوفي، ولا يعده الصوفية في طبقاتهم. روى الشيخ الصدوق في قرب الإسناد عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عبد الجبار عن العسكري صلوات الله عليه أنه قال: «سئل الصادق عليه السلام عن حال أبي هاشم الكوفي، فقال: إنه فاسد العقيدة جدًّا وهو الذي ابتدع مذهباً يقال له التصوف وجعله مقرًّا لعقيدته الخبيثة» (الحر العاملي، الاثنا عشرية، ص: ٣٣، دار الكتب العلمية، قم المقدسة). وقال الشهيد المطهري عنه: «من أهالي الشام، فقد وُلد وعاش فيها، إلا أن تاريخ وفاته مجهول، والقدر المتيقن أنه كان استاذاً لسفيان الثوري (ت: ١٦١هـ)، ويبدو أنه أول شخص أطلقت عليه تسمية الصوفي. قال سفيان: لولا أبو هاشم لما عرفت دقائق الرياء» (الشهيد الأستاذ مرتضى المطهري، مدخل إلى العلوم الإسلامية (الكلام - العرفان - الحكمة العملية) دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، إيران، ص: ٨٠-٨١).

(٢١) من كبار الأعلام، ذكر الأستاذ جودة أبو اليزيد المهدي في كتابه (بحار الولاية المحمدية في مناقب أعلام الصوفية، ج: ١، ص: ٣٥، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة) أن الحسن البصري قد لبس خرقة التصوف من أمير المؤمنين عليه السلام. ونقل أقوال بعض الباحثين الصوفيين في تأكيد ذلك. كان البصري كاتباً في دولة معاوية لوالي خراسان الربيع بن زياد (المصدر السابق، نقلاً عن تذكرة الحفاظ للذهبي). والحق أن أئمة أهل البيت عليهم السلام وعلماء الشيعة ينكرون عليه، وقد وُصف «في كلام جماعة من غير أصحابنا بالزهد، كما وصف ابن سيرين بالورع، ذكره ابن سعد وذكره أبو نعيم في حليته الأولياء ج٢/ ١٣١ وقال فيه: أليف الهم والشجن، عديم النوم والوسن... ولذلك عَدُّوه من الزهاد الثمانية، لكن قال أبو عمرو الكشي في رجاله (٦٤): علي بن محمد بن قتيبة قال: سئل أبو محمد الفضل بن شاذان عن الزهاد الثمانية فقال: (إلى أن قال) والحسن (يعني الحسن البصري) كان يلقى أهل كل فرقة بما يهوون، ويتصنع للرئاسة، وكان رئيس القدرية... قلت: وصنف الفضل بن شاذان من أجلة أصحابنا الفقهاء والمتكلمين كتاباً في الرد على الحسن البصري في التفضيل، ذكره النجاشي في ترجمته» (السيد محمد علي الأبطحي، تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي، ج: ٢،، ص: ٣٦٨).

(٢٢) والفناء من أعلى مقامات الصوفية، ينمحي به العبد في الرب، وتغيب هويته (راجع المعجم الفلسفي، مراد وهبه، ص: ٤٧٦). تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً.

وقد تمكن الصوفيون من جذب البسطاء إلى طرقهم، وكانت العقول الشيعية هدفاً دائماً لغزوهم الفكري، فزعموا أن جذور التصوف تعود إلى أمير المؤمنين عليه السلام[٢٣]، وتغلغلوا إلى أماكن تواجد الشيعة، في محاولات جادة لاستقطابهم، فتصدى لهم المعصومين عليهم السلام، وبيَّنوا حقيقة أمرهم، وفساد معتقدهم، وحذَّروا أتباعهم من الميل إليهم ولو بحسن الظن. وفي ذلك نقل الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب أنه قال: كنت مع الهادي علي بن محمد عليهما السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري، كان رجلاً بليغاً، وكانت له منزلة عنده عليه السلام، ثم دخل المسجد جماعة من الصوفية وجلسوا في ناحية مستديراً وأخذوا بالتهليل، فقال عليه السلام: لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخدّاعين فإنهم خلفاء الشيطان، ومُخرِّبو قواعد الدين، يتزهدون لراحة الأجسام، ويتهجدون لصيد الأنعام، يتجوعون عمراً حتى يديخوا للأيكاف حمراً، لا يهللون إلا لغرور الناس، ولا يقللون الغذاء إلا لملء العساس، واختلاس قلوب الدفناس، يكلمون الناس بإملائهم في الحب، ويطرحون بأذليلائهم في الجب، أورادهم الرقص والتصدية، وأذكارهم الترنم والتغنية، فلا يتبعهم إلا السفهاء، ولا يعتقدهم إلا الحمقى، فمن ذهب إلى زيارة أحدهم حيًّا وميتاً فكأنما ذهب إلى زيارة الشيطان وعبادة الأوثان، ومن أعان أحداً منهم فكأنما أعان يزيد ومعاوية وأبا سفيان.

فقال له رجل من أصحابه: وإن كان معترفاً بحقوقكم؟

قال: فنظر إليه شبه المغضب، وقال: دع ذا عنك، من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا. أما تدري أنهم أخس طوايف الصوفية، والصوفية كلهم مخالفونا، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا، وإن هم إلا نصارى أو مجوس هذه الأمة، أولئك الذين يجهدون في إطفاء نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون[٢٤].

ونقل السيد المرتضى عن الشيخ المفيد عن أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن عبد الجبار، عن العسكري عليه السلام أنه كلَّم أبا هاشم الجعفري فقال: يا أبا هاشم، سيأتي على الناس زمان وجوههم ضاحكة مستبشرة، وقلوبهم مظلمة منكدرة، السنة فيهم بدعة، والبدعة فيهم سنة، المؤمن بينهم مُحقَّر، والفاسق بينهم مُوقَّر، أمراؤهم جاهلون جائرون، وعلماؤهم في أبواب الظلمة سائرون،

(٢٣) قال ابن أبي الحديد المعتزلي في مقدمة شرحه على نهج البلاغة: «ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة، وأحوال التصوف، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون، وعنده يقفون، وقد صرّح بذلك الشبلي، والجنيد، وسري، وأبو يزيد البسطامي، وأبو محفوظ معروف الكرخي، وغيرهم، ويكفيك دلالة على ذلك الخرقة التي هي شعارهم إلى اليوم، وكونهم يسندونها بإسناد متصل إليه عليه السلام».

(٢٤) الحر العاملي، مصدر سابق، ص: ٢٩.

أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء، وأصاغرهم يتقدمون على الكبراء، كل جاهل عندهم خبير، وكل محيل عندهم فقير، لا يميزون بين المخلص والمرتاب، ولا يعرفون الضأن من الذئاب، علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض، لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتصوف، وأيم الله إنهم من أهل العدول والتحرف، يبالغون في حب مخالفينا، ويضلون شيعتنا وموالينا، وإن نالوا منصباً لم يشبعوا من الرشا، وإن خُذلوا عبدوا الله على الريا، لأنهم قطّاع طريق المؤمنين، والدعاة إلى نحلة الملحدين، فمن أدركم فليحذرهم وليصن دينه وإيمانه، ثم قال: يا أبا هاشم، بهذا حدثني أبي عن آبائه عن جعفر بن محمد (عليهما السلام)، وهو من أسرارنا فاكتمه إلا عن أهله[٢٥].

وقد تواترت الأحاديث الواردة في الصوفية وإنكار ما أتوا، وذكر الحر العاملي أن عددها يقترب من الألف حديث ليس لها مُعارض[٢٦]. ومع ذلك فقد وجد التصوف منفذاً يتسلسل من خلاله إلى الفكر الشيعي ويؤثر فيه، حتى قال السيد شهاب الدين المرعشي النجفي قدس سره: «وعندي أن مصيبة الصوفية على الإسلام من أعظم المصائب تهدّمت بها أركانه وانثلمت بنيانه، وظهر لي بعد الفحص الأكيد والتجول في مضامير كلماتهم والوقوف على ما في خبايا مطالبهم والعثور على مخبياتهم بعد الاجتماع برؤساء فرقهم أن الداء سرى إلى الدين من رَهَبة النصارى فتلقاه جمع من العامة كالحسن البصري والشبلي ومعروف وطاوس والزهري وجنيد ونحوهم، ثم سرى منهم إلى الشيعة حتى رقى شأنهم وعلت راياتهم بحيث ما أبقوا حجراً على حجر من أساس الدين، أوّلوا نصوص الكتاب والسنة وخالفوا الأحكام الفطرية العقلية، والتزموا بوحدة الوجود بل الموجود، وأخذ الوجهة في العبادة والمداومة على الأوراد المشحونة بالكفر والأباطيل التي لفقتها رؤسائهم. والتزامهم بما يسمونه بالذكر الخفي القلبي شارعاً من يمين القلب خاتماً بيساره معبراً عنه بالسفر من الحق إلى الخلق تارة، والتنزل من القوس الصعودي إلى النزولي أخرى وبالعكس معبراً عنه بالسفر من الخلق إلى الحق، والعروج من القوس النزولي إلى الصعودي أخرى، فيا لله من هذه الطامات، فأسروا ترهاتهم إلى الفقه أيضاً في مبحث النية وغيره...»[٢٧].

يرتكز الفكر الصوفي على جعل الكشف والشهود ميزاناً للمعرفة[٢٨]، ويرى السيد سيدان أن الاعتماد على الكشف منهج خاطئ وإن كان يؤدي إلى الحقيقة في بعض الأحيان، لأسباب منها: أنّ كثيراً من المكاشفات بعضها يناقض البعض الآخر وليست لها نتيجة

(٢٥) المصدر السابق، ص: ٣٣.

(٢٦) المصدر السابق، ص: ٣٤.

(٢٧) آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي، شرح إحقاق الحق، ج: ١، ص: ١٨٣، منشورات مكتبة آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي، قم المقدسة، إيران.

(٢٨) السيد جعفر سيدان، المصدر السابق، ص: ١٦.

واحدة بل هي متفاوتة من شخص إلى آخر ومن مكاشفة إلى أخرى. ومن المحتمل أن تكون المكاشفة الّتي شاهدها الإنسان نتيجة للأعمال الرياضية الروحية الّتي يقوم بها صاحب المكاشفة ولا ربط لها بالواقع، وهذا الاحتمال وارد وقويّ كما نشاهد بعض الآثار تحصل نتيجة لاستعمال بعض الأدوية ولا تكون تلك الآثار انعكاساً عن الواقع وبياناً له.

وجعل الشيخ الأحسائي النصوص الشرعية ميزاناً لقبول المكاشفات أو ردها، قال في شرحه للعرشية ما مفاده أن الجميع يدَّعي من مكاشفته الصواب، وذلك في نظره «دعوى باطلة، إلا أن يشهد الله سبحانه بصحتها، وذلك بما أنزل في محكم كتابه، وأوحى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وألهم أولياءه أهل البيت عليهم السلام، فإذا اختلفت الأربعة فعليهم الترافع إلى محكم الكتاب والسنة، فمن شهدا له بالصدق فهو الصادق، ومن لم يشهدا له فأولئك هم الكاذبون»[٢٩].

فالكشف لدى المدرستين ليس ميزاناً للمعرفة.

وقد أثيرت على الشيخ الأحسائي شبهة أخذه بالمنهج الصوفي الإشراقي لاعتماده على المكاشفات في تلقِّي المعارف الحكمية عن المعصومين عليهم السلام كما ذكر في ترجمته لنفسه[٣٠].

ولا يمكننا اعتبار مكاشفاته علماً لَدُنِيًّا ادَّعاه لنفسه، لأنه لا يعتبر بالمكاشفة إن خالفت الشريعة كما تقدم، ولعدم إتيانه بروايات موضوعة زعم أن المعصومين عليهم السلام حدثوه بها في المنام. بل قال باطلاعه على أدلة المسائل من خلال الرؤيا بما هو مأثور في الكتب المشهورة عن المعصومين عليهم السلام، وأقام الأدلة الشرعية على آرائه الحكمية وأتى ببراهينها العقلية.

وقد وجدنا في سير علماء الشيعة ما يؤكد استئناسهم بالكشف المطابق للكتاب والسنة، إذ توصل الكثير منهم إلى بعض الحقائق الدينية عن طريقه، كالشيخ البهائي[٣١]، والميرزا محمد التنكابني[٣٢]،

---

(٢٩) الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، شرح العرشية، ج:١، ص: ٤٥.

(٣٠) قال في ترجمته المخطوطة لنفسه ونشرت في مقدمة شرحه على الزيارة الجامعة: «توجهت إلى الإخلاص في العبادة، وكثرة الفكر والنظر في العالم، وكثرة قراءة القرآن، والاعتبار، والاستغفار في الأسحار، فرأيت منامات غريبة عجيبة في السماوات وفي الجنات وفي عالم الغيب والبرزخ ونقوشاً وألواناً تبهر العقول، ثم انفتح لي رؤيتهم عليهم السلام، حتى أني أكثر الليالي والأيام أرى من شئت منهم على ما أختار منهم الذي أراه عليهم السلام، وإذا رأيت أحداً منهم وانتبهت وانقطع كلامي قبل تمامه رجعت في النوم ورأيت ذلك الذي رأيته عند منقطع كلامي حتى أتمِّمُه، وإذا ذكر لي أحد من الناس: أنْ إذا رأيتهم تسأل لي الدعاء رأيت كذلك..».

(٣١) نقل العلامة المجلسي عن انفتاح باب المكاشفات بالرؤيا له حين كان في حرم أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «وفتح الله عليَّ ببركة مولانا صلوات الله عليه أبواب المكاشفات التي لا تحتملها العقول الضعيفة...» ونقل تصحيح الإمام الرضا عليه السلام لسند الزيارة الجامعة. (بحار الأنوار، ج: ١٠٢، ص: ١١٣- ١١٤).

(٣٢) من أعلام القرن الثالث عشر الهجري، ويعد أبرز تلامذة الشيخ محمد تقي البرغاني الذي أفتى بكفر الشيخ الأحسائي في قزوين، ومنهجه في تخطيء الشيخ الأحسائي والرد عليه ظاهر لكل من تصفح قصص العلماء، قال: «ومن جملة الإفاضات التي نلتها أنني في ليلة من الليالي أيام الإقامة في كربلاء

والشيخ محمد تقي البرغاني المعروف بالشهيد الثالث[٣٣]، والميرزا مهدي الأصفهاني[٣٤]، وآخرين لا يسعنا حصرهم.

نقد منهج الفلاسفة

الفلسفة كلمة دخيلة على اللغة العربية، أُخِذت من كلمة (فيلاسوفوس) اليونانية، وتعني محب الحكمة. وأول من أطلقها على نفسه سقراط عندما تصدّى لمواجهة السوفسطائيين في بلاد اليونان، وتحوّلت في العربية إلى كلمة (فيلسوف) ومنها أُخِذَت كلمة الفلسفة[٣٥]. وهذا يعني أن نمط التفكير الفلسفي عند العرب ليس قديماً، بل إنك لا تجد له ذكراً قبل الإسلام حتى نشاط حركة الترجمة في العصرين الأموي والعباسي بإشراف السلطة السياسية.

وقد جرّ الانفتاح على الثقافة اليونانية العقول العربية نحو آفاق فكرية جديدة لم تكن معهودة، وكان الاعتقاد ببعضها كفراً في نظر بعض العلماء، وإيماناً محضاً لدى بعضهم الآخر، فانقسموا متجادلين إلى مؤيد للمنهج الفلسفي، ومنكر له، وأسفر جدالهم عن مؤلفات كثيرة، أشهرها كتاب (تهافت الفلاسفة) للغزالي، وكتاب (تهافت التهافت) لابن رشد في الرد على الغزالي.

جعل الفلاسفة من العقل وحده ميزاناً في معرفة الحقائق، وكلّ شيء خارج عن الاستدلال العقلي لا اعتبار به ولا يمكن قبوله حسب مذهبهم[٣٦]، ورد عليهم السيد سيدان بما يلي:

أولاً: مقبولية العقل لكل ما يدركه ويصل إليه، وقد وُجِد اختلاف كبير بين الفلاسفة

رأيت الإمام موسى الكاظم عليه السلام في عالم الرؤيا فسألته عن عدة أمور فأجابني، ثم سألته: ما هو الحق في المسألة المعروفة الظن الخاص والظن المطلق فلم يجب عليه السلام، فعلمت أن المقصود أنه في هذا الأعصار حيث إمام الزمان غائب وباب العلم مفسد، يجب العمل بالأحكام الظاهرة بين أيدينا» (الميرزا محمد التنكابني، قصص العلماء، ص: ٨٢).

(٣٣) ذكر تلميذه الميرزا التنكابني في (قصص العلماء) عندما تعرض لترجمته بأنه كان يمنع تمثيل حادثة كربلاء في مصيبة سيد الشهداء عليه السلام، كما كان يمنع المراثي وإنشاد مصائب أهل البيت عليهم السلام إلى أن رأى في إحدى ليالي القدر رسول الله صلى الله عليه وآله على منبر المسجد الذي يصلي فيه وخاطبه قائلاً: «أيها الشيخ لا تمنع من الغناء في مراثي ولدي الحسين فليقرؤوا كما يشاؤون»، وقد ذكر تفصيل هذا المنام في كتاب مجالس المتقين. ولم يعد يمنع من إنشاد المصيبة وجوّز التمثيل بعد ذلك المنام، وكان هو بنفسه يحضر المجالس.

(٣٤) تلقّى عن الإمام الحجة ما هو صريح في خطأ منهجه العرفاني فعدل إلى منهجه التفكيكي كما نقلنا في ترجمته عن تلميذه الشيخ علي النمازي الشاهرودي.

(٣٥) راجع: الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ج: ١، ص: ١٧.

(٣٦) السيد جعفر سيدان، المصدر السابق، ص: ١٦.

في الأصول والمباني الأساسية للتعقل والتفكير إلى حد التناقض والتضاد في أكثر المسائل المهمة، وهذا شاهد على أن العقل لا طريق له إلى كل المسائل والحقائق، بل إن الواضح من الأمور لدى العقل محدود وكثير من المسائل المهمة لا وضوح فيها عقلاً.

ثانياً: أن الكثير من المسائل غير الخارجة عن حدود العقل مكتنفة بالدقة العقلية، بحيث يكون كشفها وإدراكها نادراً لكبار الناس، فتبقى دائرة الاستفادة من العقل محدودة في حدود البَدَهِيَّات والبرهانيات، ولا يمكن الاستفادة منه في جميع مجالات المعرفة.

وكان الأحسائي قد أخذ على الفلاسفة اختلافهم، ورآه دليلاً على بطلان منهجهم[٣٧]، وأفاد بمحدودية الاستفادة من العقل لأنه لا يستقل في إدراك الاعتقادات بمعزل عن النص الشرعي الوارد عن المعصومين عليهم السلام وإلا لاهتدى المخالفون بدونهم عليهم السلام[٣٨]. كما نبَّه إلى وقوع الأخطاء في ترجمة كتب الفلاسفة اليونان وأن نُسخها المعرَّبة مخالفة لجوهرها الأصلي[٣٩].

الميزان الصحيح:

يرى السيد سيدان أن الأسلوب الصحيح للوصول إلى حقائق الوجود والكون هو الاعتماد على العقل في دائرة المستقلات العقلية الّتي يتفق فيها عموم العقلاء، وبعد الإيمان بالله جل وعلا، ورسالة خاتم الأنبياء، وما جاء به الوحي، بعد ثبوت ذلك بدليل هذا العقل الفطري، فقد انفتح باب آخر صحيح لتحصيل الحقائق يوجب الاطمئنان واليقين، وهو: التدبر والتعقل فيما جاء به الوحي، فما يتضح مما جاء به الوحي بعد صحة الدليل سنداً ودلالة هو الحق والحقيقة. وإن لم ينتخب الإنسان هذا الطريق فاحتمال وقوعه في خطر

(٣٧) الشيخ أحمد الأحسائي، شرح الفوائد، ج: ٢، ص:٣٦٩.

(٣٨) الشيخ أحمد الأحسائي، شرح الزيارة الجامعة، ج: ٣، ص: ١٥٥.

(٣٩) قال في شرح الفوائد (ج: ٢، ص:٣٦٩): «لو ترجمت قول الفارسي (قسم بخور) فقلت: قسم بمعنى اليمين، وبخور بمعنى كل، فإنه يبطل المعنى ويكون غير مراد الفارسي، لأن مراده الحْلِفْ، وعلى ترجمتك يكون المعنى كل اليمين. فلما كثر الخطأ من اجتهاد الحكماء من أنفسهم من غير أخذه من قواعد الوحي كما نزل، بل ربما فرّعوا عليه ما لا يدخل تحت قواعده، ومن الخطأ في الترجمة، ومن تجويز سوء الفهم، اختلف رأي المتقدمين مع المتأخرين». وسوء الترجمة إشكال طرحه الإسلاميون على خصومهم الفكريين المتأثرين بالفلسفة، كأبي حامد الغزالي في مقدمته الأولى بكتابه (تهافت الفلاسفة) بقوله: «ثم المترجمون لكلام رسطاليس لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل مُحوِج إلى تفسير وتأويل، حتى أثار ذلك أيضاً نزاعاً بينهم». وكذلك آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي في كتابه (العرفان الإسلامي) ص: ٩٢ - ٩٤، ورأى أن المترجمين لم يعنوا بترجمة أفكار كافة الفلاسفة، وأنهم قد أسبغوا على المؤلفات اليونانية صيغتهم وتفسيراتهم، بل وقاموا بتأويل الأقوال ليرفعوا النزاع بين الفلاسفة.

الاشتباهات العظيمة قوي جدًّا[٤٠].

ورؤيته تطابق دعوة الأحسائي إلى اعتماد العقل الفطري تحت مظلة النص الشرعي، لأن الاعتماد على العقل وحده لا يؤدي إلى الحقيقة بل إلى الخلاف الذي وقع بين الفلاسفة. قال: «وأنت إذا نظرت إلى صور أجسامهم وكلامهم وأفعالهم الطبيعية رأيتها كلها مختلفة، وهي صفة بواطنهم، وإذا جرى كل واحد منهم على مقتضى طبيعته خاصة، كما هو معنى قولهم: «إن الاعتقادات أمور عقلية لا يجوز فيها التقليد» وجب أن يختلفوا ولا يتفقوا، بخلاف الذين يعتقدون بعقولهم ما يفهمونه من شيء واحد، بأن يكون كل واحد منهم طالباً للمراد من ذلك الشيء الواحد، فإنهم لا يختلفون لاجتماعهم عليه. مثاله: إذا نظر جماعة إلى شخص حاضر عندهم، فإنهم لا يختلفون في وصفه اختلافاً كثيراً، لأن أفهامهم في إدراك صفاته تابعة لأبصارهم، فيفهمون مما رأوا. وهؤلاء أمثال العلماء الذين يعتقدون بعقولهم بما علَّمهم الله تعالى، وأخبرهم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وأوصياؤه عليهم السلام، فإنهم لا يكادون يختلفون، لأن كلام الله سبحانه، وكلام نبيه وأهل بيته عليه وعليهم السلام يجمعهم، وأما الذين يعتقدون ما يخطر على خواطرهم من غير أمر جامع ترجع تلك الخواطر إليه، بل كل واحد منفرد عن غيره، فإنهم كما كانوا مختلفين في الصور -بحيث لا تجد اثنين على صورة واحدة- كذلك هم في اعتقاداتهم»[٤١].

ولا يتأتى استخدام العقل الفطري وتطويعه للنص الشرعي إلا بالتجرد من ترسبات الأفكار الدخيلة، لذا اشترط على الباحث في مقدمة شرحه للمشاعر: «أن ينظر الناظر فيه بمحض فهمه، وخالص دليل عقله، ولطيف فطرته التي فطر عليها وحسه، غير ملتفت إلى ما أنست به نفسه من المطالب، ولا إلى قواعد رسخت في ذهنه مما حفظها، قبل أن يفتح له باب العلم العياني، والبرهان النوراني، ولا إلى دواعٍ نفسانية من الحياء والاستنكاف عن التعلم، فإن العالم إنما يكون عالماً بالتعلم..»[٤٢].

نقد منهج الفلاسفة الإسلاميين (العرفاء والإشراقيين)

سعى الكثير من الفلاسفة إلى أن تكون الفلسفة من النخبة وإلى النخبة فقط، ذلك أن الفلسفة لا تقدم إلا بالفلسفة[٤٣]. وخالفهم آخرون وقالوا بأن تكون لكل الناس[٤٤]، أما صدر

(٤٠) آية الله السيد جعفر سيدان، المصدر السابق، ص: ١٨.

(٤١) الشيخ أحمد الأحسائي، المصدر السابق، ج:١، ص:١٨٧-١٨٨.

(٤٢) الشيخ أحمد الأحسائي، شرح المشاعر، ج:١، ص: ٢١-٢٢، مؤسسة البلاغ.

(٤٣) وكان الفيلسوف الأوروبي هيغل أبرز الدعاة إلى ذلك (راجع: جورج بوليتزر، مبادئ أولية في الفلسفة، ص: ٥، دار الفارابي، بيروت، لبنان).

(٤٤) المصدر السابق.

المتألهين الشيرازي مؤسس مدرسة العرفاء الشيعة -الحكمة المتعالية- فقد عالج قضاياها بعمق تميّز بمتانة العبارة، وعظيم البلاغة، وحسن الأداء، وسهولة الطرح، فانجذبت إليه العوام والنخب. كما هاج عليه الكثير من علماء عصره، بما فيهم ابنه الميرزا إبراهيم[٤٥]، ويقال بأنه «رأى المير[٤٦] في المنام وسأله: لماذا يكفرني الناس ولا يكفرونك مع أن مذهبي لا يخرج عن مذهبك؟ فقال له: السبب هو أنني كتبت مطالب الحكمة بحيث يعجز العلماء عن فهمها، ولا يمكن لغير أهل الحكمة أن يفهموها، وأنت كتبت الحكمة بشكل مبتذل، وبينتها بحيث إذا رآها معلم مكتب يفهمها، ولذا كفروك ولم يكفروني»[٤٧].

يعتقد صدر المتألهين بأن العلوم الإلهية هي عين الإيمان بالله، وهي «ليست من المجادلات الكلامية، ولا من التقليدات العامية، ولا من الفلسفة البحثية المذمومة، ولا من التخيلات الصوفية، بل هي من نتائج التدبر في آيات الله، والتفكر في ملكوت سماواته وأرضه، مع انقطاع شديد عما أكب عليه طبائع المجادلة والجماهير، ورفض تام لما استحسنه قلوب المشاهير..»[٤٨].

ولا ترى المدرستين الأحسائية والخراسانية أية مصاديق في مطابقة المنهج الذي ادَّعاه صدر المتألهين مع نتائج فلسفته، فتجد الأحسائي في شرح المشاعر قد ردَّ عليه وساق الأمثلة على تطابق آرائه والصوفية، قال: «أي شيء تعتقده الصوفية بتخيلاتهم فهو يقول به، فإنهم يقولون: ليس لله في الأشياء قبل إيجادها وجهين، إن شاء جعلها متحركة، وإن شاء جعلها ساكنة، وإنما له وجه واحد، لأن مشيئته أحدية التعلق، وهي نسبة تابعة للعلم، والعلم نسبة تابعة للمعلوم، والمعلوم أنت وأحوالك، وهو يقول بهذه كلها.

والصوفية يقولون: معطي الشيء ليس فاقداً له في ذاته، إلا أنه في ذاته بوجه أشرف، وهو يقول بذلك.

وهم يقولون: بسيط الحقيقة كل الأشياء، وهو يقول بذلك.

وهم يقولون: مآل أهل النار إلى النعيم، فإنهم يتنعمون بالتعذيب، وهو يقول بذلك.

---

(٤٥) قال الشيخ يوسف البحراني: «كان فاضلاً عالماً متكلماً جليلاً نبيلاً جامعاً لأكثر العلوم سيما في العقليات والرياضيات، قال بعض أصحابنا -بعد الثناء عليه-: وهو في الحقيقة مصداق (يخرج الحي من الميت). قد قرأ على جماعة منهم والده ولم يسلك مسلكه، وكان على ضد طريقة والده في التصوف والحكمة، وقد توفي رحمه الله في دولة السلطان شاه عباس الثاني بشيراز في عشر السبعين بعد الألف. ومن مؤلفاته حاشية على شرح اللمعة إلى كتاب الزكاة، وله أيضاً كتاب تفسير العروة الوثقى» (لؤلؤة البحرين، ص: ١٣٢).

(٤٦) هو المير محمد باقر الداماد، من كبار الفلاسفة الشيعة، أستاذ صدر المتألهين، توفي في العام ١٠٤١هـ.

(٤٧) محمد سليمان التنكابني، قصص العلماء، ص: ٣٥٨، دار المحجة البيضاء.

(٤٨) راجع مقدمته في كتابه (المشاعر).

وهم يقولون بجواز التفكه بالمردان في مقام النفس الملهمة، وهو يقول بذلك كما في أشعاره.

وهم يقولون: إن فرعون مات مؤمناً طاهراً لأنه بعد إيمانه لم يعمل ذنباً، والإسلام يجب ما قبله، وهو يقول بذلك، لأنه لما قال مميت الدين[٤٩] بذلك في الفصوص، قال: وهذا كلام يشم منه رائحة التحقيق. وأمثال هذه من تخيلاتهم، فإنه قائل بكل ما قالوا..»[٥٠].

ويرى السيد سيدان أن هناك جمعاً من الفلاسفة الإسلاميين مع تقيدهم بالإسلام إلا أنهم عملاً يتابعون في البحوث العلمية والأفكار والآراء للشخصيات والنوابغ البشرية، ويعتمدون عليهم في مختلف المسائل، وإذا ما كانت أفكارهم مخالفة للشريعة فإنهم يسعون لتوجيه الشريعة وتأويلها بالشكل الذي يحصل التوافق والانطباق بينهما، وهم العرفاء والإشراقيون، المشتركون في جهة واحدة، وهي الجمع بين العقل والكشف، لا بمعنى أنه لا بد من الجمع بين العقل والكشف في الكشف عن الحقائق، بل بمعنى أنه يصح عندهم انتخاب أي من الطريقين. وهؤلاء يؤولون ويوجهون الآيات والروايات أكثر من الفلاسفة، ويتمسكون بالمتشابه من الآيات والروايات لأجل إثبات آرائهم ونظرياتهم[٥١]، ثم أتى بنظرية صدر المتألهين في المعاد مثالاً على فكر أولئك المؤولين.

نقد نظرية صدر المتألهين في المعاد

تدل هذه النظرية في فكر المدرستين الأحسائية والخراسانية على خلل ميزان المعرفة لدى مدرسة العرفاء الشيعة -الحكمة المتعالية- لعدم اعتمادها النص الشرعي والعقل الفطري، بل قيامها بتأويل النصوص الشرعية لتوافق آراء الفلاسفة.

ابتدأ السيد سيدان نقده بذكر الآيات الكريمة والروايات المعتبرة المصرحة بأن المعاد الجسماني يكون بأجزاء الإنسان المكونة في دار الدنيا والأرواح، كقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيْمٌ ﴾[٥٢].

(٤٩) يقصد محي الدين ابن عربي، من رموز الصوفية، وعن علاقته بفكر صدر المتألهين قال الشيخ حسن زاده الآملي « الذي راح يفكك نصوص صدر الدين الشيرازي ويرجع محتوياتها إلى أصولها في كتابات ابن عربي، فانتهى بعد ما يناهز العشرين عاماً من البحث التنقيبي إلى ما يلي: (إن جميع المباحث الرفيعة والعرشية للأسفار منقولة من الفصوص والفتوحات وبقية الصحف القيمة والكريمة للشيخ الأكبر وتلاميذه بلا واسطة أو مع الواسطة) ثم يقول: (إذا ما اعتبرنا كتاب الأسفار الكبير مدخلاً أو شرحاً للفصوص والفتوحات فقد نطقنا بالصواب) «. راجع كتاب التوحيد للسيد كمال الحيدري في حاشية على العلم الذاتي.

(٥٠) الشيخ أحمد الأحسائي،شرح المشاعر، ج:١،ص:٥٢-٥٣.

(٥١) السيد جعفر سيدان، ألمصدر السابق، ص: ٢٠.

(٥٢) يس، آية: ٧٨.

وقوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَلَّنْ نَّجْمَعَ عِظامَهُ ﴾[٥٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قالَ اَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴾[٥٤].

والروايات الشريفة: «في الاحتجاج: عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن الناس يُحشرون يوم القيامة عراة؟ قال عليه السلام: بل يحشرون في أكفانهم، قال: أنّى لهم بالأكفان. وقد بليت؟ قال عليه السلام: إنّ الّذي أحيا أبدانهم جدّد أكفانهم».

وَ«عن الصادق عليه السلام قال: إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم».

وَ«عن الصادق عليه السلام قال: أتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذه وفأخرجه إلى البقيع فانتهى به إلى قبر فصوّت بصاحبه فقال: قم بإذن الله، فخرج منه رجل أبيض الرأس واللّحية يمسح التراب عن وجهه وهو يقول: الحمد لله والله أكبر، فقال جبرئيل: عد بإذن الله، ثم انتهى به إلى قبر آخر، فقال: قم بإذن الله فخرج منه رجل مسودّ الوجه وهو يقول: يا حسرتاه يا ثبوراه، ثم قال له جبرئيل: عد إلى ما كنت بإذن الله، فقال: يا محمّد هكذا يحشرون يوم القيامة، والمؤمنون يقولون هذا القول، وهؤلاء يقولون ما ترى».

ثم نقل من الأسفار الأربعة كلام صدر المتألهين في المعاد، وتصريحه في مواضع كثيرة من كتبه أن المعاد في القيامة هو هذا البدن بعينه، إلا أنه صرح مراراً أنّ المراد من عينيّة هذا البدن ليس الجسم العنصري المادي، بل صورة البدن بلا مادة، يعني البدن القائم بالنفس والمُنشأ بواسطة النفس والّذي يكون من ملكاتها وهذا النوع من المعاد مختص للمتوسطين من الناس وأمّا الكاملون من الناس فقيامتهم بالروح فقط بلا بدن حتى مثل هذا البدن الآنف الذكر. كقوله: «فكل جوهر نفساني مفارق يلزم شبحاً مثاليًّا ينشأ منه بحسب ملكاته وأخلاقه وهيئاته النفسانية بلا مدخلية الاستعدادات وحركات المواد كما في هذا العالم شيئاً فشيئاً» إلى أن قال: «فإن قلت: النصوص القرآنية دالة على أنّ البدن الأخروي لكل إنسان هو بعينه هذا البدن الدنياوي له، قلنا: نعم ولكن من حيث الصورة لا من حيث المادة، وتمام كلّ شيء بصورته لا بمادته».

وأيضاً: «وأنزل من هذه المرتبة من الاعتقاد في باب المعاد وحشر الأجساد اعتقاد علماء الكلام، كالإمام الرازي ونظرائه بناءً على أنّ المعاد عندهم عبارة عن جمع متفرقات أجزاء ماديّة لأعضاء أصلية باقية عندهم» إلى أن قال: «ولا يخفى على ذي بصيرة أنّ النشأة الثانية طور آخر من الوجود يباين هذا الطور المخلوق من التراب والماء والطين، وأنّ

(٥٣) القيامة، آية: ٣.

(٥٤) البقرة، آية: ٢٥٩.

الموت والبعث ابتداء حركة الوجود إلى الله أو القرب منه لا العود إلى الخلقة المادية والبدن الترابي الكثيف الظلماني».

واختتم سيدان بحثه بذكر كلمات لثلاثة شخصيات علمية مرموقة في الرد على نظرية صدر المتألهين، وهم: آية الله ميرزا أحمد الآشتياني، وآية الله الحاج الشيخ محمد تقي الآملي، وآية الله السيد أحمد الخوانساري.

وكان الأحسائي قد فهم من كلمات صدر المتألهين ما ينفي المعاد الجسماني، قال في شرحه للعرشية إن: «مجاري مراداته في عباراته تشعر بأن الدار الآخرة بجميع ما فيها عند المصنف أمور عقلية وليس فيه شيء من الأجسام ولا من الأمور الظاهرة بل ولا شيء من عالم الشهادة، ولقد تبت أيديهم، وخسرت صفقتهم، وما أشبه هذا الرأي بقول الصابئة الأولى الذين يقولون: بغاديمون وهرمس، يعنون بهما شيث وإدريس، ولم يقولوا بغيرهما من الأنبياء (على محمد وآله أفضل الصلاة والسلام)، فإنهم -أعني الصابئة- اقتصروا على المعقول من قولهما وتركوا المحسوس، والكل قد تجنبوا طريق الرشاد وتركوا سنة المنذر ومنهاج الهادي صلى الله عليه وآله وسلم»[٥٥].

وكان يعتقد أن المعاد يكون بالجسد الأصلي للإنسان، وهو ما جر عليه الاتهام بإنكار المعاد الجسماني، وكان ذلك شرارة تكفيره في قزوين سنة (١٢٣٦هـ)[٥٦]، وشحن النفوس عليه في كربلاء[٥٧]، ومراده من هذا الجسد أنه الجسد الأصلي للإنسان في الدنيا والآخرة،

---

(٥٥) الشيخ أحمد الأحسائي، شرح العرشية، ج: ٢، ص: ٢٩١.

(٥٦) ذكر ابنه الشيخ عبد الله في ترجمته لحياة والده بأنه ارتحل من كرمان شاه إلى قزوين عندما حل الوباء الشديد على إيران بعد مضي سنة من وفاة شاه زاده، وقد ذكر ابن بشر هذا الوباء ضمن حوادث سنة ١٢٣٦هـ في تاريخه (عنوان المجد في تاريخ نجد، ج: ١، ص: ٤٥٩).

(٥٧) نقل السيد محمد حسن الطالقاني في كتابه (الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها، ص: ١٠٦، مكتبة المعارف، النجف الأشرف)، رسالة كتبها الأحسائي إلى تلميذه الشيخ عبدالوهاب القزويني -من كبار العلماء المعروفين بالزهد والعبادة وله إجازة من أربعين مجتهداً (محمد سليمان التنكابني، قصص العلماء، ص: ١٠٥)- فيها عرض واف لما جرى معه في كربلاء المقدسة، وتوضيح رأيه في المعاد، ومتنها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جناب عالي الجناب، ولب الألباب، الداخل في الخيرات من كل باب، أهدي جميل التحية والسلام، أصلح الله أحواله وبلّغه آماله في مبدئه ومآله بحرمة محمد وآله، آمين رب العالمين.

أما بعد، فإن سألتم عن محبكم وداعيكم فأنا أحمد الله إليكم، أما أنا من جهة نفسي ظاهري وباطني ففي راحة، وأما الناس من جهتي فقد اختلفوا، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اختلفوا ولكن الله يفعل ما يريد.

جاء الورع الزاهد الشيخ متقي وأراد أن يطعن على جنابك، فلم يجد غير أنه نظر في بعض كتبي في قولي: «إن للإنسان جسدين الأول يعاد يوم القيامة وهو الجسد الأصلي، والثاني أعني العارضي الذي ليس للإنسان، وإنما هو عرض لحق المكلف من الأكل والشرب وليس من حقيقه، وإنما هو في نفس

وقد فصّل رأيه في شرحه على الزيارة الجامعة، فقرة «وأجسادكم في الأجساد» قائلاً: «هو الجسد الباقي، وهو الطينة التي خلق منها، ويبقى في قبره إذا أكلت الأرض الجسد العنصري وتفرّق كل جزء منه ولحق بأصله، فالنارية تلحق بالنار، والهوائية تلحق بالهواء، والمائية تلحق بالماء، والترابية تلحق بالتراب، يبقى مستديراً كما قال الصادق عليه السلام، وقد قال علي عليه السلام في النفس النامية النباتية فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئت عود ممازجة لا عود مجاورة، وعنى بها هذا الجسد العنصري الذي ذكرنا، وأما الثاني الباقي هو الذي

الأمر جسد تعلمي أو بمحكمه، وإن قلت: إنه من العناصر فإن كل ما تحت فلك القمر من العناصر والجواهر والأغراض». ونفخ الشيطان في قلبه، فقال: إنه كفر، وهذا كافر، والمولى عبدالوهاب صلى خلف الكافر، وأعانه عليه قوم آخرون ﴿ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ [الفرقان: ٤] ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١١] خوفاً على دراهم العجم والهند، حتى قالوا: إنك تقول: إن الذي خلق السماوات والأرض علي بن أبي طالب عليه السلام، وحكموا بنجاسة الأرض التي أطؤها، وبنجاسة حضرة الحسين عليه السلام لأني أدخل عليه للزيارة، والأمر الأعظم مما تسمع، وبذلوا الأموال على ذلك القريب والبعيد تشييداً لتكفيري ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤١].

وقلت: هذا كلام للخواجه نصير الدين في التجريد، والعلامة في شرح التجريد، ولا تجب إعادة فواضل الإنسان، وبيّنه العلامة في الشرح أنه لا يحشر إلا الطينة الأصلية، وقال المجلسي كلاماً طويلاً من جملته: «دويم انكه دربدن أصلية هست كه باقي است ازاول عمر تا آخر عمر، وأجزاء فضيلة ميباشد، زيادة وكم ومتغيرو متبدل ميشود، وإنسان كه مشار إليه است بأنا ومن آن أجزاى أصلية است كه مدار حشر ونشر وثواب وعقاب برآن است».

وفي هذا الكتاب مثل هذا الكلام كثير، والصادق عليه السلام كما في الكافي سئل عن الميت: «هل يبلى جسده؟ قال: نعم حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلا الطينة التي خلق منها، فإنها لا تبلى تبقى في قبره مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة»، وكل العلماء على هذا، فقد جعلوا هذا الجسد الثاني الذي لا يعود -كما هو رأيي- هو الجسد التعليمي أعني العارض أو العرض، حتى أني صرحت في بعض كتبي بأن الجسد الذي يعاد لو وزن لما زاد على هذا الذي في الدنيا المرئي مقدار ذرة، فإن الله يقول: ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] فقوله: ﴿ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ أي بعينها ذلك، ولكن متى كنت كافراً جاهلاً بالميعاد وأنا أدّعي أنه ما أحد -كذا- عرف مثلي، وقد وقف علماء العرب والعجم كلهم عليها، فما طعن فيها إلا جاهل بمعنى قولي، أو معاند منكر للحق، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا قال أحدكم لأخيه يا كافر كفر أحدهما»، لكن يا شيخ حسبي الله وكفى به شهيداً إن الله يقول في كتابه الحق: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٧].

والحاصل أنا أقول: حسبي الله وكفى، ليس وراء الله منتهى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وسلام على من يعز عليك، وخص نفسك بالسلام». انتهى.

وأود أن أشير إلى أن خروج الأحسائي من إيران كان في العام ١٢٤٠هـ، بعد حادثة تكفيره في قزوين بأقل من أربع سنوات، وكان خلال تلك المدة يحظى باحترام الأساطين، فقد ذكر الملا هادي السبزواري صاحب المنظومة ما ملخصه: «في سنة ١٢٤٠هـ التي جاء فيها الشيخ أحمد الأحسائي إلى أصفهان كنت مع تلاميذي أحضر درس الشيخ بأمر من الآخند النوري، وقد حضرت درسه مدة ٥٣ يوماً، وكان في مقام الزهد عديم النظير، ولكنه ما كان في نظر فضلاء أصفهان بتلك المنزلة من العلم» (أعلام هجر، ج: ١، ص: ١٥٤ نقلاً عن مقدمة كتاب شرح منظومة السبزواري.). ويبدو أن مدة إقامته في كربلاء المقدسة وحتى وفاته سنة ١٢٤١هـ لم تبلغ السنتين.

ذكره الصادق (عليه السلام) تبقى طينته التي خلق منها في قبره مستديرة[٥٨] أي مترتبة على هيئة صورته أجزاء رأسه في محل رأسه وأجزاء رقبته في محلها، وأجزاء صدره في محله، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[٥٩].

وهذا الجسد هو الإنسان الذي لا يزيد ولا ينقص يبقى في قبره بعد زوال الجسد العنصري عنه الذي هو الكثافة والأعراض، فإذا زالت الأعراض عنه المسماة بالجسد العنصري لم تره الأبصار الحسية، ولهذا إذا كان رميماً وعُدم لم يوجد شيء حتى قال بعضهم: إنه يعدم وليس كذلك، وإنما هو في قبره إلا أنه لم تره أبصار أهل الدنيا لما فيها من الكثافة، فلا ترى إلا ما هو من نوعها، ولهذا مثل به الصادق صلوات الله عليه بأنه مثل سحالة الذهب في دكان الصائغ، يعني أن سحالة الذهب في دكان الصائغ لم ترها الأبصار، فإذا غسل التراب بالماء وصفّاه استخرجها، كذلك هذا الجسد يبقى في قبره هكذا، فإذا أراد الله سبحانه بعث الخلائق أمطر على كل الأرض ماء من بحر تحت العرش، أبرد من الثلج، ورائحته كرائحة المني يقال له صاد، وهو المذكور في القرآن، فيكون وجه الأرض بحراً واحداً، فيتموج بالرياح، وتتصفى الأجزاء، كل شخص تجتمع أجزاء جسده في قبره مستديرة، أي على هيئة بنيته في الدنيا، أجزاء الرأس ثم تتصل بها أجزاء الرقبة، ثم تتصل أجزاء الرقبة بأجزاء الصدر، والصدر بالبطن، وهكذا، وتمازجها أجزاء من تلك الأرض، فينمو في قبره كما تنمو الكمأة في نبتها، فإذا نفخ إسرافيل في الصور تطايرت الأرواح كل روح إلى قبر جسدها، فتدخل فيه فتنشق الأرض عنه كما تنشق عن الكمأة»[٦٠].

تنـــــويـه:

نود أن نشير إلى أنه وإن جرى خلاف كبير بين علمائنا في القضايا الفكرية الشائكة، وكيفية توظيف النصوص الشرعية والتعامل معها، فإنهم يُبدون حسن الظن، ويحفظون المقامات، ويبقون في منأى عن التكفير. وهذا ما نجده جليًّا في مناقشاتهم، كقول العلامة المجلسي في تعليقه على جواب للسيد الشريف المرتضى: «ولم نتعرض للرد والقبول حذراً من أن ينتهي القول إلى ما لا يرتضيه من يعرف الحق بالرجال، ويمكن تأويل كلامه بحيث

(٥٨) جاء في موثقة عمار عن الصادق (عليه السلام)، أنه قال: سئل أبو عبد الله (عليه السلام) عن الميت هل يبلى جسده؟ قال: «نعم، حتى لا يبقى لحم، ولا عظم، إلا طينته الأصلية التي خُلق منها، فإنها لا تبلى، بل تبقى في القبر مستديرة، حتى يُخلق منها كما خلق أول مرة» (أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، من لا يحضره الفقيه، ج: ١، ص: ١٩١، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة).

(٥٩) الصافات، آية: ١٦٤.

(٦٠) الشيخ أحمد الأحسائي، شرح الزيارة الجامعة، ج: ٤، ص: ٢٠ - ٢١.

لا ينافي ما نظن فيه ونعتقده من غاية العرفان، والله أعلم بحقيقة الحال..»[٦١].

وكوصف الشيخ الأحسائي لصدر المتألهين الشيرازي بالعالم الجليل الفاخر، والحكيم المتوغل الماهر[٦٢]. وتأكيده على أن جوهر الخلاف بينهما فكري محض، ودافعه تبيان الحقيقة، وليس الحسد والبغضاء، قال: «اعلم أيها الناظر في كلامي أني أعتقد أني إذا قلت قولاً فإني أُملي على كاتبين لا يغادران صغيرة ولا كبيرة، فلا تتوهم على أن بيني وبين المصنف شيئاً من عداوة، أو حقد، أو حسد، أو تكبر، أو شيء حداني إلى الرد عليه غير بيان الحق»[٦٣].

وحتى لا يتوهم أحد اعتقاده بكفر صدر المتألهين وأتباع مدرسته الحكمية، قال في أجوبة المسائل الدامغانية: إن «تكفيرهم فذلك شيء عند الله وأنا لا أعلم حكمهم عند الله سبحانه». وذكر أن «كثيراً من القائلين بهذا أناس لهم إيمان وديانة وصلاح واعتقاد عظيم في أهل البيت عليهم السلام لو علموا بأن هذا القول مناف لمذهب أئمتهم وأنه مذهب أعدائهم لتركوا وأنكروه ولكن شُبِّهَ لهم فلأجل هذا أسكت عنهم»[٦٤] □

(٦١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج: ٢٧، ص:٢٧٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٦٢) راجع مقدمة شرحه للعرشية.

(٦٣) المصدر السابق، ص ٦٣ — ٦٤.

(٦٤) السيد كاظم الرشتي، رسالة كشف الحق، من مجموعة الرسائل، طبعة حجرية، نقلاً عن: أجوبة المسائل الدامغانية للشيخ أحمد الأحسائي.

الإجازة الروائية عند علماء الأحساء

■■ الشيخ محمد علي الحرز*

عناية العلماء بالحديث:

أولى العلماء مسألة الحديث كل جهدهم وطاقتهم، من حيث العناية والحماية، فهو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، والشارح والموضح لمجملات القرآن، ومعانيه الكبرى، فكلمات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام ليست عبارات نابعة من إنسان مجرد يمكن أن يخطئ أو يشتبه، بل هي في الوقت نفسه توضيح وتشريع تبين الكثير من الحقائق الدينية التي لا تتأتى إلا لأهل البيت العصمة عليهم السلام.

هذا الفهم الشمولي من قبل أهل البيت عليهم السلام دفعهم لتكريس العمل على حفظ الحديث وتوعية المجتمع ورجال العلم بضرورة حفظ الحديث والعناية به وصيانته من الدس والتحريف، وقد أكد عليه كم هائل من الروايات منها:

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره...»[1].

وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسجد الخيف: «نضر الله عبداً سمع مقالتي وبلَّغها من لم تبلغه، يا أيها الناس! ليبلغ الشاهد الغائب...»[2].

والحديث المشهور: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً... بعثه الله فقيهاً عالماً يوم

* عالم دين، باحث، أسرة تحرير مجلة الواحة - السعودية.

(١) الشهيد الثاني، منية المريد: ٣٧١.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٩٠.

القيامة...»[٣].

وعن المفضل بن عمر، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «اكتب وبثّ علمك في إخوانك، فإن متّ فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي زمان هرج لا يأنسون إلا بكتبهم...»[٤].

هذه الأحاديث جعلت العلماء يعملون على تمحيص الروايات سنداً ومتناً، ويأخذون الحيطة في نقلها وروايتها، فكان هناك علم الدراية، وعلم الرواية، أو لنقل علم الحديث وعلم الرجال، وعلم مصطلح الحديث، كل ذلك من أجل تمحيص الروايات وتدقيقها وفرز الغث من السمين منها، وما الإجازة الروائية إلا واحدة من تلك الحصون المنيعة التي شهرها العلماء للعناية بالحديث ونقله جيلاً بعد جيل، وحفظه من الدس والتدليس.

الإجازة مفهوماً:

اختلفت عبارات الأعلام في تعريفات الإجازة، وإن كانت تتشابه من حيث الفحوى والمضمون، ويمكن تلخيص الأقوال في الكلمات التالية:

قال الشيخ إبراهيم القطيفي في إجازته للشيخ شمس الدين الاسترابادي: «الإجازة إذن في نقل حديث أو فتوى ونحوهما من شخص من نفسه أو عمن نقل عنه بواسطة أو وسائط إلى غيره، وقولنا «من نفسه» لتدخل الأذن في فتوى نفسه المختصة به»[٥].

وقال في القوانين: «إنها إخبار إجمالي بأمور مضبوطة معلومة مأمون عليها من الغلط والتصحيف ونحوهما»[٦].

أما الآقا بزرك الطهراني في الذريعة فقد عرفها بالتالي: «الإجازة هو الكلام الصادر عن المجيز المشتمل على إنشائه الأذن في رواية الحديث عنه بعد إخباره إجمالاً بمروياته.

ويطلق -شائعاً- على كتابة هذا الإذن المشتملة على ذكر الكتب والمصنفات التي صدر الأذن في روايتها عن المجيز إجمالاً وتفصيلاً وعلى المشايخ الذين صدر للمجيز الإذن في الرواية عنهم. وكذلك ذكر مشايخ كل واحد من هؤلاء المشايخ طبقة بعد طبقة إلى أن تنتهي الأسانيد إلى المعصومين عليهم السلام»[٧].

---

(٣) الفضلي، الشيخ عبدالهادي، دروس في أصول فقه الامامية: ٣١٤.

(٤) الشيخ الكليني، الكافي: ٥٢.

(٥) بحار الأنوار: ج١٠٨ ص ١١٢.

(٦) الإجازة الكبيرة إلى الشيخ ناصر الجارودي القطيفي: الشيخ عبد الله بن صالح السماهيجي البحراني. تحقيق: الشيخ مهدي العوازم القطيفي. مطبعة علمية: قم المقدسة. الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ. ص١٠.

(٧) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي: شرحها وعلق عليها الدكتور حسين علي محفوظ: مطبعة الآداب في النجف الأشرف. الطبعة الأولى: ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م. ص٧. الذريعة: ج١ ص١٣٢.

طرق تحمل الحديث:

درج العلماء على إبراز سبع طرق، تعد الأبرز في طرق تحمل الحديث، وهي مرتبة بحسب الأهمية والمصداقية كما يلي:

١- السماع من الشيخ: وهو أن يسمع الراوي عن الشيخ، سواء كان الشيخ يقرأ من كتاب، أو من حفظه، بلا فرق سواء أأملي على تلميذه أو من غير إملاء، وهذا النوع أرفع الأقسام عند جمهور المحدثين، ويقول التلميذ إذا أراد ذكر الرواية عن شيخه: سمعت، أو حدثنا، أو حدثني، وفي بعض الحالات يقول: أخبرنا.

٢ - القراءة على الشيخ: وأسلوبها أن يقرأ الراوي أو التلميذ حديث الشيخ على الشيخ نفسه، من كتاب أو من حفظه، فيقر له الشيخ بصحة ما سمعه.

٣ - الإجازة: وتعني الإذن من الشيخ في نقل الحديث عنه أو عمن نقل عنه بواسطة أو وسائط لنفس الراوي بخصوصه أو من يعمه.

٤ - المناولة: أن يدفع ويناول الشيخ إلى تلميذه أو الراوي عنه كتابه وفيه حديث أو أكثر.

٥ - المكاتبة: وهو أن يكتب الشيخ كتاباً، ثم يناوله تلميذه، أو من سأله، ويشير إلى أن ما فيه من مسموعاتي.

٦ ـ الإعلام: وذلك بأن يعلم الراوي طالب الحديث بأن هذا الكتاب أو هذا الحديث سمعه من فلان، ويأذن له بروايته.

٧ - الوجادة: مشتقة من فعل وَجَد يَجِدُ، والمقصود بها أن يعثر المحدث على كتابٍ ما، أو رواية ما، لراوية ولمحدث معروف.

ومن بين هذه الأقسام السبعة تأتي الإجازة في المرتبة الثالثة وفق المشهور، بحيث لم يقع اختلاف في حجيتهما، واعتبارهما الأكثر تداولاً في الرواية، يقول المحقق القمي في القوانين: «ولا بد لراوي الحديث من مستند يصح من جهته رواية الحديث ويقبل منه»[٨]، ومما لا شك في كون الإجازة هي الأثر الوحيد الباقي من بين طرق تحمل الحديث، وأكثرها شهره وتداولاً حتى اليوم، حيث أتت بعد أهم طريقين لتحمل الحديث السماع والقراءة.

الإجازة مفهوماً:

اختلفت عبارات الأعلام في تعريفات الإجازة، وإن كانت تتشابه من حيث الفحوى والمضمون، ويمكن تلخيص الأقوال في الكلمات التالية:

قال الشيخ إبراهيم القطيفي في إجازته للشيخ شمس الدين الاسترابادي: «الإجازة

(٨) القوانين: للمحقق القمي. ص٤٨٩.

إذن في نقل حديث أو فتوى ونحوهما من شخص من نفسه أو عمّن نقل عنه بواسطة أو وسائط إلى غيره، وقولنا «من نفسه» لتدخل الأذن في فتوى نفسه المختصة به»[٩].

وقال في القوانين: «إنها إخبار إجمالي بأمور مضبوطة معلومة مأمون عليها من الغلط والتصحيف ونحوهما»[١٠].

أما العلامة المجلسي فقد عرّفها بالتالي: «الإجازة هو الكلام الصادر عن المجيز المشتمل على إنشائه الأذن في رواية الحديث عنه بعد إخباره إجمالاً بمروياته»[١١].

دور الأجازة العلمي:

تشكل الإجازة الروائية ثمرة علمية هامة من وجهة نظر البعض، في الوقت الذي يراها البعض الآخر لا تتخطى مجرد التيمن والتبرك بالدخول في سلسلة حملة أحاديث آل الرسول عليه وعليهم السلام، ولكن واقع الأمر يثبت للإجازة الروائية أهمية ومحل عناية العلماء منذ سالف العصور، بل كان يسعى العلماء في سبيل الحصول عليها بقطع المسافات وتوسيط الثقات، ولم يكن يكتفي بطريق واحد، وإنما يحاول تحصيل طرق مختلفة لرواية الحديث، ولم يكن سعي العلماء فقط لروايات أهل البيت عليهم السلام بل للروايات التي يرويها باقي الطوائف كالسنة والزيدية، كما هو واضح من سيرة السيد عبد الحسين شرف الدين، والشيخ آغا بزرك الطهراني، والسيد المرعشي النجفي، وغيرهم ممن كان يجوب الأرض للحصول على الإجازة، حتى بلغ مجموع إجازات البعض منهم (٤٠٠ إجازة روائية[١٢])، وما هذا إلا للأهمية الشديدة للإجازات، وترجع هذه الأهمية لعدة عوامل:

- التشرف والتبرك بالدخول والاندراج في سلك وسلسلة حملة الأحاديث عن النبي والأئمة المعصومين عليهم السلام.
- صيانة وحفظ الروايات عن القطع وحدوث الإرسال في سندها إلى عصرنا الحاضر.
- تراجم العلماء الحاملين لأحاديثنا المروية عن المعصومين عليهم السلام.
- تتضمن العديد من صفات التلاميذ والأساتذة وألقابهم العلمية من قبل مجيزيهم، وهي بمثابة شهادة علمية في حقهم تضاف إلى الإجازة الروائية.
- معرفة عصرهم وزمان تحملهم للأحاديث، ومعرفة بعض معاصريهم ومكانتهم.

---

(٩) بحار الأنوار: ج١٠٨ ص ١١٢.

(١٠) الإجازة الكبيرة إلى الشيخ ناصر الجارودي القطيفي: الشيخ عبد الله بن صالح السماهيجي البحراني. تحقيق: الشيخ مهدي العوازم القطيفي. مطبعة علمية: قم المقدسة. الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ. ص١٠.

(١١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ١٠٢/ ١٦٦.

(١٢) راجع السيد المرعشي النجفي الإجازة الكبيرة.

- تعد الوريث الشرعي لطرق تحمل الرواية بعد اندثار جميع سبل تحمل الرواية الباقية.

الإجازة الروائية في الأحساء.. نبذة تاريخية:

الإجازة هي نوع من الاعتراف بأهلية الشخص، ووسام يمنح من قبل العلماء لمن يرون فيه الأهلية العلمية، وتكون غالباً في الرواية على كتب الحديث أو لنيل درجة الاجتهاد، وهي أشبه بالاعتراف بمكانة الشخص العلمية وأنه حاز المعلى من الدرجات العلمية، ونال المرتبة العليا.

ولم تورد كتب التاريخ من الإجازة الأحسائية إلا لنخبة قليلة منهم كالشيخ ابن أبي جمهور، والشيخ أحمد الأحسائي، وثلة قليلة غيرهم، إلا أن أقدم إجازة رجال المشيخة المعروفين منهم هو الشيخ أبو نصر القاري. وهذا ليس نابعاً من عدم الوعي بأهمية الإجازة وما يوليها العلماء من أهمية في طرق الحديث وسبل تحملها، ولكن ابتعاد العديد منهم عن مساقط الأضواء جعلهم في الهامش في مختلف الأمور رغم المراتب العلمية العالية التي تبوؤوها، بل إننا لو حاولنا أن نجري مسحاً على طرق الإجازة والمشيخة الموجودة للاحظنا التالي:

أولاً: إن جميع الإجازات العلمية التي نالها علماء الأحساء كان مصدرها خارج الأحساء لو استثنينا شخصية الشيخ ابن أبي جمهور وأعلام عصره فقط الذي له عدة طرق أحسائية في رواية الحديث، بل له الفضل في كشف طرق العديد من علماء عصره في الرواية.

ثانياً: بالرغم من تعدد الحوزات العلمية في الأحساء وعلى مدى قرون عدة لم تحظَ الإجازة الروائية، أو الاجتهاد حتى، بمصدر جذب ورغبة واهتمام لدى العلماء الأحسائيين.

ثالثاً: إنه حتى لعلماء المهجر من الأحسائيين، أو لنقل إبان الرحلة الدراسية في النجف الأشرف وكربلاء وإيران، نسبة ضئيلة جدًّا من عُرف بكونه من مشيخة الإجازة، وهذه الفئة البسيطة من العلماء لا يشكلون الواقع الحقيقي والعلمي للبلاد.

رابعاً: إن معظم إجازات هؤلاء العلماء مفقودة، سواء من مشايخهم في الإجازة أو الراوون عنهم. والذي تضعه المصادر التاريخية بين أيدينا من الإجازات الروائية هي نسبة قليلة.

علماً بأن لعلماء الأحساء إسهاماً في هذا النوع من الإجازات، فصدرت منهم الإجازات الشهيرة أو الكبيرة التالية:

- إجازة الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم بن حسن بن إبراهيم بن أبي جمهور (٨٤٠ - بعد ٩٠١هـ)، للسيد محسن الرضوي المتوفى سنة ٩٣١هـ، كتبها بالمشهد الرضوي

في منتصف ذي القعدة سنة ٨٩٧هـ[١٣].

- إجازة الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم بن حسن بن إبراهيم بن أبي جمهور (٨٤٠ - بعد ٩٠١هـ) للشيخ محمد صالح الغروي الحلي، أجازه بثلاث إجازات: الأولى: مختصرة تاريخها (٢٤ ربيع الثاني ٨٩٦هـ). الثانية: متوسطة ذكر فيها المجيز (٢٤ كتاباً) من تصانيفه، وتاريخها (أول جمادى الأولى ٨٩٦هـ). الثالثة: متوسطة كتبها في قرية (قلقان) بإستراباد وتاريخها (منتصف جمادى الأولى سنة ٨٩٨هـ)[١٤].

- إجازة الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم بن حسن بن إبراهيم بن أبي جمهور (٨٤٠ - بعد ٩٠١هـ) للسيد شرف الدين محمود بن السيد علاء الدين الطالقاني[١٥].

- إجازة الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم بن حسن بن إبراهيم بن أبي جمهور (٨٤٠ - ٩٠١هـ). للشيخ علي بن عبدالعالي المشتهر بالمحقق الكركي الثاني[١٦].

- إجازة الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم بن حسن بن إبراهيم بن أبي جمهور (٨٤٠ - ٩٠١هـ) لتلميذه السيد محسن بن السيد محمد الرضوي القمي، وتاريخ الإجازة له (منتصف ذي القعدة ٨٩٧هـ)[١٧].

- رسالة في إجازة السيد هاشم بن الحسين بن عبد الرؤوف الحسيني الأحسائي (كان موجوداً سنة ١٠٧٣هـ) للسيد نعمة الله الجزائري المتوفى سنة ١١١٢هـ، تاريخها عام ١٠٧٣هـ، بخط تلميذه المجاز وهو الشيخ محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجزائري، فرغ من كتابتها سنة ١٠٩٣هـ[١٨].

- إجازة الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (١١٦٦ - ١٢٤١هـ) للشيخ أسد الله الكاظمي (١١٦٠ - ١٢٣٤هـ)[١٩] وهي من الإجازات الطويلة نسبيًّا.

- كتاب الإجازات للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (١١٦٦ - ١٢٤١هـ)، قال [صاحب كتاب] (النعل الحاضرة): إنه عندي، وهو يقرب من عشرة آلاف بيت[٢٠]. والشيء الذي يُؤسف له أنه لا يُعرف منه إلا النزر اليسير بينما معظمه مفقود لا يُعرف سوى الإحصاء الذي ذكرته الكتب التاريخية.

---

(١٣) معجم المؤلفات الشيعية: ج١ ص٤٢.
(١٤) الأمين، حسن، مستدركات أعيان الشيعة: ٢/ ٢٨٣.
(١٥) الأمين، حسن، مصدر سابق: ٢/ ٢٨٣.
(١٦) الأمين، حسن: مصدر سابق: ٢/ ٢٨٣.
(١٧) الأمين، حسن، مصدر سابق: ٢٨٣.
(١٨) العلامة المجلسي، مصدر سابق: ١٠٢/ ١٨٩.
(١٩) الكاظمي، الشيخ إسماعيل بن أسد الله، دفاع عن الشيخ الأوحد الأحسائي، إعداد وتحقيق: مؤسسة فكر الأوحد: ٨٩.
(٢٠) الطهراني، الشيخ آقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ١٢٣.

- الإجازة الكبيرة للشيخ عبد المحسن بن الشيخ محمد بن الشيخ مبارك بن ناصر بن محمد بن حسين اللويمي الأحسائي المتوفى ١٢٤٥هـ. كتبها بخط يده لثلاثة من العلماء حين نزلوا عنده في إيران، وهم ولده الشيخ علي، والشيخ علي بن الشيخ مبارك آل حميدان، والشيخ سليمان آل عبد الجبار، ذكر فيها مشائخه في الرواية، وجملة من مؤلفاته وختمها بأربعين حديثاً، بدأ فيها بالأصول الخمسة أولاً ثم الطهارة ثم الزكاة، وهكذا على ترتيب الفقهاء[٢١].

- إجازة الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ محسن بن الشيخ علي بن محمد الربعي المحسني (١١٥٧ - ١٢٤٧هـ). للشيخ عبد الله بن تركي بن عبد الله الكعبي العامري أحد أعلام خوزستان، وهي مؤرخة بسنة ١٢٤٤هـ[٢٢].

- إجازة السيد محمد باقر بن السيد علي بن السيد أحمد الشخص (١٣١٥ - ١٣٨١هـ). للشيخ فرج بن حسن العمران (١٣٢١ - ١٣٩٨هـ)، وهي إجازة رواية مبسوطة[٢٣].

مشيخة الإجازة في الأحساء:

وصل عدد من الأعلام البارزين في الأحساء إلى مستوى أن يُقصدوا من أجل الإجازة والتبرك بالدخول في الشجرة المباركة على أيديهم، بل إن البعض أصبح علماً لامعاً في هذا المجال لكثرة المُجازين على يديه. وتصنيفنا هنا لمشيخة الإجازة لا يستند إلى الواقع بالضرورة، وإنما يعتمد بدرجة أولى على من أثبتت المصادر أن له تلاميذ مجازين من عنده، وهم كما يلي:

- الشيخ أبو نصر الغاري (القرن السادس الهجري)[٢٤]:

مشايخه في الإجازة:

- القاضي أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الحسن العكبري، عن السيد المرتضى[٢٥].

(٢١) البلادي، الشيخ علي بن الشيخ حسن، أنوار البدرين، تحقيق: عبدالكريم محمد علي البلادي: ٨٦/٣.

(٢٢) الشخص، مصدر سابق: ج١ ص٤٠٧.

(٢٣) معجم مؤلفي الشيعة في الجزيرة العربية: حبيب آل جميع ج١ص ٣٩.

(٢٤) له ترجمة في: رياض العلماء: ٥/ ٥٢٣، وأعيان الشيعة: ١٠/٤، وطبقات أعلام الشيعة (القرن السادس): ٩ - ٨، وأعلام هجر: ١١٩/١.

(٢٥) الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة: ٤/ ١٠.

الراوون عنه:

يروي عنه عدد من الأعلام منهم:
- السيد فضل الله الراوندي.
- السيد ضياء الدين الراوندي.
- الشيخ قطب الدين الراوندي.
- محمد بن أحمد بن شهريار الخازن.

طرقه في الإجازة:

لا يعرف له سوى طريق واحد هو:
- عن القاضي أبي منصور محمد بن محمد العكبري عن السيد المرتضى علم الهدى[٢٦].

- الشيخ إبراهيم بن نزار الشهير بابن نزار الأحسائي (القرن التاسع الهجري)[٢٧]:

مشايخه في الإجازة:

- الشيخ حسن المطوع الجرواني الأحسائي (من أعلام القرن التاسع)[٢٨].

الراوون عنه:

-الشيخ علي بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي[٢٩].

طرقه في الإجازة:

- عن الشيخ حسن المطوع الجرواني، عن شيخه الشيخ أحمد بن فهد الأحسائي، عن شيخه الشيخ أحمد بن عبد الله المتوج البحراني، عن العلامة الحلي بطرق العلامة المعروفة.

---

(٢٦) أعلام هجر: ج١ ص١٢٠.
(٢٧) له ترجمة في: أنوار البدرين: ٤٠٠، طبقات أعلام الشيعة (القرن التاسع): ١٤٤، أعيان الشيعة: ٣/ ٦٢، دائرة المعارف الشيعية: ٣/ ٩٥، أعلام هجر: ١/١١١.
(٢٨) أعلام هجر: ج١ ص ١١١
(٢٩) أعلام هجر: ج١ ص١١١.

- الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (١١٦٦ - ١٢٤١هـ):

مشايخه في الإجازة:

أجاز الشيخ الأحسائي عدد من كبار علماء عصره الذين يعدون من مشيخة الإجازة، نعرف منهم:

١- الشيخ أحمد حسن الدمستاني.
٢- السيد محمد مهدي الطباطبائي «بحر العلوم» (١٢١٢هـ).
٣- الشيخ الكبير جعفر النجفي الملقب بـ«كاشف الغطاء» (١٢٢٧هـ).
٤- السيد علي الطباطبائي صاحب «الرياض» (١٢٣١هـ).
٥- السيد ميرزا محمد مهدي الشهرستاني (١٢١٦هـ).
٦- الشيخ حسين آل عصفور (١٢١٦هـ)[٣٠].
٧- الشيخ أحمد آل عصفور.
٨- الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن عبد الجبار القطيفي[٣١].
٩- الشيخ موسى بن الشيخ جعفر «كاشف الغطاء»[٣٢].

الراوون عنه:

بلغ عدد الراوين عن الشيخ الأحسائي فوق الثلاثين شخصية علمية، ممن تتلمذ عليه أو استجاز منه، وهم من مناطق مختلفة في إيران والعراق والقطيف والبحرين وموطنه الأحساء، أبرزهم:

١- الشيخ أحمد بن الشيخ محمد آل عصفور[٣٣].
٢- الشيخ أحمد بن الشيخ محمد المحسني (ت: ١٢٤٧ هـ)[٣٤]
٣- الشيخ أحمد بن صالح آل طوق القطيفي (ت بعد ١٢٤٥هـ)[٣٥].

---

(٣٠) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي: شرحها وعلق عليها الدكتور حسين علي محفوظ. مطبعة الآداب في النجف الأشرف: الطبعة الأولى: ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م. ص٩.
(٣١) إجازة الشيخ أحمد الأحسائي للشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر). شرحها وعلق عليها: السيد معين الحيدري. دار إحياء التراث العربي: بيروت. الطبعة الأولى: ٢٠٠١م - ١٤٢١هـ. ص١٣.
(٣٢) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد في القرن الثالث عشر الهجري: أحمد عبد الهادي المحمد صالح. دار المحجة البيضاء: بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. ص١٦.
(٣٣) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص١٠١.
(٣٤) نفس المصدر: ص١٠٣.
(٣٥) آخر الفلاسفة: ص٥١.

٤- الشيخ أسد الله الكاظمي الأنصاري (ت ١٢٣٤هـ)[٣٦].
٥- الشيخ حمزة بن سلطان محمد القائيني الطبسي (كان حيًّا سنة ١٢٣٩هـ)[٣٧].
٦- آمنة خانم بنت الشيخ محمد علي القزوينية (ت حدود ١٢٦٩هـ)[٣٨].
٧- الميرزا حسن كوهر (ت١٢٦٦هـ)[٣٩].
٨- السيد حسين بن السيد عبد القاهر التوبلي (ت ١٢٥٦هـ)[٤٠].
٩- الشيخ عبد الخالق اليزدي (ت ١٢٦٨هـ)[٤١].
١٠- الشيخ عبد الكريم السرابي[٤٢].
١١- الشيخ عبد الله بن علي بن محمد الجاري القطيفي[٤٣].
١٢- السيد عبد الله شبر (ت ١٢٤٢هـ)[٤٤].
١٣- الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد علي القطيفي (ت ١٢٢٠هـ)[٤٥].
١٤- الشيخ عبد النبي بن علي بن أحمد بن الجواد الكاظمي (ت ١٢٥٦هـ)[٤٦].
١٥- الميرزا عبد الوهاب القزويني (توفى بعد ١٢٦٠هـ)[٤٧].
١٦- الشيخ عبد علي بن الشيخ علي التوبلي البحراني (ت ١٢٣٢هـ)[٤٨].
١٧- الشيخ عبد علي بن محمد آل عبد الجبار القطيفي (ت ١٢٣٠هـ) [٤٩].
١٨- الشيخ علي الأحسائي (ت ١٢٢١هـ)[٥٠].

---

(٣٦) محفوظ، مصدر سابق.
(٣٧) إجازة القطيفي للطبسي: تحقيق ياسر عبد الله آل خميس. هيئة الخط التراثية. القطيف. الطبعة الأولى:٢٠٠٨م. ص٧٨.
(٣٨) الأمين، حسن، مصدر سابق: ٢/٧. أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص١٣٥.
(٣٩) إجازات العلامة الكبير الميرزا حسن كوهر، منشورات مكتبة العلامة الحائري العامة - كربلاء - مطبعة النعمان - النجف. ١٩٦٨م - ١٣٨٨هـ. إجازة الشيخ الأحسائي للشيخ محمد إبراهيم الكرباسي: شرحها وعلق عليها: السيد معين الحيدري. دار إحياء التراث العربي: بيروت. الطبعة الأولى: ٢٠٠١م - ١٤٢١هـ. ص٩.
(٤٠) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص١٦٣.
(٤١) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص١٧٧.
(٤٢) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص١٨٣.
(٤٣) نفس المصدر: ص١٨٩.
(٤٤) الشيخية: ص٨٧.
(٤٥) أعلام هجر: ج١ ص١٥٩.
(٤٦) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٢٠٩.
(٤٧) إجازة الشيخ أحمد الأحسائي للشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر)، مصدر سابق. ص١٤.
(٤٨) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٢٢٢.
(٤٩) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٢٢٨.
(٥٠) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٢٣٢.

١٩- الشيخ علي بن صالح البحراني (توفى بعد ١٢٢٠هـ)[٥١].
٢٠- الشيخ علي بن الشيخ محمد البرغاني (ت ١٢٩٢هـ)[٥٢].
٢١- الشيخ علي بن محمد رضا المرندي[٥٣].
٢٢- الشيخ علي نقي بن الشيخ أحمد الأحسائي (ت ١٢٤٦هـ)[٥٤].
٢٣- السيد كاظم الرشتي (ت ١٢٥٩هـ) [٥٥].
٢٤- السيد مال الله بن السيد محمد الخطي القطيفي (ت ١٢٢٢هـ)[٥٦].
٢٥- السيد محسن بن السيد حسن الأعرجي (ت ١٢٢٨هـ)[٥٧].
٢٦- الشيخ محمد إبراهيم الكلباسي (ت ١٢٦١هـ)[٥٨].
٢٧- الشيخ محمد بن إبراهيم بن حسن[٥٩].
٢٨- الشيخ محمد تقي بن الشيخ أحمد الأحسائي (ت ١٢٤٠هـ)[٦٠].
٢٩- الميرزا محمد تقي النوري (ت ١٢٦٣هـ)[٦١].
٣٠- السيد محمد تقي الحسيني القزويني (ت ١٢٧٠هـ)[٦٢].
٣١- الشيخ محمد تقي بن عبد الرحيم الطهراني الاصبهاني[٦٣].
٣٢- الشيخ محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦هـ)[٦٤].
٣٣- الشيخ محمد حجة الإسلام المامقاني (ت ١٢٦٩هـ)[٦٥].
٣٤- الشيخ محمد حمزة كلائي (ت ١٢٨١هـ)[٦٦].

---

(٥١) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٢٣٩.
(٥٢) إجازة الشيخ أحمد الأحسائي للشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر)، مصدر سابق. ص١٤.
(٥٣) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٢٤٦.
(٥٤) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٢٤٧.
(٥٥) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٢٨٠.
(٥٦) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٣٢٨.
(٥٧) أعلام هجر: ج١ص١٥٦.
(٥٨) إجازة الشيخ أحمد الأحسائي للشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر): شرح وتعليق: السيد معين الحيدري. دار إحياء التراث العربي: بيروت. الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م - ١٤٢١هـ. ص١٤.
(٥٩) مجلة التراث: العدد (١) ص١٢٦.
(٦٠) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٣٥٤.
(٦١)إجازة الشيخ أحمد الأحسائي للشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر)، مصدر سابق. ص١٣.
(٦٢) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٣٦٤.
(٦٣) الإجازة الكبيرة للمرعشي. مصدر سابق. ص٣٢٤.
(٦٤) إجازة الشيخ أحمد الأحسائي للشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر): مصدر سابق. ص٢٣.
(٦٥) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٣٧٨.
(٦٦) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٣٨٥.

٣٥- السيد محمد الحسيني[٦٧].

٣٦- الشيخ محمد بن الشيخ عبد علي آل عبد الجبار (ت ١٢٥٦هـ)[٦٨].

٣٧- السيد محمد علي اليزدي المدرس[٦٩].

٣٨- الملا مرتضى بن عبد علي قلي[٧٠].

طرق الشيخ الأحسائي في الإجازة:

للشيخ الأحسائي في الرواية عدة طرق، وهذه الطرق تتفرع عنها طرق عدة وهي:

الطريق الأول: عن الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني، عن والده، عن شيخه الشيخ عبد الله بن علي البلادي، عن شيخه الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله البحراني الماحوزي[٧١].

وعنه أيضاً، عن الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد الدرازي البحراني، عن الشيخ حسين بن الشيخ محمد الماحوزي، عن الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله الماحوزي المتقدم[٧٢].

وعنه أيضاً، عن الشيخ عبد علي بن الشيخ أحمد الدرازي، عن الشيخ الماحوزي المتقدم، عن الشيخ سليمان[٧٣].

ويروي عنه، عن الشيخ حسين بن الشيخ محمد الماحوزي بلا واسطة، عن الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله السابق[٧٤].

الطريق الثاني: عن الشيخ محمد مهدي الشهرستاني، عن الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد الدرازي البحراني، عن الشيخ حسين بن الشيخ محمد الماحوزي البحراني، عن الشيخ سليمان السابق، عن الشيخ محمد باقر المجلسي[٧٥].

الطريق الثالث: يروي عن السيد علي الطباطبائي[٧٦] بطرقه.

الطريق الرابع: عن السيد مهدي الطباطبائي، عن محمد باقر، عن والده الشيخ محمد أكمل، عن عدة من العلماء منهم: الميرزا محمد بن حسن الشيرواني، والمحقق

(٦٧) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٣٨٩.

(٦٨) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٣٩٢.

(٦٩) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٤٠٥.

(٧٠) أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ص٤١٨.

(٧١) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي: ص١٥.

(٧٢) المصدر السابق: ص١٦.

(٧٣) نفس المصدر.

(٧٤) نفس المصدر.

(٧٥) نفس المصدر: ص٢٠.

(٧٦) نفس المصدر: ص٢٣.

جعفر بن عبد الله بن إبراهيم الحويزي القاضي بروايتهم، عن الشيخ المولى محمد تقي المجلسي، عن شيخه العلامة «محمد»، عن والده الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي، عن شيخه الشيخ زين الدين الشهيد الثاني[٧٧].

وعنه عن الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد الدرازي البحراني، عن شيخه محمد رفيع الجيلاني ثم المشهدي، والشيخ محمد مهدي الفتوني، عن شيخه المولى أبي الحسن العاملي الفتوني، والسيد حسين بن السيد إبراهيم القزويني، عن أبيه، عن مشايخهم المذكورين، عن الشيخ المولى محمد باقر بن المولى محمد تقي المجلسي، عن أبيه، عن الشيخ البهائي بن الشيخ حسين بن عبد الصمد، عن أبيه عن الشهيد الثاني[٧٨].

وإلى الشهيد الثاني بجميع طرقه بإجازته لولده الشيخ حسن، وإجازته للشيخ حسين بن عبد الصمد، وإجازة العلامة لأبناء زهرة[٧٩] وغيرها من الإجازات المبسوطة[٨٠].

الطريق الخامس: عن طريق الشيخ جعفر كاشف الغطاء، عن الشيخ محمد باقر الوحيد البهبهاني، والسيد محمد مهدي الطباطبائي بحر العلوم، عن مشايخهم الأعلام[٨١] بالطرق المذكورة في إجازاتهم.

الطريق السادس: الشيخ حسين آل عصفور البحراني، عن الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد الدرازي البحراني.

وعنه عن عمه وشيخه الشيخ عبد علي بن أحمد الدرازي البحراني[٨٢].

ومنه عن شيخه ووالده الشيخ محمد بن أحمد الدرازي البحراني، وعنهما عن شيخهما الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن جعفر البحراني الماحوزي، وعن شيخهما الشيخ علي بن أحمد البلادي البحراني، وعن شيخهما الشيخ أحمد بن عبد الله بن حسن البلادي البحراني، وعن شيخهما الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله الماحوزي البحراني[٨٣]، عن الشيخ سليمان بن علي بن سليمان أبي ظبية البحراني الأصبعي أصلاً الشاخوري مسكناً، عن شيخيه الشيخ أحمد بن الشيخ علي المقشاعي، وشيخه الشيخ علي بن سليمان بن علي بن سليمان القدمي البحراني الملقب بزين الدين، عن شيخه بهاء الملة والحق والدين، محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي، عن جملة من مشايخه، منهم والده

(٧٧) نفس المصدر: ص٣٢.

(٧٨) نفس المصدر: ص٣٣.

(٧٩) بنو زهره هم أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي الحسن بن أبي المحاسن زهرة، وأقاربه، ولده الحسين وأخوه بدر الدين محمد، وولداه أحمد وحسن. إجازات الشيخ أحمد الأحسائي: ص٣٤.

(٨٠) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي: ص٣٤.

(٨١) نفس المصدر: ص٣٩.

(٨٢) نفس المصدر: ص٤٥.

(٨٣) نفس المصدر: ص٤٦.

الشيخ الحسين بن عبد الصمد، عن جملة من مشايخه، منهم الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد المشهور بالشهيد الثاني[٨٤].

وعن الشيخ حسين المتقدم، عن شيخه الشيخ عبد علي بن أحمد الدرازي، عن شيخه ملا محمد بن فرج المعروف بملا رفيعا، عن شيخه ملا محمد باقر المجلسي، وعن شيخه آقا حسين جمال الدين محمد الخوانساري، كلاهما عن المجلسي الأول الشيخ محمد تقي المجلسي[٨٥].

وعن الشيخ الحسين السابق الذكر، عن شيخه الشيخ عبد علي بن أحمد الدرازي، عن شيخه السيد عبد الله بن السيد علوي البلادي، عن جملة من مشايخه، منهم جد الشيخ حسين الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم والبحراني الدرازي، ومنهم الشيخ عبد الله بن صالح السماهيجي البحراني، ومنهم السيد محمد بن السيد بن السيد حيدر، عن شيخه ملا محمد باقر المجلسي، وشيخه محمد بن الحسن الحر العاملي[٨٦].

وعنه عن الشيخ عبد الله بن صالح السماهيجي، عن الشيخ محمد بن يوسف بن علي بن كنبار الضبيري النعيمي أصلاً البلادي منشأً ومسكناً، عن شيخه الشيخ محمد بن ماجد، وشيخه الشيخ سليمان بن عبدالله، وشيخه المحدث السيد نعمة الله بن السيد عبدالله الموسوي، وشيخه السيد نعمة الله بن السيد عبدالله الموسوي الششتري، وشيخه ملا محمد باقر المجلسي[٨٧].

وعن الشيخ حسين عن السيد عبدالله بن السيد علوي البلادي، عن الشيخ أحمد بن إسماعيل الجزائري، عن جملة من مشايخه الفضلاء المنصوص عليهم في إجازته لابنه الأمجد الشيخ محمد.

فمنهم الشيخ حسن بن العلامة الشيخ عبد علي الحمايئي النجفي، عن والده المذكور، عن الشيخ محمد بن الشيخ جابر، عن والده عن الشيخ عبدالنبي بن سيعد الجزائري، عن السيد محمد صاحب المدارك بن السيد علي، عن والده عن الشهيد الثاني[٨٨].

ومنهم الشيخ الأعظم أبو الحسن المتقدم ذكره، عن شيخيه الأعلمين السيد حسن بن السيد جعفر الكركي، والشيخ زين الملة والدين الشهيد الثاني.

وفي طريق آخر إلى الشهيد الثاني، عن شيخه الشيخ عبد الواحد، عن الشيخ المحدث الأكبر الشيخ فخر الدين الطريحي، عن الشيخ محمد بن جابر، عن السيد السعيد شرف

(٨٤) نفس المصدر: ص٤٧.
(٨٥) نفس المصدر: ص٤٨.
(٨٦) نفس المصدر: ص٤٩.
(٨٧) نفس المصدر: ص٥٠.
(٨٨) نفس المصدر: ص٥١.

الدين علي بن حجة الله الشولستاني، عن شيخه السيد الأمير فيض الله بن عبدالقاهر التفريشي، عن الشيخ حسن بن الشهيد الثاني، عن الحسين بن عبدالصمد، عن الشهيد الثاني[٨٩].

وعن السيد عبدالله السابق الذكر، عن الشيخ فخر الدين المذكور، عن السيد مير شرف الدين، عن شيخه الفاضل ميرزا محمد بن علي الإسترابادي، عن الشيخ إبراهيم بن الشيخ علي بن عبدالعالي الميسي.

وعن الشيخ فخر الدين، عن السيد الشهير بمير محمد مؤمن الحسيني الإسترابادي، عن شيخه السيد نور الدين بن السيد علي بن أبي الحسن العاملي، عن السيد محمد صاحب المدارك، وأخيه لأمه الشيخ حسن بن الشهيد الثاني[٩٠].

وعن السيد عبد الله السابق، عن المولى محمد باقر المجلسي، عن جم غفير من الفضلاء ممن قرأ عليهم أو سمع منهم أو استجاز منهم.

منهم المحدث الكاشاني محمد بن مرتضى المدعو محسن الفيض، عن جملة من مشايخه المحدثين، منهم صدر الدين الشيرازي، عن المولى مير محمد باقر الداماد، عن خاله الشيخ عبدالعالي، عن والده المحقق الشيخ علي الكركي العاملي.

ومنهم شيخه المحقق السيد ماجد بن محمد البحراني، عن الشيخ الفاضل بهاء الدين العاملي، وعن الشيخ بهاء الدين أيضاً لروايته عنه بالواسطة وبلا واسطة، وعن شيخه الشيخ محمد بن الشيخ حسن بن زين الدين الشهيد الثاني، عن أبيه عن جده[٩١].

وعن شيخنا الشهيد الثاني، عن شيخه علي بن عبدالعالي الميسي العاملي، عن شيخه الإمام السعيد شمس الدين محمد بن محمد بن داوود الشهير بابن المؤذن الجزيني، عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشيخ شمس الدين محمد مكي، عن والده، عن شيخه فخر المحققين الحلي، عن والده العلامة الحلي، عن شيخه الشيخ نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن يحي بن سعيد الحلي المشتهر بالمحقق الحلي، عن شيخه الشيخ عربي بن مسافر العبادي، عن شيخه الياس بن هشام الحائري، عن شيخه أبي علي الحسن بن محمد الطوسي، عن والده شيخ الطائفة المحقة رئيس الملة، عن شيخه محمد بن محمد بن النعمان المفيد، عن شيخه محمد بن الحسن بن الوليد.

وعن الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسن بن بابويه، عن أبيه، وعن الشيخ أبي القاسم جعفر بن قولوية، عن الشيخ الكبير محمد بن يعقوب الكليني، بأسانيدهم المتصلة إلى الأئمة عليهم السلام.

---

(٨٩) نفس المصدر: ص٥٢.

(٩٠) نفس المصدر: ص٥٢.

(٩١) نفس المصدر: ص٥٣.

وللعلامة طرق عديدة من غير طرق المحقق متصلة بكتب هؤلاء المحدثين، كطريقه بواسطة السيدين الجليلين السيد علي رضي الدين بن موسى بن جعفر بن طاووس، والسيد أحمد جمال الدين أبي الفضائل بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني[٩٢].

- الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن عبد الله السبعي (توفى بعد ٨٥٤هـ)[٩٣]:

مشايخه في الإجازة:

١- الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن بن المتوج البحراني (المتوفى بعد ٨٠٢هـ).

٢- الشيخ أحمد بن فهد الحلي (ت ٨٤١هـ).

٣- الشيخ محمود الشهير بابن أمير الحاج العاملي[٩٤].

الراوون عنه:

- السيد كمال الدين موسى الموسوي الحسيني الأحسائي[٩٥].

طرقه في الإجازة:

له طريق واحد عن الشيخ محمود الشهير بابن أمير الحاج العاملي، عن الحسن بن عشرة، عن الشهيد الأول[٩٦].

- الشيخ أحمد بن محمد بن فهد المقرئ الأحسائي القاري (المتوفى بعد ٨٠٦هـ):

مشايخه في الإجازة:

- الشيخ جمال الدين أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين بن المتوج البحراني.

---

(٩٢) نفس المصدر: ص٥٦.

(٩٣) له ترجمة في: أنوار البدرين: ٣/٥٠، أعيان الشيعة: ٤/٤٧٦، تكملة أمل الآمل: ٢/١٣٠، دائرة المعارف الشيعية: ٢/٤٠٢، أعلام هجر: ١/ ٣١٧.

(٩٤) أعلام هجر: ج١ ص٣٢٢.

(٩٥) عوالي اللآلي: الشيخ محمد بن أبي جمهور، ج١ ص٧.

(٩٦) أعلام هجر: ج١ ص٣٢٢.

الراوون عنه:

- الشيخ جمال الدين حسن الشهير بالمطوع الجرواني الأحسائي[٩٧].

طرقه في الإجازة:

- يروي عن الشيخ أحمد بن عبد الله المتوج البحراني عن العلامة الحلي[٩٨].
- الشيخ أحمد بن الشيخ محمد المحسني (١١٥٧ - ١٢٤٧هـ)[٩٩]:

مشايخه في الإجازة[١٠٠]:

١- الشيخ حسين بن الشيخ محمد آل عصفور (ت ١٢١٦هـ).
٢- الشيخ جعفر بن الشيخ خضر صاحب (كاشف الغطاء) النجفي (ت ١٢٢٨هـ).
٣- السيد محسن بن السيد حسن الحسيني الأعرجي الكاظمي (ت ١٢٢٧هـ).
٤- السيد محمد جواد بن السيد محمد الحسيني العاملي الشقرائي (ت ١٢٢٦هـ).
٥- السيد علي بن السيد محمد علي الطباطبائي (صاحب الرياض) (ت ١٢٣١هـ).
٦- السيد مهدي الطباطبائي (بحر العلوم) (ت ١٢١٢هـ).
٧- الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (ت ١٢٤١هـ).

الراوون عنه:

يتوقع إنه أجاز العديد من العلماء، إلا أنها غير معلومة لدينا، سوى إجازته للشيخ عبد الله بن تركي بن عبد الله بن الكعبي العامري التي ذكرها السيد هاشم الشخص في أعلامه:

- الشيخ عبد الله بن تركي بن عبد الله بن الكعبي العامري[١٠١].

طرقه في الإجازة:

الطريق الأول: عن الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن أحمد آل عصفور البحراني، عن والده الشيخ محمد، وعن عمه الشيخ صاحب (الحدائق) الشيخ يوسف الملقب بـ(الأصم)،

---

(٩٧) عوالي اللآلي: ج١ ص٦.
(٩٨) أعلام هجر: ج١ ص٣٤٢.
(٩٩)- له ترجمة في: أنوار البدرين: ٣/٨٨، طبقات أعلام الشيعة (القرن ١٣): ١٠٧، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: ٢/ ٤٠٤، أعلام هجر: ٣٧١، أعلام مدرسة الشيخ الأوحد: ١٠٣.
(١٠٠) أعلام هجر: ج١ ص٣٧٧.
(١٠١) نفس المصدر: ج١ ص٤٠٦.

عن مولانا محمد رفيع، عن الشيخ الأعظم صاحب البحار محمد باقر المجلسي، عن أبيه الشيخ محمد تقي، عن الملا محسن الكاشاني، عن بهاء الدين العاملي، عن أبيه الشيخ الحسين بن عبدالصمد، عن الشهيد الثاني بطرقه المذكورة.

الطريق الثاني: عن الشيخ جعفر بن خضر النجفي، عن شيخه السيد مهدي الطباطبائي، عن شيخه المجدد محمد باقر البهبهاني، عن والده وشيخه محمد أكمل، عن الميرزا محمد بن الحسن الشيرواني، ومحمد بن آقا حسين الخونساري، والشيخ جعفر القاضي، عن العلامة المجلسي بطرقه إلى الشهيد الثاني.

الطريق الثالث: عن السيد محسن ابن المقدس حسن الحسيني الأعرجي الكاظمي، عن شيخه محمد باقر الآقا البهبهاني المذكور، بسلسلته إلى الأئمة.

الطريق الرابع: عن السيد محمد جواد الحسيني الحسني العاملي، عن شيخه الشيخ يوسف البحراني الأصم بطرقه المذكورة.

الطريق الخامس: عن السيد علي بن محمد علي الطباطبائي، عن شيخه وخاله الآقا محمد باقر المذكور، بسنده المعلوم إلى الأئمة الأطهار.

الطريق السادس: عن السيد مهدي الطباطبائي (بحر العلوم)، عن شيخه الآقا محمد باقر، بطرقه المعروفة.

الطريق السابع: عن الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي بطرقه المذكورة في الأجازة[١٠٢].

- الشيخ حسن الشهير بالمطوع الجرواني (القرن التاسع الهجري):

مشائخه في الإجازة:

- الشيخ أحمد بن فهد بن إدريس المقري الأحسائي[١٠٣].

الراوون عنه[١٠٤]:

- الشيخ ناصر الدين الشهير بابن نزار الأحسائي[١٠٥].
- الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي.

(١٠٢) أعلام هجر: ج١ ص٤١٠.
(١٠٣) عوالي اللآلي: ج١ ص٢١.
(١٠٤) أعلام هجر: ج١ ص٤٧٦.
(١٠٥) عوالي اللآلي: ج١ ص٢١. الأمين، السيد محسن، مصدر سابق: ٨/ ٤٥٦.

طرقه في الإجازة:

- يروي عن الشيخ أحمد بن فهد الأحسائي، عن شيخه الشيخ أحمد بن عبد الله المتوج البحراني، عن العلامة الحلي بطرق العلامة المعروفة.

- الشيخ حسين بن علي بن الحسين بن أبي سروال الآوالي الهجري البحراني: (بعد ٩٥٦هـ):

مشائخه في الإجازة:

- المحقق الكركي الشيخ علي بن الحسين صاحب (جامع المقاصد)[١٠٦].

الراوون عنه:

- الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ إبراهيم النجار[١٠٧].

طرقه في الإجازة:

- يروي عن المحقق الكركي علي بن الحسين.

- الشيخ حبيب بن الشيخ علي آل بن قرين (١٢٧٥ - ١٣٦٣هـ):

مشايخه في الإجازة:

أُجيز الشيخ من عدد من رموز الحركة العلمية في العراق منهم:
- الشيخ فتح الله المعروف بشيخ الشريعة بن محمد الأصفهاني (ت ١٣٣٩هـ)[١٠٨].
- الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله آل عيثان (ت ١٣٣١هـ)[١٠٩].
- الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر الأسكوئي الحائري (ت ١٣٦٤هـ)[١١٠].

---

(١٠٦) أعلام هجر: ج١ ص٤٧٩.
(١٠٧) أعلام هجر: ج١ ص٤٨٠.
(١٠٨) حياة الشيخ حبيب آل بن قرين الأحسائي. صالح بن محمد الغانم. الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ. طباعة محلية. ص٣٧.
(١٠٩) أعلام هجر من الماضين والمعاصرين: السيد هاشم بن محمد الشخص. مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر: قم المقدسة. الطبعة الثانية:١٤١٦هـ. ج١ ص ٤٢٥.
(١١٠) دعوى وحدة الناطق أدلة بطلانها من كتب الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي: للشيخ حبيب بن قرين الأحسائي. تحقيق وتعليق: الشيخ عبد المنعم العمران. مؤسسة المصطفى لأحياء التراث: بيروت.الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. ص٦٢.

- السيد ناصر بن السيد هاشم السلمان (ت ١٣٥٨هـ)[١١١].

الراوون عنه:

يروي عنه عدد من علماء عصره المعروف منهم:
- الميرزا محسن بن الشيخ سلطان الفضلي (ت ١٤٠٩هـ)[١١٢].
- الشيخ كاظم بن الشيخ علي الصحاف (ت ١٣٩٧ هـ)[١١٣].

طرقه في الإجازة:

الطريق الأول: عن شيخ الشريعة الأصفهاني، عن السيد مهدي الحلي القزويني، عن عمه الجليل الزاهر السيد باقر القزويني، عن خاله العلامة بحر العلوم سيد مهدي الطباطبائي، عن الوحيد البهبهاني، عن والده (السيد محمد أكمل)[١١٤]، عن مشائخه الأجلاء: العلامة المجلسي صاحب البحار، والعلامة الشرواني، والعلامة جمال الدين الخوانساري، والفقيه النبيه الشيخ جعفر القاضي جميعاً عن المحدث الفقيه المولى محمد تقي المجلسي، عن الشيخ بهاء الدين العاملي، عن والده الفقيه حسين بن عبد الصمد العاملي، عن الشهيد الثاني المذكورة في إجازته المشهورة [١١٥]، إلا أن أعلى طرقه عن الشيخ علي بن عبد العلي الميسي، عن الشيخ شمس الدين محمد بن داوود الشهير بالمؤذن، عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الأول محمد مكي، عن أبيه، عن فخر المحققين محمد بن الشيخ العلامة الحسن بن مطهر الحلي، عن أبيه، عن شيخه الإمام المحقق جعفر بن سعيد الحلي، عن السيد السعيد شمس الدين فخار بن معد الموسوي، عن الشيخ شاذان بن جبرائيل القمي، عن الشيخ العماد محمد بن أبي القاسم الطبري، عن الشيخ الجليل أبي علي بن الشيخ الطوسي، عن أبيه،...، عن المفيد،...، عن ابن قولويه، عن الكليني[١١٦].

وعن شيخ الشريعة، عن الشيخ محمد حسين الكاظمي، عن جماعة منهم: الشيخ مرتضى الأنصاري، عن المولى أحمد النراقي، عن مشائخه الأجلاء وهم: والده المولى مهدي النراقي، والعلامة الطباطبائي بحر العلوم، والعلامة الحائري صاحب الرياض، والفقيه كاشف الغطاء، والفقيه الميرزا محمد مهدي الشهرستاني جميعاً، عن الوحيد المجدد

(١١١) نفس المصدر.
(١١٢) أعلام هجر: ج٣. ص١٩٠.
(١١٣) حياة الشيخ حبيب آل قرين الأحسائي: مصدر سابق. ص٥٢.
(١١٤) الإجازة بين الاجتهاد والسيرة: ص٦٤.
(١١٥) أعلام هجر: ج٣ ص١٩٩.
(١١٦) أعلام هجر: ج٣ ص٢١٤.

البهبهاني[١١٧].

وعنه -شيخ الشريعة- عن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، عن شيخيه العلمين كاشف الغطاء، وصاحب مفتاح الكرامة، عن الوحيد المجدد[١١٨].

وعن شيخ الشريعة، عن الشيخ جواد بن الشيخ تقي البياتي الحلواني، عن صاحب مفتاح الكرامة، عن الوحيد[١١٩].

عن شيخ الشريعة نفسه، عن السيد محمد باقر الخوانساري الأصفهاني صاحب (روضات الجنات)، عن العلامة الجيلاني الحاج السيد محمد باقر صاحب (مطالع النور)، عن كاشف الغطاء، عن الوحيد[١٢٠].

- الشيخ عبد المحسن بن الشيخ محمد بن الشيخ مبارك اللويمي (١٢٤٥هـ):

مشايخه في الإجازة:

- السيد محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ)[١٢١].
- السيد الميرزا مهدي الشهرستاني الحائري (ت ١٢١٦هـ)[١٢٢].
- الشيخ حسين بن الشيخ محمد آل عصفور -ابن أخ صاحب الحدائق- (ت ١٢١٦هـ)[١٢٣].
- الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني[١٢٤].
- الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم آل عيثان الأحسائي[١٢٥].

الراوون عنه:

- الشيخ أحمد بن الحاج محمد مال الله الصفار الخطي الأحسائي.
- الشيخ سليمان بن الشيخ أحمد الحسين آل عبد الجبار القطيفي (ت ١٢٦٦هـ)[١٢٦].

---

(١١٧) أعلام هجر: ج٣ ص٢٠٠.
(١١٨) أعلام هجر: ج٣ ص٢٠٠.
(١١٩) نفس المصدر.
(١٢٠) نفس المصدر: ص٢٠١.
(١٢١) البلادي، مصدر سابق: ٣/ ٨٥.
(١٢٢) البلادي، مصدر سابق: ٣/ ٨٥.
(١٢٣) البلادي، مصدر سابق: ٣/ ٨٥.
(١٢٤) البلادي، مصدر سابق: ٣/ ٨٥. الأمين، السيد محسن، مصدر سابق: ٤/٢٦١.
(١٢٥) الأمين، حسن، مصدر سابق: ٢/ ١٦٣.أعلام هجر: ج٢ ص٢٧٣.
(١٢٦) البلادي، مصدر سابق: ٣/ ٨٥، الأمين، حسن، مصدر سابق: ٢/ ١٦٣.

- الشيخ عبد الحسين بن ناصر الأحسائي القاري.
- الشيخ علي بن الشيخ عبد المحسن اللويمي[١٢٧].
- الشيخ علي بن الشيخ مبارك آل حميدان الخطي الجارودي[١٢٨] (ت ١٢٦٦هـ).
- الشيخ محمد بن مشاري الجفري الأحسائي[١٢٩].

طرقه في الإجازة:

الطريق الأول: عن الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم بن عصفور، عن والده، وعن عميه الشيخ يوسف والشيخ عبد علي، بطرقهم المعروفة.

الطريق الثاني: عن السيد الميرزا محمد مهدي الشهرستاني، عن شيخه الشيخ يوسف البحراني صاحب (الحدائق).

الطريق الثالث: عن الشيخ احمد بن الشيخ حسن بن محمد بن علي الحويصي الدمستاني، وهو أول من أجازه سنة ١٢٠٥هـ.

الطريق الرابع: عن الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم بن عيثان الأحسائي، عن الشيخ حسين العلامة، ومنهم الشهيد الثالث الميرزا محمد مهدي الحسيني الموسوي الأصفهاني، ومنهم الشيخ جعفر الصادق، بحق روايته عن السيد محمد مهدي الطباطبائي، ومنهم الملا محمد علي بن الآقا محمد باقر البهبهاني[١٣٠].

- الشيخ حسام الدين إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي (توفى قبل ٨٩٥هـ):

مشايخه في الإجازة:

- يروي عن الشيخ ناصر الدين بن نزار الأحسائي[١٣١].

الراوون عنه:

- نجله الشهير الشيخ محمد بن الشيخ علي بن إبراهيم بن أبي جمهور[١٣٢].
- المحقق الكركي.

---

(١٢٧) البلادي، مصدر سابق: ٣/ ٨٦.
(١٢٨) البلادي، مصدر سابق: ٣/ ٨٥، الأمين، حسن، مصدر سابق: ٢/ ١٦٣.
(١٢٩) أعلام هجر: ج٢ ص٢٧٩.
(١٣٠) أعلام هجر: ج٢ ص٢٨٠ - ٢٨١.
(١٣١) عوالي اللآلي: ج١ ص٢١.
(١٣٢) عوالي اللآلي: ج١ ص٢١.

طرقه في الإجازة:

الطريق الأول: يروي عن الشيخ ناصر الدين بن نزار الأحسائي، عن شيخه الشيخ حسن المطوع الجرواني الأحسائي، عن الشيخ أحمد بن فهد بن إدريس المقري الأحسائي، عن شيخه الشيخ أحمد بن عبدالله بن المتوج البحراني، عن فخر المحققين أبي طالب محمد الحلي، عن والده العلامة الحلي، بطرق العلامة المشهورة.

الطريق الثاني: روى الشيخ إبراهيم القطيفي، عن المحقق الكركي، عن علي بن هلال الجزائري، والشيخ محمد بن زاهد، وأبي الحسن علي بن الفاضل حسام الدين إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي[١٣٣].

- الشيخ علي بن الشيخ حسن المطوع الجرواني (القرن التاسع الهجري):

مشايخه في الإجازة:

- الشيخ محمد بن إسماعيل بن علي الرزاني أو (الرازاني)[١٣٤].

ولعله يروي عن والده أيضاً الشيخ حسن الذي هو من مشائخ الإجازة.

الراوون عنه:

- السيد علي بن محمد بن دقماق الشريف الحسيني (كان حياً سنة ٨٠٦هـ)[١٣٥].

طريقه في الإجازة:

يروي عن الشيخ محمد بن إسماعيل بن علي الرزاني أو (الرازاني)، عن جملة من المشائخ المحققين والمجتهدين[١٣٦].

- الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله آل عيثان (١٢٦٠ - ١٣٣١هـ):

مشايخه في الإجازة:

أُجيز الشيخ محمد بن عيثان من جميع أساتذته في الرواية والدراية[١٣٧]، ونحن

(١٣٣) ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي: ٦/١، الأمين، السيد محسن، مصدر سابق: ٦٣/٣. أعلام هجر ج١ ص١٠٦.
(١٣٤) أعلام هجر: ج٢ ص٣١٢.
(١٣٥) أعلام هجر: ج٢ ص٣١٢.
(١٣٦) أعلام هجر: ج٢ ص٣١٢.
(١٣٧) الرد على النصارى: الشيخ محمد بن عبد الله آل عيثان.

نذكرها، ثم سنذكر طرق تلك الإجازات في موضعه:

- الشيخ محمد حسين الكاظمي (ت ١٣٠٨هـ).
- الميرزا السيد حسن بن السيد محمود الحسيني الشيرازي (ت ١٣١٢هـ).
- الشيخ محمد طه نجف (ت ١٣٢٣هـ)[١٣٨].
- السيد محمد مهدي القزويني (ت ١٣٠٠هـ).
- الميرزا محمد باقر بن محمد سليم الأسكوئي (ت ١٣٠١هـ)[١٣٩].
- الميرزا السيد محمد حسن بن السيد محمود الحسيني الشيرازي (١٣١٢هـ)[١٤٠].

الراوون عنه:

- الشيخ حبيب بن صالح بن علي القرين (ت ١٣٦٤هـ).
- الشيخ عبد الله بن معتوق الخطي القطيفي (ت ١٣٦٢هـ).
- الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر الأسكوئي الحائري (ت ١٣٦٤هـ)[١٤١].

ولا يوجد لدينا شك بأنه أجاز العديد من تلامذته، ولكن ضعف الرصد البلاء الذي عصف بتاريخ منطقتنا فوَّت علينا الكثير منهم، وإلا ممن تتلمذ عليه أو يحتمل دراسته عليه بين النجف الأشرف و الأحساء ٣٦ علماً كما يذهب الأستاذ البدر في بحثه القيم عن الشيخ العيثان[١٤٢].

طرقه في الإجازة:

الطريق الأول: عن السيد مهدي القزويني، عن خالة السيد محمد باقر القزويني، عن الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي[١٤٣].

الطريق الثاني: عن السيد مهدي الحلي القزويني، عن عمه الجليل الزاهر السيد باقر القزويني، عن خاله العلامة بحر العلوم سيد مهدي الطباطبائي، عن الوحيد البهبهاني، عن

---

(١٣٨) العلامة الإمام الشيخ محمد آل عيثان الأحسائي شمس الشموس. أحمد عبد المحسن البدر. نسخة خطية. ص٧٨.

(١٣٩) الإجازة بين الأجتهاد والسيرة. الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر الأسكوئي. إعداد وتحقيق: أحمد البوشفيع. لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد الأحسائي: بيروت. الطبعة الثانية: ١٤٢٢هـ. ص٦٢. كما ذكرهم جميعاً الباحث البدر. في كتابة الشيخ محمد آل عيثان: ص٧٩.

(١٤٠) أعلام هجر: ج٤ ص٤٥٩.

(١٤١) العلامة الإمام الشيخ محمد آل عيثان الأحسائي: مصدر سابق. ص١٣٨.

(١٤٢) نفس المصدر: ١٢٤ - ١٣٧.

(١٤٣) العلامة الإمام الشيخ محمد آل عيثان الأحسائي: ص٧٧، نقلاً عن منتظم الدرين: لمحمد علي التاجر.

والده (السيد محمد أكمل)[١٤٤]، مشائخه الأجلاء: العلامة المجلسي صاحب البحار، والعلامة الشرواني، والعلامة جمال الدين الخوانساري، والفقيه النبيه الشيخ جعفر القاضي، جميعاً عن المحدث الفقيه المولى محمد تقي المجلسي، عن الشيخ بهاء الدين العاملي، عن والده الفقيه حسين بن عبد الصمد العاملي، عن الشهيد الثاني المذكورة في إجازته المشهورة[١٤٥].

الطريق الثالث: عن الميرزا محمد باقر الأسكوئي الحائري، عن الميرزا شفيع التبريزي، وعن الميرزا حسن الشهير بكوهر، كلاهما عن السيد كاظم الرشتي، عن الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي[١٤٦].

- الميرزا محسن بن الشيخ سلطان الفضلي (١٣٠٩ - ١٤٠٩هـ):

مشايخه في الإجازة:

- الشيخ حبيب بن الشيخ صالح آل قرين الأحسائي (ت ١٣٦٤هـ)[١٤٧].

الراوون عنه:

الشيخ محسن بن علي المعلم القطيفي[١٤٨].

طرقه في الإجازة:

- يروي عن الشيخ حبيب آل قرين بطرقه المذكورة سابقاً في إجازته.

- السيد محمد باقر بن السيد علي الشخص (١٣١٥ - ١٣٨١هـ):

مشايخه في الإجازة:

- السيد حسن الصدر (ت ١٣٥٤هـ).
- السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي (ت ١٣٧٧هـ).
- السيد الميرزا عبد الهادي الشيرازي (ت ١٣٨٢هـ)[١٤٩].

---

(١٤٤) الإجازة بين الاجتهاد والسيرة: ص٦٤.
(١٤٥) أعلام هجر: ج٣ ص١٩٩.
(١٤٦) العلامة الإمام الشيخ محمد آل عيثان الأحسائي: ٧٨.
(١٤٧) أعلام هجر: ج٣ ص١٩٠.
(١٤٨) أعلام هجر: ج٣ ص١٩٢.
(١٤٩) أعلام هجر: ج٣ ص٢٧٨.

الراوون عنه:

- الشيخ حسين القديحي نجل الشيخ علي صاحب (أنوار البدرين).
- الشيخ فرج آل عمران القطيفي[١٥٠].

طرقه في الإجازة:

الطريق الأول: عن الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين، عن شيخه ووالده السيد يوسف، عن الشيخ محمد حسين الكاظمي، والميرزا حبيب الله الرشتي، بطرقهم المعتبرة إلى جميع أرباب الكتب، والسيد الحسن بن الهادي بن الشريف محمد علي الموسوي العاملي، عن مشائخه المتصلة بأهل بيت النبوة عليهم السلام، والشيخ المتتبع الميرزا النوري صاحب (مستدرك الوسائل) بطرقه، عن مشائخه المذكورة في خاتمة المستدرك، والشيخ فتح الله الشيرازي عن مشائخه[١٥١].

كما أن أستاذه السيد شرف الدين يروي عن خاله السيد حسن بن السيد هادي الصدر، ومنهم السيد محمد هاشم بن السيد زين العابدين صاحب (مباني الأصول).

ويروي عن جماعة آخرين من علماء الزيدية، وأهل السنة والجماعة[١٥٢] وهم أكثر من مشائخه الإمامية، ولكن أقطابهم خمسة وهم: الشيخ سليم البشري المالكي شيخ الأزهر، كما أجازه الإمام الفقيه محمد المعروف بالشيخ بدر الدين الدمشقي شيخ الإسلام بدمشق، كما أجازه الشيخ العلامة الكبير، والمحدث الشهير، الشيخ محمد بن محمد بن عبدالله الخاني الخالدي النقشبندي الشافعي، وأجازه أيضاً الشيخ محمد المعروف بالشيخ توفيق الأيوبي الأنصاري الدمشقي، وأجازه أيضاً الشيخ محمد عبدالحي بن الشيخ عبدالكبير الكناني الفاسي الإدريسي.

وقد أجازه كل من المذكورين برواية (صحيح البخاري)، وغيره من كتب الحديث بما يرويه بجميع أسانيده وطرقه عن مشائخه[١٥٣].

- الشيخ محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي (المتوفى بعد سنة ٩٠١هـ):

مشايخه في الإجازة:

- الشيخ علي بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي[١٥٤].

---

(١٥٠) أعلام هجر: ج٣ ص٢٩٠.

(١٥١) أعلام هجر: ج٣ ص٣٣٨.

(١٥٢) نفس المصدر: ص٣٣٩.

(١٥٣) راجع إجازة السيد الشخص للشيخ فرج العمران التفصيلة ، أعلام هجر: ج٣ ص ٣٤٠ - ٣٥٢، وقد حذفنا طرق كل منهم مراعاة للاختصار.

(١٥٤) عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية: الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي: مطبعة سيد الشهداء: قم المقدسة. الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. ج١ ص٦.

- السيد شمس الدين محمد بن السيد كمال الدين موسى الحسيني[١٥٥].
- الشيخ حرز الدين الآوالي[١٥٦].
- الشيخ زين الدين علي بن هلال الجزائري[١٥٧].
- الشيخ عبدالله بن علاء الدين الواعظ القمي القاساني[١٥٨].
- السيد محمد بن السيد أحمد الموسوي الحسيني[١٥٩].
- الشيخ حسين بن عبدالكريم الفتَّال[١٦٠].

الراوون عنه:

- السيد محسن محمد الرضوي (ت ٩٣١هـ)، كتبها بالمشهد الرضوي في منتصف ذي القعدة سنة ٨٩٧هـ[١٦١].

- للسيد شرف الدين محمود بن السيد علاء الدين الطالقاني[١٦٢].

- للشيخ محمد صالح الغروي الحلي، إجازة بثلاث أحجام: الأولى: مختصرة، تاريخها ٢٤ ربيع الثاني ٨٩٦هـ، الثانية: متوسطة ذكر فيها المجيز (٢٤ كتاباً) من تصانيفه، تاريخها أول جمادى الأولى ٨٩٦هـ، الثالثة: متوسطة كتبها في قرية (قلقان) باستراباد، وتاريخها منتصف جمادى الأولى سنة ٨٩٨هـ[١٦٣].

- الشيخ ربيعة بن جمعة العري العبادي الجزائري (كان حيًّا سنة ٩١٢هـ)[١٦٤]:

طرقه في الإجازة:

- يروي عن والده الشيخ علي بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي، عن شيخه قاضي قضاة الإسلام، ناصر الدين الشهير بابن نزار الأحسائي، عن أستاذه الشيخ جمال الدين

(١٥٥) عوالي اللآلي. مصدر سابق: ص٨.
(١٥٦) عوالي اللآلي. مصدر سابق: ص٧.
(١٥٧) الإجازة الكبيرة للسماهيجي: مصدر سابق. ص١٦٧.
(١٥٨) عوالي اللآلي: مصدر سابق: ص٩.
(١٥٩) الإجازة الكبيرة للسماهيجي: مصدر سابق. ص١٧١.
(١٦٠) عوالي اللآلي: مصدر سابق: ص٨.
(١٦١) بحار الأنوار: ج١٠٥ ص٥.
(١٦٢) معجم المؤلفات الشيعية: ج١ص٤٣.
(١٦٣) بحار الأنوار: ج١٠٥ ص١٨.
(١٦٤) بحار الأنوار: ج١٠٥ ص١٣.

حسن الشهير بابن مطوع الجرواني الأحسائي، عن الشيخ شهاب الدين أحمد بن فهد بن إدريس المضري الأحسائي، عن شيخه فخر الدين أحمد بن عبدالله الشهير بابن المتوج البحراني، عن شيخه وأستاذه الشيخ فخر الدين أبي طالب محمد بن الشيخ العلامة جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن مطهر العلامة الحلي، عن والده العلامة[١٦٥].

- يروي عن السيد شمس الدين محمد بن السيد كمال الدين موسى الحسيني، عن والده المذكور، عن الشيخ فخر الدين أحمد بن محمد بن عبدالله السبعي الأحسائي، عن الشيخ محمود المشهور بابن أمير الحاج العاملي، عن شيخه الشيخ حسن المشهور بابن العشرة، عن شيخه الشهيد محمد بن مكي العاملي، عن السيدين المرتضيين، السيد ضياء الدين عبدالله، والسيد عميد الدين عبدالمطلب، ابني المرتضى السعيد محمد بن علي بن محمد بن الأعرج الحسيني، وهما معاً عن شيخهما، وخالهما الشيخ جمال المحققين أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي[١٦٦].

- يروي عن الشيخ زين الدين علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ حسن الشهير بابن العشرة، عن شيخه وأستاذه محمد مكي العاملي، الشهير بالشهيد الأول، عن ضياء الدين عبدالله بن محمد بن علي بن محمد بن الأعرج الحسيني، عن خاله الشيخ جمال المحققين الحلي، عن والده العلامة الحلي[١٦٧].

- يروي الشيخ حرز الدين الآوالي، عن شيخه فخر الدين أحمد بن مخدم الآوالي، عن شيخه العلامة أحمد بن عبد الله بن المتوج البحراني، عن شيخه فخر المحققين محمد ابن العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر عن أبيه العلامة[١٦٨].

- يروي عن شمس المعالي والفقه السيد محمد بن السيد أحمد الموسوي الحسيني، عن شيخه الشيخ يوسف بن حسين الشهير بابن أبي القطيفي القديحي، عن شيخه رضي الدين حسين الشهير بابن راشد القطيفي، عن عدة من مشايخه أشهرهم الشيخ العلامة جمال الدين أبو العباس أحمد بن فهد الحلي، عن شيخيه ظهير الدين الشيخ علي بن يوسف بن عبدالجليل النيلي، ونظام الدين الشيخ علي بن عبدالحميد النيلي، كلاهما عن الشيخ فخر المحققين محمد بن الحسن بن المطهر، عن والده العلامة جمال المحققين الحسن بن يوسف بن المطهر، بطرق العلامة الحلي لمعروفة[١٦٩].

- وله رواية عن الشيخ حسين بن عبد الكريم الفتَّال، عن شيخه جمال الدين حسن بن

(١٦٥) عوالي اللآلي: مصدر سابق. ص٦.
(١٦٦) عوالي اللآلي: مصدر سابق. ص٧.
(١٦٧) عوالي اللآلي: مصدر سابق. ص٩.
(١٦٨) عوالي اللآلي. مصدر سابق: ص٨.
(١٦٩) عوالي اللآلي. مصدر سابق: ص٨.

الشيخ حسين بن مطهر الجزائري، عن شيخه الشيخ جمال الدين حسن بن الشيخ حسين بن مطر (مطهر) الجزائري، عن شيخه أبو العباس أحمد بن فهد الحلي، عن شيخيه ظهير الدين ونظام الدين المذكورين كلاهما، عن شيخهما الشيخ فخر المحققين، عن والده جمال المحققين العلامة الحلي[١٧٠].

- كما يروي عن الشيخ عبدالله بن علاء الدين فتح الله بن عبدالملك الواعظ القمي القاساني، عن جده رضي الدين عبدالملك بن شمس الدين إسحاق القمي، شرف الدين علي، عن أبيه الشيخ الكامل الفقيه تاج الدين حسن السرابشنوي، عن الشيخ جمال الدين حسن بن المطهر[١٧١].

- وعنه بطريق آخر، عن جده رضي الدين عبدالملك بن شمس الدين إسحاق القمي، عن أبي العباس أحمد بن فهد الحلي، عن شيخه نظام الدين النيلي، عن الشيخ فخر المحققين أبي طالب محمد، عن أبيه الشيخ جمال المحققين حسن بن مطهر[١٧٢].

- وعنه أيضاً، عن جده بطريق ثالث، عن جمال الدين مقداد بن عبدالله بن محمد بن حسين السيوري، عن شيخه الشهير بالشهيد (الأول محمد مكي)، عن فخر المحققين، عن أبيه الشيخ جمال المحققين حسن المذكور[١٧٣].

- وعنه كذلك بطريق مختلف، عن جده رضي الدين عبدالملك بن شمس الدين إسحاق القمي، عن الشيخ زين الدين علي الاسترابادي، عن شيخه أبي سعيد الحسن بن عبدالله بن محمد بن علي الأعرج الحسيني، عن شيخه فخر المحققين الحلي، عن والده العلامة الحلي، بطرق العلامة المعروفة في المشيخة[١٧٤].

- وعنه أيضاً، عن أبيه فتح الله عن أبيه عبدالملك، عن مشائخه المذكورين، عن جمال المحققين، العلامة حسن بن المطهر، بطرق العلامة المشهورة[١٧٥].

وهذه الطرق جميعاً التي تنتهي إلى العلامة الحلي وهو عن شيخه نجم الملة والدين أبي القاسم جعفر بن سعيد الحلي، وهو يروي عن الشيخ نجيب الدين محمد بن نما، وهو يروي عن جماعة، أمثلهم العلامة محمد بن إدريس العجلي، وهو يروي، عن الشيخ عربي بن مسافر العبادي، عن شيخه الياس بن هشام الحائري، عن شيخه أبي علي، عن والده الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي[١٧٦].

(١٧٠) عوالي اللآلي. مصدر سابق: ص٩.
(١٧١) عوالي اللآلي. مصدر سابق: ص١٠.
(١٧٢) نفس المصدر.
(١٧٣) نفس المصدر.
(١٧٤) الإجازة الكبيرة للسماهيجي: مصدر سابق. ص١٧٦.
(١٧٥) عوالي اللآلي. مصدر سابق: ص١٠.
(١٧٦) نفس المصدر: ص١١.

- الشيخ محمد بن علي الأحسائي (النصف الأول من القرن الحادي عشر):

كان يسكن أصفهان وهو من مشايخ الإجازة، ولم نعرف عمن يروي من المشايخ.

الراوون عنه:

- يروي عنه الحسين بن حيدر بن علي بن قمر الكركي المفتي بأصفهان (ت ١٠٤١هـ)[١٧٧].

- السيد ناصر بن السيد هاشم بن السيد أحمد السلمان المبرزي (ت ١٣٥٨هـ):

مشايخه في الإجازة:

- يروي عن السيد محمد كاظم اليزدي صاحب (العروة الوثقى)، وعن بعض علماء البحرين[١٧٨].

الراوون عنه:

- السيد شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي (ت ١٤١١هـ)، وهي إجازة شفهية[١٧٩].
- الشيخ محمد طاهر بن الشيخ محمد آل أبي خمسين[١٨٠].

طرقه في الإجازة:

يروي عن السيد محمد كاظم اليزدي بطرق اليزدي المثبته في طرق الحديث.

- السيد هاشم بن الحسين بن السيد عبد الرؤوف الأحسائي (كان حيًّا سنة ١٠٧٣هـ):

مشايخه في الإجازة:

- الشيخ محمد بن علي بن محمد الحرفوشي الحريري العاملي الكركي (١١٥٩هـ)[١٨١].

---

(١٧٧) طبقات أعلام الشيعة في القرن الحادي عشر ص٤٩٤.

(١٧٨) الإجازة الكبيرة (الطريق والمحجة لثمرة المهجة). المرعشي النجفي. مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة: قم المقدسة. الطبعة الأولى: ١٤١٤. ص٢٣١.

(١٧٩) نفس المصدر.

(١٨٠) مجلة الساحل: مجلة فصلية بيروت. العدد (الخامس) السنة الثانية شتاء ٢٠٠٨م. رسالة في صلاة الجماعة للشيخ طاهر أبو خمسين. تعريف. أحمد المحمد صالح. ص١٨٢.

(١٨١) الإجازة الكبيرة للمرعشي. مصدر سابق. ص٣٣٠.

- جواد الكاظمي[١٨٢].
- السيد نور الدين العاملي أخ صاحب المدارك.
- فخر الدين الطريحي صاحب (مجمع البحرين)[١٨٣].

الراوون عنه:

- السيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ)، تاريخها عام ١٠٧٣هـ[١٨٤].
- السيد حسين بن الأمير إبراهيم بن محمد معصوم الحسيني القزويني[١٨٥].

طرقه في الإجازة:

يروي عن الشيخ محمد بن علي بن محمد الحرنوشي الحريري العاملي الكركي، عن علي بن عثمان بن خطاب بن مرة بن مؤيد الهمداني المعروف بابن أبي الدنيا المعمر المغربي[١٨٦].

الأحسائيون الذين لهم مشيخة

وإليك طرفاً من الأعلام الأحسائيين الذين كانوا طريقاً في الإجازات الروائية، ولم نعلم إن كان هناك من يروي عنهم أم لا، لذا لم نشملهم ضمن مشيخة الإجازة، وكثرة هؤلاء، وما يمتلكونه من مستوى علمي دون معرفة تاريخهم الروائي لهو شيء يؤسف له، ودلالة على عدم العناية بتاريخنا الديني بالشكل المطلوب:

- الشيخ حسن بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد المحسني (١٢١٣ - ١٢٧٢هـ):

يروي بثلاث طرق وعن ثلاثة من الأعلام:

الطريق الأول: عن الشيخ محمد حسن النجفي صاحب (الجواهر).

الطريق الثاني: عن الشيخ خضر شلال العفكاوي النجفي.

الطريق الثالث: عن طريق الشيخ محسن الأعسم[١٨٧].

ولا يبعد أن يكون ممن يروي عن والده، حيث إنه من الأعلام البارزين ومن مشيخة الإجازة المعروفين.

---

(١٨٢) الإجازة الكبيرة: للمحقق السيد عبد الله الموسوي الجزائري التستري. تحقيق: محمد السمامي الحائري. مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي: قم المقدسة. الطبعة الأولى: ١٤٠٩. ص١٠٦.

(١٨٣) نفس المصدر: ص٣٦.

(١٨٤) معجم المؤلفات الشيعية: ج١ ص ٤٥.

(١٨٥) الإجازة الكبيرة للمرعشي: مصدر سابق. ص٣٣٠.

(١٨٦) نفس المصدر: ص٣٣٠.

(١٨٧) أعلام هجر: ج١ ص٤٤٣.

- الشيخ حسين بن محمد حسين الفيلي آل دهمش الأحسائي (١٣٢٢ - ١٣٩٨هـ):
يروي عن السيد علي شبر الحسيني[١٨٨].
- الشيخ سلمان بن الشيخ محمد بن الشيخ حسن المحسني (١٢٨١ - ١٣٤١هـ)[١٨٩]:
يروي عن الشيخ محمد حرز الدين النجفي صاحب (معارف الرجال)[١٩٠].
- الشيخ عبد الإمام بن صالح آل سيف الأحسائي (ت ١٢٠٩هـ)[١٩١]:
يروي عن الشيخ أحمد بن إبراهيم الدرازي - (والد صاحب الحدائق)[١٩٢].
- الدكتور الشيخ عبد الهادي بن الشيخ عبد المحسن الفضلي (١٣٥٤-...)[١٩٣]:
له إجازة في الرواية من الآقا بزرك الطهراني صاحب (الذريعة)[١٩٤].
- الشيخ علي بن الشيخ عبد المحسن بن الشيخ محمد اللويمي (القرن الثالث عشر)[١٩٥]:
يروي عن والده الشيخ عبد المحسن اللويمي بطرقه المذكورة في إجازته[١٩٦].
- الشيخ علي بن الشيخ مبارك بن الشيخ علي آل حميدان الأحسائي القطيفي الجارودي (ت ١٢٦٦هـ):
له طريقين في الإجازة وهم:
الطريق الأول: الشيخ عبد المحسن بن الشيخ محمد اللويمي (ت ١٢٤٥هـ)، عن مشائخة التي مر ذكرهم في إجازته.
الطريق الثاني: يروي عن الشيخ سليمان بن الشيخ أحمد بن الحسين آل عبدالجبار القطيفي (ت ١٢٦٦هـ)[١٩٧].
- الشيخ عمران بن حسن بن سليم آل علي الفضلي (١٢٧٠ - ١٣٦٠هـ):
له إجازة رواية من السيد أبي تراب الموسوي الخونساري النجفي، عن مشائخه[١٩٨].

---

(١٨٨) أعلام هجر: ج١ ص٤١٢.
(١٨٩) له ترجمة في: طبقات أعلام الشيعة: قرن ١٣: ٦١٠، أعيان الشيعة: ١١/ ٣١١، معارف الرجال: ١/٣٣٩، دائرة المعارف الشيعية: ٢/ ٤٠٧، أعلام هجر: ٢/١٠٤.
(١٩٠) الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: ٢/ ٤٠٧. أعلام هجر: ج٢ ص١٠٥.
(١٩١) له ترجمة في: تاريخ البحرين: (مخطوط)، منتظم الدرين: (مخطوط)، مستدرك أعيان الشيعة: ٢/ ١٥٤، أعلام هجر: ٢/ ١٨٧.
(١٩٢) تاريخ البحرين: (مخطوط). أعلام هجر: ج٢ ص١٨٧.
(١٩٣) له ترجمة مفصلة في أعلام هجر.
(١٩٤) الشخص، مصدر سابق: ٣/٥٣٤.
(١٩٥) له ترجمة في: أنوار البدرين، منتظم الدرين: (مخطوط).
(١٩٦) أعلام هجر: ج٢ ص٣٣١.
(١٩٧) أعلام هجر: ج٢ ص٣٣٧.
(١٩٨) أعلام هجر: ج٢ ص٤٦٧.

- الشيخ عيسى بن عبد الله بن عيسى الشواف (١٣٠٤ - ١٣٣٨هـ):

حصل على إجازة رواية من الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر الإسكوئي الحائري (ت ١٣٦٤هـ)[١٩٩].

- الشيخ محمد بن أحمد بن علي الفقيه الأحسائي (القرن التاسع الهجري):

يروي عن الشيخ محمود بن أمير الحاج العاملي، عن شيخه الحسن بن العشرة الكركي العاملي[٢٠٠].

- الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن الشيخ علي آل أبي خمسين (١٢١٠ - ١٣١٦هـ):

يعتقد أن للشيخ (١٤ إجازة) بين اجتهاد ورواية من كبار علماء عصره[٢٠١]، إلا أن المعروف له ثلاث إجازات ذيَّل بها كتابه (مفاتيح الأنوار)، والمتيقن إنه مجاز بالرواية منها:

الطريق الأول: الشيخ علي بن الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء، وتاريخها ١٢٥٢هـ[٢٠٢].

الطريق الثاني: عن أستاذه السيد كاظم الرشتي، عن شيخه الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، بطرق الشيخ التي رصدناها سابقاً، وباقي طرق ومشائخ السيد الرشتي[٢٠٣].

الطريق الثالث: يروي عن شيخه الشيخ حسين بن مولى قلي الكنجوري الحائري، عن شيخه السيد كاظم الرشتي بطرق السيد الرشتي، عن شيخه العلامة وسائر مشائخه العظام[٢٠٤].

الطريق الرابع: له رواية عن أستاذه المولى محمد حسين الملقب بـ(محيط الكرماني)، عما يرويه عن مشائخه[٢٠٥].

ولعل للشيخ إجازات لتلاميذه ولكن لم نعلم بشيء منها.

- الشيخ محمد طاهر بن الشيخ محمد آل أبي خمسين (١٢٩٠ - ١٣٤٢هـ):

---

(١٩٩) أعلام هجر: ج٢ ص٤٧٩.

(٢٠٠) أعلام هجر: ج٣ ص٢٤٣

(٢٠١) في محراب الشيخ محمد ابن الشيخ حسين آل أبي خمسين، الشيخ موسى الهادي. دار المحسن: الطبعة الأولى: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م. ص٨٤.

(٢٠٢) النور المضي في معرفة الكنز الخفي: للشيخ محمد آل أبي خمسين الأحسائي. تحقيق وتعليق: الشيخ عبد المنعم العمران. دار المحجة البيضاء: بيروت. الطبعة الأولى:١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م. ص٢٧.

(٢٠٣) نفس المصدر: ص٢٨.

(٢٠٤) نفس المصدر: ص٣٠.

(٢٠٥) نفس المصدر: ص٣٢.

للشيخ في الرواية سبعة طرق جميعها ترجع إلى كبار الفقهاء والعلماء وهم[٢٠٦]:

الطريق الأول: يروي عن الشيخ فتح الله، شيخ الشريعة الأصفهاني (ت ١٣٣٩هـ).

الطريق الثاني: الميرزا حسين بن الميرزا خليل الخليلي (ت ١٣٥٦هـ).

الطريق الثالث: السيد أبو تراب الموسوي الخونساري (ت ١٣٤٦هـ).

الطريق الرابع: الشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب (الكفاية).

الطريق الخامس: السيد ناصر السيد هاشم السلمان.

الطريق السادس: الميرزا موسى الحائري الأحقاقي.

الطريق السابع: عبد الهادي شليلة[٢٠٧].

- الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله اللويم (١٣٦١هـ -.....):

له إجازة رواية واحدة حيث يروي عن الشيخ الفاضل اللنكراني عن شيخه في الإجازة الشيخ آقا بزرك الطهراني صاحب كتاب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة)، عن سائر مشائخه وطرقه[٢٠٨].

نماذج من الإجازة الروائية

سنورد في السطور القادمة نموذجين للإجازة الروائية عند علماء الأحساء، لتكون عينة لطريقة كتابة الإجازة الروائية لدى علمائنا السابقين، وما تحويه الإجازة من بيان مقام العلماء لديهم، وحرصهم على حفظ الحديث من الإرسال، وأن يبقى مسنداً عن طريق العلماء والرواة، وقد اخترنا الشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي، والشيخ أحمد بن زين الدين، لكونهما ألمع مشيخة الإجازة في البلاد، وأكثرهما طرقاً في الرواية:

النموذج الأول:

إجازة الشيخ محمد بن علي أبي جمهور الأحسائي (ت بعد سنة ٩٠١هـ) للسيد محسن بن محمد الرضوي[٢٠٩]:

---

(٢٠٦) مجلة الساحل: مجلة فصلية بيروت. العدد (الخامس) السنة الثانية شتاء ٢٠٠٨م. رسالة في صلاة الجماعة للشيخ طاهر أبو خمسين. تعريف. بقلم أحمد المحمد صالح: ص١٨٢.

(٢٠٧) وقد أضاف البعض في إجازة الرواية والاجتهاد السيد محمد علي الإمامي الخوانساري (١٢٥٤ - ١٣٣٢هـ)، إلا أن الإنصاف أن إجازة الإمامي للشيخ طاهر إجازة اجتهاد فقط، وليست متضمنة رواية أيضاً، لذا هي خارجة عن محل بحثنا، وقد أوردها الأستاذ أحمد المحمد صالح كاملة في تعريفة بالرسالة السابقة ص ١٨٨، في مجلة الساحل.

(٢٠٨) أعلام هجر: السيد هاشم الشخص، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر. قم المقدسة. الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م. ج٤ ص٣٧٣.

(٢٠٩) بحار الأنوار: مؤسسة أهل البيت عليهم السلام: بيروت. الطبعة الأولى:١٤١٠هـ - ١٩٩٠م . ج١٠٥ ص٥.

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد الله الذي أنقذنا من حيرة الجهالة وضلالة الغواية بما هدانا به من معالم طريقي الدراية والرواية، وعلمنا بهما ما أرشدنا إلى نور الهداية وسبيل الولاية، وأوضح لنا بالبينات ما أوصلنا إلى مساعي ذوي النهاية حتى صرنا باتِّباعهم وولايتهم من المبعدين عن مهاوي الشقاية والعماية، والصلاة على نبينا محمد المخصوص بالمقام المحمود والرعاية، والحوض المورود في يوم القيامة للسقاية وآله المشهورين بالنص والعصمة والوقاية، وأصحابه الموفين له بالوعود والعهود والحماية، صلاة دائمة من غير نهاية ولا بداية.

وبعد. فقد سمع مني مُؤلفي هذا، وهو كتاب (غوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية) من أوله إلى آخره، السيد الحبيب، النسيب النقيب، الطاهر العلوي، الحسيني الرضوي، خلاصة السادات والأشراف، ومفخر آل عبدمناف، ذو النسب الصريح العالي، والحسب الكامل المتعالي، المستغني عن الأطناب في الألقاب، بظهور شمس الفضائل والفواضل والأحساب، العالم بمعالم فقه آل طه وياسين، والقائم بمراضي رب العالمين، مكمل علوم المتقدمين والمتأخرين، وإنسان عين الفضلاء والحكماء والمحققين، والراقي بعلو همته على معالي السادات الأعظمين، غياث الإسلام والمسلمين، السيد محسن[٢١٠] ابن المرحوم المغفور، السيد العالم العامل، الحافظ المجود، صدر الزهاد وزين العباد، رضي الملة والدين محمد بن نادر شاه الرضوي المشهدي -أدام الله تعالى معالي سعادته، وربط بالخلود أطناب دولته، ولا زالت أيامه الزاهرة تميس وتختال في حلل البهاء والكمال، بحق محمد المفضال وآله الأطهار خير آل-.

وقد رويت له الكتاب المذكور، وجميع ما هو فيه مزبور ومسطور، بطريق السماع مني حال قراءته عليه، وهو يسمعه عني الذي هو أعلى طرق الرواية، وأحق ما يحصل به الدراية، وكان سماعه سماع العالم العارف، وتلقيه له تلقي الفاهم الواقف على ما اشتمل عليه من أسرار الروايات الصادرة عن أطايب البريات النبي والأئمة البررة الهداة -عليه وعليهم أكمل الصلوات وأشرف التحيات-.

وقد سأل وقت سماعه مني وروايته عني عن جميع مشكلاته، وفحص بذهنه الذكي عن ساير معضلاته ومبهماته؛ فأجبته عن كل ما سأل عنه وفحص عن معناه بجواب شاف، وأوضحت له ما تغطى عليه بإيضاح حسن واف، وبينت له ما خفي منه ببيان كامل ضاف، وأمليت له على بعض الأحاديث [ ] حاشية شافية مختصرة كافية، من أول الكتاب إلى آخره، موضحة عن المشكلات، مبينة لساير المعضلات، جامعة بين ما فيها من

(٢١٠) هو السيد محسن بن السيد محمد الرضوي القمي المشهدي، من أجلة تلاميذة الشيخ محمد بن أبي جمهور (ت ٩٣١هـ).

المتعارضات، مشتملة على محاسن التقريرات، بما سنح حال الرواية من الفكر المشوش بالمخاطر المغرقة للخاطر، في وقت كان لنا بنا عن الاستقصاء قاصر.

وأجزت أن يروي عني جميع ما سمعه مني من الكتاب بما اشتمل عليه من الروايات والحاشية الوافية منها بجميع المبهمات، وما حوته من حل تلك بطريقي إلى من رويت عنه بالأسانيد المذكورة في الكتاب المنتهية إلى الأئمة السادات الأطياب، المحبوبين إلى رب الأرباب؛ فليرو ذلك عني بطريق إليَّ وسماعه مني لمن أحب وشاء فإنه أهل لذلك ومستحقه، وليكن في ذلك مراعياً لشرايط الرواية عند أهل الرواية، راعياً له حق الرعاية، محتاطاً متحرياً لي وله ليكون من أهل المعرفة والدراية، ومن المحامين عن الدين بحسن الوقاية والحماية.

والتمست منه أن لا ينساني ولا يخلوني من دعواته في أوقات خلواته وعقيب صلواته، ولا ينساني من الذكر الجميل في أغلب حالاته، ليكون من حمَّال العلم ورعاته، أعانه الله وإيانا على العلم والعمل، وجنبنا وإياه من الخطأ والزلل - وهو حسبنا ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير- وكان ذلك في أوقات متفاوتة، ومجالس متعددة متباعدة. وقع بالاتفاق القدري آخرها في منتصف شهر ذي القعدة الحرام من أواخر شهور سنة سبع وتسعين وثمان مائة هجرية على صاحبها السلام والتحية بالمشهد المقدس الرضوي، حفت بالألطاف الإلهية، وعلى مشرفها أفضل الصلاة والتحية.

وكتب المجيز الفقير إلى الله العفو الغفور محمد بن علي بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي -عفا الله عن سيئاته، ووالديه وجميع أخوانه- وكنت يومئذ مجاوراً في عتبة الإمام الرضا -عليه وعلى آبائه وأجداده أفضل الصلوات وأكمل التحيات، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الأخيار وسلم تسليما- ويحق لي أن أتمثل بهذين البيتين فإنهما موافقان لحالي:

لعمر أبيك ما نسب المعلَّى ... إلى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد إذا اقشعرت ... وصوَّح نبتها رعي الهشيم

طرق ابن أبي جمهور في الرواية:

لكون الشيخ ابن أبي جمهور لم يورد الطرق التي يروي عنها في إجازته، وإنما اكتفى بالإشارة إليها على سبيل الإجمال، وأحال الأمر لما ذكره في مقدمة (عوالي اللآلي) حيث بيَّن هناك جميع الطرق السبعة التي يروي عنها، فكانت مستنداً لكل من أراد أن يعرف طرقه في الرواية، نذكرها هنا تتميماً للفائدة، وتوضيحاً لما أجمله الشيخ في إجازته للرضوي:

الطريق الأول[٢١١]: عن شيخي وأستاذي ووالدي الحقيقي، النسبي والمعنوي وهو الشيخ الزاهد العابد الكامل، زين الملة والدين، أبو الحسن، علي بن الشيخ المولى الفاضل المتقي من بين أنسابه وأضرابه، حسام الدين إبراهيم بن المرحوم حسن بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحساوي، تغمده الله برضوانه، وأسكنه بحبوحة جنانه، عن شيخه العالم النحرير، قاضي قضاة الدين حسن، الشهير (بالمطوع) الجرواني الأحساوي، عن الشيخ النحرير العلامة، شهاب الدين، أحمد بن فهد بن إدريس المقري الأحساوي، عن شيخه العلامة، خاتمة المجتهدين، المنتشرة فتاويه في جميع العالمين فخر الدين، أحمد بن عبدالله، الشهير بابن متوج البحراني، عن شيخه وأستاذه، بل أستاذ الكل، الشيخ العلامة والبحر القمقام، فخر المحققين، أبو طالب محمد ابن الشيخ العلامة، جمال المحققين، أبو منصور، الحسن بن الشيخ الفاضل الكامل، سديد الدين يوسف بن المطهر الحلي -قدس الله أرواحهم أجمعين-.

وهو -أعني فخر المحققين- يروي عن والده المذكور، أعني جمال المحققين.

الطريق الثاني: عن شيخي وأستاذي وصاحب النعمة الفقهية عليَّ، السيد الأجل الأكمل الأعلم الأتقى، الأروع المحدث، الجامع لجوامع الفضائل، شمس الملة والحق والدين محمد بن المرحوم المغفور، السيد العالم الكامل، النبيه الفاضل، كمال الدين موسى الموسوي الحسيني، عن والده المذكور، عن الشيخ الفاضل الكامل، العالم بفني الفروع والأصول، المحكم لقواعد الفقه والكلام، جامع أشتات الفضائل، فخر الدين أحمد الشهير بالسبعي[٢١٢]، عن الشيخ العالم التقي الورع محمود، المشهور بابن أمير الحاج العاملي، عن شيخه العلامة، المشهور بالشيخ حسن بن العشرة، عن شيخه خاتمة المجتهدين، شمس الملة والدين محمد مكي، الشهير بالشهيد، عن شيخيه السيدين الأعظمين الأعلمين الأفضلين المرتضيين، السيد ضياء الدين عبدالله، والسيد عميد الدين عبد المطلب، ابني المرتضى السعيد، محمد بن علي بن محمد بن الأعرج الحسيني، وهما معاً عن شيخيهما وخالهما، الشيخ جمال المحققين أبي منصور، الحسن بن يوسف بن المطهر -قدس الله أرواحهم أجمعين-.

الطريق الثالث: عن الشيخ العالم المشهور، النبيه الفاضل، حرز الدين الأوالي، عن شيخه الشيخ الزاهد العابد الورع، فخر الدين، أحمد بن مخدم الأوالي، عن شيخه العلامة المحقق، فخر المحققين، أحمد بن عبدالله بن المتوج البحراني، عن شيخه فخر المحققين، محمد بن الشيخ جمال المحققين، العلامة الحسن بن المطهر، عن والده المذكور -تغمدهم الله برحمته-.

---

(٢١١) عوالي اللآلي. مصدر سابق: ج١ ص٥ - ١١.

(٢١٢) آل سبع بن سالم بن رفاعة، فيقال له السبعي الرفاعي.

الطريق الرابع: عن السيد العالم الفاضل، قاضي قضاة الإسلام، والفارق بميامن همته بين الحلال والحرام، شمس المعالي والفقه والدين، محمد بن السيد المرحوم المغفور، العالم الكامل أحمد الموسوي الحسيني، عن شيخه وأستاذه الشيخ العلامة، صاحب الفنون، كريم الدين، يوسف، الشهير بابن القطيفي، عن شيخه العلام والبحر القمقام، رضي الدين حسين، الشهير بابن راشد القطيفي، عن مشايخ له عدة، أشهرهم: الشيخ العالم العلامة، العابد الزاهد جمال الدين أبو العباس، أحمد بن فهد الحلي، عن شيخيه الإمامين الفاضلين العالمين، أحدهما: الشيخ العالم المتكلم، ظهير الملة والدين، علي بن يوسف بن عبد الجليل النيلي، وثانيهما: الإمام الفقيه الورع، نظام الدين، علي بن عبدالحميد النيلي، عن شيخهما فخر المحققين، محمد بن الحسن بن المطهر، عن والده العلامة، جمال المحققين، الحسن بن يوسف بن المطهر -قدس الله أرواحهم أجمعين-.

الطريق الخامس: عن شيخي، ومرشدي، ومعلمي طريق الثواب، ومناهج معالم الأصحاب، وهو الشيخ الفاضل العلامة، المبرز على الأقران، المحرر المقرر لساير الفنون على طول الأزمان، علامة المحققين، وخاتمة المجتهدين، الإمام الهمام، والبحر القمقام، جمال الملة والحق والدين، حسن بن عبدالكريم الشهير بالفتال، عن شيخه العلامة، الإمام المحقق المدقق، جمال الدين، حسن ابن الشيخ المرحوم، حسين بن مطر الجزائري، عن شيخه العلامة الزاهد التقي، أبو العباس أحمد بن فهد الحلي، عن شيخيه المذكور كلاهما، عن شيخهما فخر المحققين، عن والده جمال المحققين -رحمهم الله تعالى-.

الطريق السادس: عن شيخي أيضاً وأستاذي المرشد لي ولعامة الأصحاب إلى مناهج الصواب، أعني الشيخ الكامل الفاضل، الزاهد العابد، العلامة، الشايع ذكره في جميع الأقطار، والمعلوم فضله وعلمه في ساير الأمصار، زين الملة والحق والدين علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ الفاضل الكامل العالم العامل جمال الدين حسن، الشهير بابن العشرة، عن الشيخ العلامة المحقق المدقق، شمس الملة والحق والدين محمد مكي، الشهير بالشهيد، عن السيد السعيد، العالم الزاهد، ضياء الدين عبدالله بن محمد بن علي بن محمد بن الأعرج الحسيني، عن خاله الشيخ جمال المحققين -رضوان الله عليهم أجمعين-.

الطريق السابع: عن المولى العالم العلامة، المدقق، محقق الحقايق وصاحب الطرايق، سيد الوعاظ، وإمام الحفاظ، شيخ مشايخ الإسلام، والقائم بمراضي الملك العلام، وجيه الملة والدين، عبدالله بن المولى الفاضل الكامل، علاء الدين، فتح الله بن المولى العلي، رضي الدين، عبدالملك بن شمس الدين، إسحاق بن رضي الدين، عبدالملك بن محمد بن محمد الفتحان الواعظ القمي القاساني مولداً ومحتداً، عن جده سيد الفقهاء والعلماء، رضي الدين عبد الملك بن شمس الدين إسحاق القمي، عن المولى الأعظم الأعلم، سيد الفقهاء في عصره، شرف الدين علي، عن أبيه الشيخ الكامل الأعظم، الفقيه العالم الكامل، تاج الدين،

حسن السرابشنوي، عن الشيخ جمال الدين حسن بن المطهر -قدس الله أرواحهم- وعنه أيضاً، عن جده المذكور، عن الشيخ العلامة الفهامة، أستاذ العلماء، جمال الدين أبي العباس أحمد بن فهد، عن شيخه نظام الدين النيلي، عن الشيخ الأعظم، فخر المحققين، أبي طالب محمد، عن أبيه الشيخ جمال المحققين، حسن بن المطهر، وعنه أيضاً عن جده المذكور، عن الشيخ جمال الدين، مقداد بن عبدالله بن محمد بن حسين السيوري الأسدي، المشهدي الغروي -على مشرفه أفضل التحيات وأكمل الصلوات- عن شيخه الشهيد الشهير، العلامة الفهامة، شمس الدين محمد بن مكي، عن فخر المحققين، عن أبيه الشيخ جمال المحققين حسن المذكور -رحمهم الله تعالى-.

وعنه أيضاً عن جده المذكور، عن المولى المعظم الأمجد الأكرم، غرة العلماء زين الملة والدين علي الأسترابادي، عن شيخه المرتضى الأعظم والإمام المعظم سلالة آل طه ويس أبي سعيد، الحسن بن عبدالله بن محمد بن علي الأعرجي الحسيني، عن شيخه جامع الأصول والفروع، فخر المحققين، عن والده الشيخ جمال الدين حسن العلامة -قدس الله أرواحهم-.

وعنه عن أبيه عبد الملك، عن مشايخه المذكورين، عن جمال المحققين العلامة حسن بن المطهر -روح الله أرواحهم بروائح الجنان، وأسبغ عليهم شآبيب الغفران-.

فهذه الطرق السبعة المذكورة لي جميعها تنتهي عن المشايخ المذكورين، إلى الشيخ جمال المحققين، ثم منه ينتهي الطريق إلى الأئمة المعصومين، على رسول رب العالمين، بطرقه المعروفة له، عن مشايخه الذين أخذ عنهم الرواية المتصلة بأئمة الهدى عليهم السلام المنتهي إلى جدهم -عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات-.

النموذج الثاني:

إجازة الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (ت: ١٢٤١هـ)، للشيخ محمد حسن النجفي (صاحب الجواهر)، (ت: ١٢٦٦هـ)[٢١٣]:

الحمد الله رافع العلماء درجات على قدر دراياتهم للروايات، ومفضل مدادهم على دماء الشهداء في مقامات السعادات، وصلى الله على الأدلة على الخيرات محمد وآله خير البريات. أما بعد:

فمن صنع الله سبحانه الحسن في بلاده أن قدَّرَ الاجتماع بين الشيخ المؤتمن، شيخنا محمد حسن وبين أقل عباده؛ فعرض عليَّ بعض ما كتب في شرح الشرايع للمحقق، فحققت

(٢١٣) إجازة الشيخ أحمد الأحسائي للشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر): شرحها وعلق عليها السيد معين الحيدري. دار إحياء التراث العربي: بيروت. الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م - ١٤٢١هـ. ص٢٢-٣٢.

النظر في بعضه فوقفت على تحقيقات زاهرة، وتدقيقات باهرة، تدل على إحاطة واسعة، نشأت عن فكرة ساطعة، وطريقة مستقيمة لامعة.

وقد استجازني أدام الله إقباله، وأصلح في منهاج الخيرات أحواله، في رواية الأخبار لما هو شأن العلماء الأخيار، حفظاً لها عن الأهمال، وضبطها لأسانيدها عن الإرسال، فحيث كان أسعده الله برضاه، أهلاً لذلك، مستحق الاطلاع على مسالك تلك المدارك، أجزت له رفع الله مقام توفيقه وهدايته، ونشر أعلام درايته، أن يروي عني جميع ما وصل إليَّ، من جميع العلوم، بالقراءة، والسماع، والإجازة، والمناولة، والوجادة، من جميع العلوم العقلية والنقلية، من الأصول والفروع، ومن الآلية اللغوية والحكمية، ومن التفاسير والتواريخ وغيرها، ومن جميع ما صنف في الإسلام، وآثره العلماء الأعلام، من سائر العلوم من منثور ومنظوم، وأن يروي عني جميع ما جرى به قلمي وفاه به فمي، وحرره كلمي، من كتب ورسائل، وأجوبة مسائل، أو تقريرات ودلائل.

وإني أروي جميع ذلك عن مشايخي الكرام، وأساتيذي العظام، بطرق متعددة:

منها ما رويته عن شيخنا المهتدي، وسيدنا المحمدي، السيد مهدي الطباطبائي تغمده الله برحمته، وأسكنه بحبوحة جنته، عن شيخه الفاخر، والعلم الزاهر، شيخنا الأقا باقر، عن والده الأكمل، الشيخ محمد أكمل، عن مشايخه، منهم الشيخ أبو الحسن الشيرواني، والشيخ جعفر القاضي، والشيخ محمد الخوانساري، عن الشيخ التقي، محمد تقي المجلسي، عن شيخ الكل في الكل، الشيخ محمد البهائي، عن أبيه الشيخ حسين بن عبد الصمد، عن الشيخ زين الدين الشهير بالشهيد الثاني.

ومنهم ما رويته عن الشيخ الأفخر، والبدر الأزهر، شيخنا الشيخ جعفر بن الشيخ خضر -تغمده الله برحمته- عن الاقا باقر السند المتقدم.

وعن السيد مهدي الطباطبائي كذلك.

ومنها ما رويته عن قرة العين، العالم الراسخ بلامين، شيخنا الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن عصفور البحراني الدرازي -تغمده الله برضوانه- عن عمه الكريم بن الكريم بن الكريم، الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد بن إبراهيم (صاحب الحدائق) -قدس الله تربته-، عن الشيخ البدل الشيخ حسين بن محمد بن جعفر الماحوزي، عن الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي، عن صاحب البحار محمد باقر المجلسي -قدس الله أرواحهم-، عن أبيه، عن البهائي، عن الشهيد رحمه الله.

ح[٢١٤] وعنه -الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن أحمد المتقدم- عن أبيه الممجد

(٢١٤) ح: الحاء المفردة المهملة رمز تحويل السند، ومعناه الانتقال من الإسناد إلى إسناد آخر يسمى (الحيلولة).

الشيخ محمد، وعمه العلي الشيخ عبد علي ابن الأرشد الأسعد الشيخ أحمد البحراني، عن مشايخهما، منهم الشيخ حسين الماحوزي المذكور، والشيخ المحدث الشيخ عبد الله بن صالح السماهيجي، عن الشيخ سليمان الماحوزي بالسند المتقدم.

ح وعنه أيضاً عن عدة من مشائخه كما هو مذكور في إجازة الشيخ يوسف له وللشيخ الخلف الشيخ خلف بن الشيخ عبد علي -قدس الله أرواحهم-.

ومنها ما رويته عن السيد العلي، سيدنا السيد علي[٢١٥] -أطال الله بقاءه، وعلا في الدرجات ارتقاءه- عن خاله الفاخر، الأقا باقر -كما تقدم-.

ومنها ما رويته عن شيخنا وسيدنا الميرزا مهدي الشهرستاني -قدس الله نفسه-، عن الشيخ الأجل والمولى البدل الشيخ يوسف صاحب (الحدائق) بطرقه المشار إليها.

ومنها ما رويته عن شيخنا الممجد الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن عبد الجبار[٢١٦]، عن أبيه، عن الشيخ الفاخر ناصر بن محمد الجارودي القطيفي، عن شيخه الشيخ عبد الله بن صالح السماهيجي، عن الشيخ سليمان الماحوزي كما تقدم.

ح وعنه -الشيخ محمد بن الشيخ حسين- عن الشيخ محمد بن عبد علي، عن شيخيه الشيخ حسين الماحوزي، والشيخ ناصر الجارودي بالأسانيد المتقدمة.

ومنها عن الشيخ الأسعد الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني، عن الشيخ عبد علي بن الشيخ أحمد البحراني المذكور، عن الشيخ عبد الله المذكور بالأسانيد المتقدمة.

ح وعنه، عن أبيه الشيخ حسن، عن الشيخ عبد علي، وعن الشيخ عبد الله بن صالح المذكور بطرقهم إلى مشائخهم المتصلة إلى الشهيد الثاني بطرقه المتعددة على ما في إجازته للشيخ حسين بن عبد الصمد بإرباب الكتب من الأصول والفروع والعربية وغيرها، فأجزت له أدام الله توفيقه أن يروي عني جميع ذلك إجازة عامة بطرقي المتصلة إلى أهل الكتب من الخاصة والعامة له، ولمن شاء مشترطاً عليه ما اشترط عليّ موالي وسادتي (صلى الله عليهم أجمعين)، وما اشترط عليّ مشائخي -قدس الله نفوسهم، وطهر رموسهم- من تقوى الله، ومن التثبت والتوقف وشدة الفحص وعدم التسرع، وكثرة التدبر والنظر في مزايا الاحتمالات بنظر الأسباب فإنها هي العمدة في هذا الشأن عند أولي الألباب وشدة الاحتياط، ما دام اعتبار المرجوح ممكناً والإخلاص والصدق في النية والعمل فإن ذلك ملاك الأمر، والإكثار من ذكر الله والآخرة، فإنه يسدد الفكرة ويجلو القوة الباصرة، وألا ينساني من الدعاء في مظان الإجابة، وأن يجريني على خاطره الشريف الحيوة والممات.

وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي، والحمد لله أولاً وآخراً □

---

(٢١٥) هو السيد علي بن السيد محمد علي الطباطبائي صاحب (رياض المسائل) توفي سنة ١٢٣١هـ.

(٢١٦) يعني الشيخ حسين بن عبد الجبار.

حوار

مستقبل حركة الاجتهاد
قراءة في آليات الاجتهاد المعاصر

حوار مع سماحة العلامة الحجة السيد منير الخباز

أجرى الحوار: أسرة التحرير

مر الفقه الإسلامي بالعديد من المراحل التي أثرت في تطوره وتكوين اتجاهاته، ولعل من أهم المراحل هي الفترة التي تلت غياب المعصوم وبروز إشكالية التعامل مع الواقع السياسي، وتبرز خطورة وحساسية التعامل مع هذه المرحلة لأسباب عديدة أهمها:

١- عدم استعداد الفقيه المسلم للتعامل مع السلطة السياسية، ويكمن السبب في نظرات الريبة والشك التي يحملها الفقهاء تجاه نوايا الحاكم.

٢- عدم نضج آليات البحث الفقهي، مع تسارع تطورات واقع المجتمع وتجدد معارفه وثقافته وأساليب حياته.

٣- ضغط المؤسسة السياسية على الفقهاء لتقديم المشروعية الدينية للسلطة وممارساتها وسياساتها تجاه العديد من الموضوعات، وبالأخص تجاه المعارضة التي لم تخل مرحلة زمنية في تاريخ السلطة السياسية منها.

٤- فقدان الاستقلالية لبعض المدارس الفقهية نتيجة دخول أئمتها ومؤسسيها في أروقة السلطة، مما سهل تطويعها لينتج بعد ذلك فقه يخدم السلطان ويقدم التبريرات لكل ما يقوم به.

٥- تحذير النص المؤسس من التعامل مع السلطة.

إن وجود العديد من النصوص التي تضع الكثير من علامات الاستفهام على السلطة خلقت عند الفقهاء المنتمين لمدرسة فقه أهل البيت عليهم السلام رؤى متعددة، كان أبرزها وأشهرها القول بحرمة الدخول في السلطة وعدم التعامل معها إلا في حدود الضرورة، وقد أثّر هذا الرأي الفقهي الذي طبع مسيرة فقه أهل البيت عليهم السلام في كيفية تعاطيه مع المشكلات، ليتم تأجيل بعضها والتعاطي مع بعضها الآخر.

فقد تعاطى فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام مع الفقه الفردي الذي يبحث في شؤون الفرد المسلم في تعاطيه مع واقعه وإشكالياته، لينتج في مسيرة طويلة فقه يهتم بالقضايا الخاصة وما سمي بعد ذلك بفقه الأفراد، لكن تغير الواقع وظهور سلطة تؤمن بالأئمة من أهل البيت عليهم السلام فرض واقعاً آخر، أخرج الفقهاء من زاوية الفقه الفردي إلى البحث في القضايا الكبرى، كنظرية العلاقة مع الحاكم، وأسلوب إدارة البلاد، وكيفية تداول السلطة، وعلاقات الحاكم والسلطة السياسية مع غيرها من المؤسسات السياسية الأخرى، والنظر إلى الآخر وتجديد التعامل معه، وكيفية توزيع الثروة العامة، ونظرة الإسلام للاقتصاد وإدارة الأمور المالية، وغيرها من الإشكاليات الكبرى.

ولعل ما ساعد على إبداع مدرسة الفقه الشيعي هو انفتاح باب الاجتهاد وتواصل مسيرة

التطوير الفقهي الذي لم يتوقف أبداً، فبخلاف مدارس الأئمة الأربعة المعروفة عند السنة الذين سدوا باب الاجتهاد نرى فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام قاموا بتطوير الفقه سواءً في آليات البحث والاستنباط أو في النظريات السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، وقد أظهرت حركة الفقه الأخيرة المكانة التي يمتاز بها فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران التي خلقت ثورة من التساؤلات الفقهية وأثارت بذلك روح التحدي عند الفقهاء.

كما أن الحراك المعرفي العام أنبت مدارس جديدة في قراءة النص والنص الديني، كالمدارس الألسنية الحديثة، وظهرت تساؤلات كثيرة موجهة لحركة الاجتهاد المعاصر، منها صلته بالرؤية الاجتماعية العرفية للنص، وعلاقته بالزمان والثقافة.

وإيماناً من مجلة البصائر في متابعة ورصد حركة التجديد الفقهي كانت هناك العديد من الحوارات الفقهية مع نخبة من فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ويندرج هذا الحوار مع سماحة العلامة السيد منير بن السيد عدنان الخباز القطيفي، من أفاضل علماء القطيف وخطبائها الكبار.

أخذ علومه ومعارفه على يد جملة من علماء مدينة النجف الأشرف حيث حضر أبحاث خارج الفقه لدى آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، وأبحاث آية الله العظمى الشيخ مرتضى البروجردي، كما حضر أبحاث آية الله العظمى السيد علي السيستاني.

وفي مدينة قم المقدسة حضر أبحاث آية الله العظمى الشيخ الوحيد في الأصول، وفي الفقه والأصول لدى سماحة آية الله العظمى الشيخ ميرزا جواد التبريزي.

شرع سماحته بتدريس مادة البحث الخارج في مدينة قم المقدسة في الأصول عام ١٤١٨هـ، في (فروع العلم الإجمالي)، وقد قرّره بعض تلامذته. كما فتح بحثاً آخر في الفقه تناول فيه المسائل المستحدثة.

له عدة مؤلفات مطبوعة بعضها من تقريرات تلامذته، نذكر منها:

- العرف ودوره في فعلية الحكم الشرعي.
- بحوث في قاعدة الإلزام.
- بحوث في فقه الحج.

كما قرر سماحته بحث الأصول لأستاذه آية الله العظمى السيستاني، تحت عنوان (الرافد في علم الأصول).

وضمن سياق فهم حركة التطور الفقهي ومعرفة مستقبل حركة الاجتهاد، كان لنا هذا اللقاء مع سماحته، وإليك نص الحوار الذي أُجري مع سماحته في جمادى الثانية عام ١٤٢٦هـ، حالت دون نشره ظروف فنية كانت خارجة عن الإرادة، ولأهميته حرصنا على نشره:

طبيعة الاجتهاد

□ **البصائر: هل تعود صعوبة الاجتهاد إلى أمور في طبيعة الفنّ؟، أم إلى أمور طارئة عليه؟، أم إلى مزيج من النوعين؟**

الخباز: إنّ تطور كلّ علم يرجع لعاملين:

ذاتي، وهو حركة الفكر نفسه في إطار العلم نفسه. وعرضي، وهو ما يطرأ عليه من العلوم الأخرى. وعلم الفقه كغيره من العلوم الذي تطور وتكامل بسبب هذين العاملين، وبيان ذلك يستند لذكر أمرين:

ألف: إنّ كلّ فكر جدليّ يحمل في باطنه تطوره وتكامله نتيجة المطارحات العلمية في إطار هذا الفنّ نظير علم الأصول الذي أسهم في تطويره المطارحات بين المحقِقِينَ الثلاثة النائيني والعراقي والأصفهاني (قدهم).

باء: إنّ هناك مناشئ خارجية ثلاثة ساعدت على تطوير الفقه:

١- القراءة التأملية في فقه الفرق الإسلامية الأخرى؛ مما يستدعي التطوير نتيجة تلافي الثغرات ومواطن الضعف في الفكر الآخر، كما يُرى ذلك جليًّا في مبسوط الشيخ، وتذكرة العلامة، وكتب الشهيدين.

٢- توقف تحقيق بعض مسائل الفقه أو الأصول على إدراج بعض العلوم الأخرى، كتوقف تحقيق مسألة اجتماع الأمر والنهي على بعض النظريات الفلسفية في باب التركيب الاتحادي والانضمامي، وتوقف تحقيق مسألة الضد على بحث التضاد في الحكمة، وتوقف تحقيق حجية الدليل العقلي على بحث الحُسن والقُبح العقليين في علم الكلام.

٣- الانفتاح على الثقافات والعلوم الأخرى بداعي إبراز مواكبة الفقه للفكر المعاصر، كما صنع السيّد الشهيد الصدر قدس سره، حيث أدخل دليل حساب الاحتمالات في بحث الإجماع والتواتر وبعض القواعد الرجالية، ونظرية الظهور الذاتي والموضوعي في بحث حجية الظهور ونحو ذلك. وهذه كلّها عوامل حيوية أسهمت في تطور وتكامل علم الأصول مما انعكس على علم الفقه أيضاً لكون علم الأصول هو الأداة المتحركة في عملية الاستنباط.

□ **البصائر: يرى البعض أنّ الاجتهاد إلى نهاية حياة شريف العلماء لم يكن بهذا التعقيد..، فقد كان رضي الله عنه يجيز من أتقن (معالم الأصول) للحسن ابن الشهيد الثاني بالاجتهاد، بيد أنّ هناك أموراً دخلت ـ فيما بعد ـ عقّدت عملية الاجتهاد.**

ما رأيك في هذا القول؟، وما هي تلك الأمور؟.

الخباز: علم الفقه علم تطبيقي كعلم الطبّ لا نظري كالفلسفة وعلم الكلام، وكلّما ملك

الفقيه حدة الذهن وحسن السليقة وسرعة البديهة كان تطبيقه أجود وأدقّ -وفي هذه الجهة يتبيّن تفاوت الفقهاء-، ولأجل ذلك كلّما قلّت الكبريات والقواعد وقلّت التفريعات كان التطبيق أسهل، وحيث إنّ تفاوت العصور من حيث المستوى الاجتماعي والثقافي يوجب تفاوت الفروع من حيث القلة والكثرة والسهولة والتعقيد كان الاجتهاد في زمان الشيخ أسهل من زمان شريف العلماء؛ إذ يكفي في الأول ضبط عدة الأصول، وكان الاجتهاد في الزمان الثاني أسهل منه في زماننا لكفاية (المعالم) فيما سبق دون زماننا حيث لا يكفي فيه حضور عشر سنوات في بحث الأصول.

- **البصائر: يعتقد البعض أنّ إدخال مباحث الفلسفة في كتب الفقه والأصول لم يخدم عملية الاستنباط بمقدار ما عقّدها، وصعّب عبارات تلك الكتب، وأبعد غير المختصّ عن إمكانية الاستفادة منها، فهل توافقونهم على هذا؟**

الخباز: إنّ المزج بين الفلسفة وعلمي الفقه والأصول في ثلاثة موارد:

١- أن يتوقف تحقيق المسألة الفقهية أو الأصولية على المسألة الفلسفية، كتحقيق أنّ اجتماع الأمر والنهي في مورد واحد هل يستلزم التضاد أم لا؟، حيث يتطلب ذلك تحقيق الفرق بين التركيب الاتحادي والانضمامي، وتحقيق أنّ موضوع التضاد هل يشمل المجردات كالنفس البشرية أم لا؟ وغيرها من المسائل.

٢- أن يحتاج في فهم مصطلحات البحث إلى الرجوع للفلسفة، كما في بحث استصحاب العدم الأزلي، حيث يحتاج للفلسفة في الفرق بين العدم النعتي والمحمولي ونحو ذلك.

٣- أن تُقحم المباني الفلسفية في المسألة من دون حاجة لها، كإدخال بعض المحاذير الحكمية في بحث الشرط المتأخر ونحوه.

فالمطلوب فعلاً من أجل تهذيب الأصول والفقه عن الشوائب الفلسفية الاقتصار على النحو الأول دون النحوين الآخرين؛ لإمكان الاستغناء عن المصطلحات الفلسفية والإشكالات الحكمية.

- **البصائر: يعتقد بعض فقهائنا أنّ أهم علمين مؤثرين في الاستنباط هما علم الأصول وعلم الرجال، وباقي العلوم والمَعارف إما بديهية أو لا تحتاجها عملية الاستنباط، فما رأيك في هذا التقييم؟**

الخباز: يلاحظ على هذه المقالة:

أولاً: إنّ علم الأصول نفسه يحتاج لقدر من علم الفلسفة وعلم الكلام كما سبق بيانه.

ثانياً: إنّ هناك حاجة ماسة للعلوم الأدبية -حيث يقع البحث مثلاً في قوله تعالى: ﴿ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾[1]، في أنّ ﴿ أَنَّى ﴾ زمانية أو مكانية، ويقع البحث في حديث «لا ضرر ولا ضرار» في تحديد (لا) النافية أو الناهية، وفي أنّ هيئة المفاعلة بمعنى

(١) سورة البقرة/ ٢٢٣.

المبدأ المشترك أو بمعنى أصل المادة أو بمعنى إنهائها للطرف الآخر، ويقع البحث في قوله: «والربح بينهما» في أنّ (أل) جنسية أو استغراقية أو عهدية، وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة الدالة على دخالة علوم أدبية ولغوية في عملية الاستنباط. نعم؛ لا حاجة للإطالة في هذه العلوم بل يكفي الإلمام بالقواعد العامة منها لكفايتها في إتمام عملية الاستنباط.

علم الكلام والاستنباط

- **البصائر: تعددت المدارس في موضوع الإلهيات بين مشارب كلامية وفلسفية، وهي مفاصل بحثها الفقهاء، ولهم نتاجهم فيها، بيد أنا نلحظ تبايناً واضحاً بين منهجية الاستنباط الفقهي من جهة والمشارب الكلامية والفلسفية من جهة أخرى، فبينما تميّز الاستنباط الفقهي بصرامة منهجية تأصيلية ضبطت الاجتهاد في مراحل تاريخ الفقه، لم يحظَ علم الكلام والفلسفة بذلك في المنهج، فما سبب هذه المفارقة؟**

الخباز: المدعى في السؤال هو عدم انضباط علم الكلام في عصرنا الحاضر، وبناءً عليه نتساءل بأنّ عدم ضبط علم الكلام قد يُقصد به الخلل في نفس المنهج، وقد يُقصد به الخلل في مقام التطبيق، فهنا دعويان:

ألف: الخلل في المنهج، وهو غير صحيح؛ لأنّ علم الكلام ينقسم لحقلين:

١- الحقل العقلي.

٢- الحقل النقلي.

فالأول هو الحقل المشتمل على البراهين العقلية على إثبات أصول الدين الخمسة، وما يتعلق بها من مسائل، كمسألة العصمة والحُسن والقُبح العقليين ونحو ذلك، وتشارك في ذلك معارف الإلهيات من علم الفلسفة، وهذا الحقل لا يقلّ من حيث الدقة والمتانة عن حقل الاستنباط الفقهي.

والثاني: وهذا الحقل هو المشتمل على الاستدلال بالنصوص، وهو نوعان:

١- قطعي.

٢- ظنّي.

فالنوع الأول هو المشتمل على الأدلة النقلية قطعية الصدور، كالاستدلال بآية التبليغ والولاية على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، والاستدلال بالخبر المتواتر كحديث الغدير على إمامته، أو الخبر المحفوف بالقرائن الموجبة للقطع بصدوره، كالاستدلال بحديث الثقلين على إمامة أهل البيت عليهم السلام.

والنوع الثاني وهو الاستدلال بالخبر ظنّي الصدور على بعض المعتقدات، كالاستدلال

على ثبوت عذاب القبر، ورؤية الإمام علي (عليه السلام) عند الموت بخبر الثقة -بناءً على شمول الحجية لخبر الثقة وشمول أدلة حجية خبر الثقة للمعتقدات-، أو الاستدلال بمطلق الظنّ على بعض المعتقدات، كالاستدلال على بعض الكرامات بالروايات الضعيفة بناءً على تمامية دليل الانسداد بنحو الكشف وكفاية الانسداد في باب العقائد للأخذ بمطلق الظنّ فيها، وعلى فرض عدم تمامية ذلك، فإنّ الوثوق بالصدور الناشئ عن مناشئ عقلائية مما لا ريب في حجيته، وتحصيل الوثوق في أغلب المعتقدات أمر ميسور، إذن.. فلا خلل في منهج علم الكلام بحيث يُوسم بعدم الضبط.

باء: أن يُدّعَى أنّ المنهج تام لكنّ العلماء يتسامحون في مقام التطبيق، كما قيل بأنّهم قد يستدلون على بعض المعتقدات بأخبار ضعيفة السند، كالاستدلال على أفضلية الأئمة على الأنبياء بأخبار ضعاف، ولكن يُلاحظ عليه بأنّ من يستشهد بالخبر الضعيف على معتقد معيّن من الفقهاء فإنّ مدعاه إما كون الخبر مما كثرت روايته إلى أن وصل حدّ التواتر الإجمالي، أو استفاض بنحوٍ كان ذلك قرينة على الوثوق بصدوره، أو أنّه يرى الخبر مدعوماً بإجماع أو تسالم موجب للقطع به، أو أنّه يرى حجية الظنّ الانسدادي في المعتقدات، وبذلك يتبيّن عدم الخلل في تطبيق الأعلام لقواعد علم الكلام.

نعم؛ تحديد ما يوجب الوثوق من درجات الشهرة، وما يوجب اليقين من القرائن العقلائية، وما لا يوجب ذلك؛ أمرٌ لا ضابطة له، لكنّ هذه المشكلة لا تختصّ بعلم الكلام، بل تجري في الفقه أيضاً، فإنّ كثيراً من الفقهاء قد يختلفون في وجود الإجماع أو في وجود سيرة متشرعية أو ارتكاز عقلائي أو في القرائن الموجبة للقطع وعدمها؛ نتيجة لاختلافهم في مستوى الإجماع أو السيرة المدعاة، والخلاصة أنّ علم الكلام لا يقلّ من حيث الدقة والضبط عن علم الفقه والأصول.

مكانة القرآن في الاستنباط

- **البصائر: تعارف في الحوزات العلمية اعتبار ما يقارب من الـ ٥٠٠ آية بوصفها آيات أحكام، في حين هناك من يرى أنّ الآيات الأخرى -غير آيات الأحكام- يلزم التعرّف عليها؛ لأنّها إن لم تدلّ بالمباشرة على الحكم فقد تشكّل الضابط أو الموجِّه للحكم الشرعي، ما رأيك في ذلك؟**

الخباز: إنّ الآيات القرآنية على أربعة أقسام:

١- ما كان في مقام التشريع نحو ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[٢]، وآيات المواريث.

(٢) سورة البقرة/ ٢٧٥.

٢- ما كان في مقام الإرشاد إلى ملاكات التشريع نحو ﴿ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾[٣]، ونحو ﴿ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ ﴾[٤].

٣- ما كان في مقام الإرشاد إلى حسن الفعل أو الصفة، نحو ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾[٥].

٤- ما لا ربط له بالتشريع لأنّه في مقام الحكاية عن صفات الله أو قصص الأنبياء أو طريقة الخلق.

وبعد اتضاح هذه الأقسام الأربعة نقول:

ينبغي للفقيه المرور بالقرآن الكريم مروراً تدبريًّا لفرز هذه الأقسام، حيث يُستفاد من الأول في الاستنباط المباشر للحكم، ويُستفاد من الثاني في مجال طرح الأخبار المنافية لروح الكتاب بناءً على أنّ المراد بالمخالفة في روايات العرض المخالفة الروحية، أو في مجال عدم العمل بإطلاق خبر يستلزم المخالفة لروح القرآن، كما يُستفاد من المداليل الالتزامية للقسم الثالث اقتناص بعض الملاكات أو بعض الأحكام.

ولذلك ذهب بعضٌ إلى أنّ المستفاد من قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾؛ أنّ وظيفة العاميّ عند تساوي الفقيهين هو اختيار أحسن القولين لكونه أحوط أو أنّه هو المشهور ونحو ذلك من المرجحات العقلية أو الشرعية، بل لا يبعد أن يُقال: إنّه يمكن للفقيه أن يستفيد حتى من القسم الرابع أيضاً، ولذلك أفتى بعض الأساتذة بحرمة الاستنساخ نظراً إلى أنّ المستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾[٦]، أنّ من الأغراض الملحوظة للشارع المقدس هو الاختلاف في الخلقة، فلا يجوز أيّ فعل يؤدي لنقض هذا الغرض كالاستنساخ المؤدي للتشابه التام.

نعم، كثير من الفقهاء لا يرى هذا المنهج إما لأنّه يرى أنّ جميع الآيات المدعى استفادة حكم شرعي منها يوجد على طبقها روايات كافية في استنباط الحكم الشرعي منها، فلا حاجة للاستدلال بالآية، أو لأنّه يرى أنّ الميزان في طرح الخبر المخالفة الحرفية لا الروحية، أو لأنّ جميع الآيات التي تتحدث عن الحُسن والقُبح وطريقة الخلقة ما هي إلا إرشاد لما عليه البناء العقلائي في مقياس حُسن الفعل وقبحه، وبعبارة أوضح: إنّ التحسين والتقبيح الصادر من المولى -عزّ وجلّ- بما هو سيّد العقلاء لا يعني صدوره عنه بما هو شارع كي يستدل به على الحكم الشرعي، كما أنّ الغرض المطلوب له كخالق لا يعني أنّه مطلوب له كشارع، إذ لا ملازمة عقلية بين المراد التكويني والتشريعي ونحو ذلك، ولأجل ذلك كلّه لا

(٣) سورة البقرة/ ٢٧٩.
(٤) سورة الحشر/ ٧.
(٥) سورة الزمر/ ١٨.
(٦) سورة الروم/ ٢٢.

يعتمد هؤلاء الفقهاء على القرآن في مجال الاستنباط كاعتمادهم على الحديث.

- البصائر: جاء في عيون أخبار الرضا (عليه السلام): «فما ورد عليكم من خبرينِ مختلفين فاعرضوهما على كتاب الله، فما كان في كتاب الله موجوداً حلالاً أو حراماً فاتبعوا ما وافق الكتاب، وما لم يكن في الكتاب فاعرضوه على سنن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فما كان في السنة موجوداً منهياً عنه نهي حرام، أو مأموراً به عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر إلزام فاتبعوا مما وافق نهي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمره، وما كان في السنة نهي إعافة أو كراهة ثم كان الخبر الآخر خلافه فذلك رخصة فيما عافه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكرهه ولم يحرمه، فذلك الذي يسع الأخذ بهما جميعاً، أو بأيّهما شئتَ وسعكَ الاختيار من باب التسليم والاتباع والرد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما لم تجدوه في شيء من هذه الوجوه فردوا إلينا علمه فنحن أولى بذلك، ولا تقولوا فيه بآرائكم، وعليكم بالكفّ والتثبّت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا».

يرى البعض من منطلق هذا الحديث أنّ هناك تراتبية في النصوص تسير وفق التالي (القرآن الكريم - السنة النبوية - السنة المعصومة)، ومن هذا الباب (لا تغلب السنةُ الفريضةَ) و(التفويض بالتأديب)، نعم ما كان تفسيراً منهم (عليهم السلام) فهو عدل المفسَّر لأنَّه تبيانه، ما رأيكم في هذه المقولة؟

الخباز: إنّ الطولية والترتب بين كلام الله -عزّ وجلّ- ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (عليهم السلام) لها ثلاثة موارد:

١- ولاية التشريع: فقد ثبت بالنصوص أنّ للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولاية على التشريع نحو «إنّ الله فوَّض إلى نبيه أمر دينه»، ونحو «فرض الله الصلاة ركعتين وزاد رسول الله ركعتين»، ونحو «حرَّم الله الخمر، وحرّم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلّ مسكر»، ومن الواضح أنّ ولايته (صلى الله عليه وآله وسلم) على التشريع في طول القواعد العامة التي شرَّعها الخالق -عزّ وجلّ-، كما أنّ ولاية أهل البيت (عليهم السلام) على التشريع في طول التشريع النبوي، بناءً على ثبوت الولاية لهم على التشريع، كما في بعض النصوص «فما فُوِّض إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد فُوِّض إلينا»، هذا إذا قلنا بولايتهم على التشريع كما هو المعروف.

وأما لو قلنا بانتفاء ولايتهم على التشريع -كما يراه شيخنا الأستاذ التبريزي- لا لقصور في ولايتهم، وإنّما لاكتمال التشريع في زمان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما تدلّ عليه بعض النصوص المعتبرة نحو «وإنّ عندنا الجامعة بإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخطّ علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وفيها جميع ما يحتاجه الناس من حلال وحرام حتى أرش الخدش إلى يوم القيامة»، فبناءً على ذلك لا ولاية لهم إلا على النشر والكتمان، والحكم الولايتي في منطقة الفراغ، وهو أيضاً في طول التشريع النبوي.

٢- قاعدة «لا تنقضُ السنةُ الفريضةَ»: ومحصّلها أنّ الإخلال بالسنة في أيّ مركّب اعتباري مركّب من سنن وفرائض كالصلاة أو الحج أو الصوم أو التذكية لا يوجب بطلان الفريضة، إذا كان الإخلال عن عذر، هذا بناءً على أنّ المراد بالفريضة ما جعله الله، وأنّ المراد بالسنة ما جعله النبي ﷺ، وأما بناءً على أنّ المراد بـ(الفريضة) هو ما فُرض في الكتاب، وأنّ المراد بـ(السنة) ما ورد على لسان النبي ﷺ ولو كان إخباراً عن السماء، فالترتب حينئذٍ يكون بين ما فُرض بالحديث وما فُرض في الكتاب، بينما لو قلنا بالمعنى الأول فالترتب لا محالة بين كلام النبي ﷺ وكلام الله -عزّ وجلّ-.

٣- الاختلاف بين ما ورد عن النبي ﷺ، وما ورد عنهم عليهم السلام، وهو إنّما يُتَصوّر بلحاظ مقام الإثبات لا الثبوت؛ إذ لا يُعقل واقعاً صدور حديث عن الأئمة عليهم السلام مخالف لحديث النبي ﷺ الصادر عنه، كما أنّ الاختلاف الإثباتي على نوعين:

ألف: اختلاف غير مستقرّ، وهو ما يمكن فيه تحصيل الجمع العرفي بين المختلفين، وفي هذا النوع من الاختلاف لا ترتّب ولا طولية بين ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام، وما ورد عن النبي ﷺ، بل قد يكون ما ورد عن المعصومين عليهم السلام حاكماً أو مقيِّداً أو مخصِّصاً أو ناسخاً لما ورد عن النبي ﷺ، بناءً على جواز النسخ بهذا النحو، كما ورد في المعتبرة «يرِدُ الخبر عن رسول الله ﷺ من أناس لا نشكّ فيهم، ثمّ يجيء منكم خلافه. قال عليه السلام: إنّ الحديث يُنسخ كما يُنسخ القرآن».

باء: الاختلاف المستقرّ، وفي هذا النوع قد يُقال بالطولية بين ما ورد عنهم، وما ورد عن النبي ﷺ، بلحاظ أنّ من المرجّحات الصدورية (موافقة الكتاب والسنة)، ولكن للتأمل في ذلك مجال، حيث إنّه لا يُراد بالسنة أيّ خبر ثقة يحكي عن النبي ﷺ، بل المراد بها السنة القطعية بقرينة قرنها بالكتاب، وبناءً على ذلك فالمرجح في الواقع هو موافقة الكلام القطعي سواءً كان كتاباً أم سنةً نبويةً أم سنةً معصوميةً، إذن.. فلا طولية ولا ترتّب بين ما صدر عنهم أو ورد عنهم وما ورد عن النبي ﷺ في تمام الموارد.

الحكم الأخلاقي والحكم الفقهي

- البصائر: يفرّق البعض بين الحكم الأخلاقي/ والحكم الفقهي، فيقول إزاء النصوص التي تحثّ على الوفاء بالوعد وتذمّ على مخالفته: (الوفاء بالوعد واجب أخلاقي لا فقهي)، هل هناك فعلاً فرق بين الحكمين؟
  - هلا تفضلتم ببيان الفرق بين هذين النوعين من الحكم؟

الخباز: إنّ هناك فرقاً بين الخطاب المولوي والخطاب الإرشادي، فالمولوي هو الخطاب الصادر من المولى بما هو مولى، أي ما صدر منه مقروناً بالوعيد -كما في موارد الإلزام-،

أو مقروناً بالوعد -كما في موارد الندب-، والإرشادي هو الخطاب الصادر من الشارع بما هو مخبر عن الخصائص الواقعية -كالنصوص الصادرة في مجال الطبّ، كالأمر بأكل الرطب والسفرجل وأكل الملح قبل المائدة ونحو ذلك-، أو بما هو مخبر عن الخصائص العرفية نحو ما ورد «ختان الذكر سنّة، وختان الأنثى مكرمة»، أي أنّه حسن بنظر العرف؛ لأنّه يساعد على كسر الشره الجنسي للمرأة بنظرهم، أو بما هو مخبر عن الخصائص السلوكية بنظر المرتكز العقلائي نحو قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا *.....* وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[٧].

ومن هذا النوع ما يُعبَّر عنه بالحكم الأخلاقي، وهو عبارة عن الخطاب الصادر من الشارع بما هو مرشد إلى كمال الخُلق لدى الإنسان لا بما هو مولى، نحو «الغضب ضرب من الجنون»، و «إن لم تكن حليماً فتحلَّم»، فإنّ هذه إرشاد إلى خصائص الأخلاق وعواقبها ونتائجها وليست صادرة على نحو المولوية. فالخطاب الوارد في سياق الإرشاد أخلاقي لا مولوي، هذا إذا لم يقترن الخطاب بقرينة تدلّ على كونه مولويًّا، كالتعبير بالمؤمن ونحوه. ولذلك فقوله عليه السلام في روايات الحج: «المؤمن محرم المؤمنة» ظاهر في الحكم الندبي بلحاظ مدلوله الالتزامي، أي من الراجح للمؤمن رعاية عرض المؤمنة كرعاية المحرم لحرمه؛ لا أنّه حكم أخلاقي كما ذكر بعض الفقهاء.

ومن هذا القبيل أيضاً ما ورد في الوعد، حيث إنّ الوعد على قسمين: إخباري وإنشائي، فإن كان إخباراً عن متعلّق الوعد، فالوعد به مع عدم العلم بتحققه من صغريات الكذب المحرَّم، وإن كان إنشاءً للالتزام والتعهّد بالعمل، فالراجح شرعاً الوفاء به؛ لاقتران الروايات الآمرة بالوفاء بالوعد بما يدلّ على كونه حكماً مولويًّا ندبيًّا نحو «المؤمن إذا وعد وفى»، لا أنّه حكم أخلاقي كما أُفيد في بعض الكلمات، نعم لا يُستفاد من روايات الوعد حرمة عدم الوفاء به؛ لتعارف ألسنة التشديد في كلام الأئمة عليهم السلام في الأمور الندبية نحو «من نام وحده أو أكل وحده فهو ملعون».

مقاصد الشريعة

- **البصائر: كان الفقهاء (رضوان الله عليهم) في مرحلة من المراحل يستندون على قواعد فقهية تفصيلية اُستُلّت من ثنايا النصوص المأثورة عن المعصومين عليهم السلام. وهناك منهج آخر حين فقدان هذه القواعد التفصيلية -كما هو حاصل في بعض الفروع الفقهية- وبعد عدم القدرة على إدراجها ضمن عموم أو إطلاق يلجأ إلى قاعدة أخرى هي قاعدة المقاصد والتي هي عبارة عن تشكيل كليات متضافرة من مجموعة نصوص نقلية (القرآن والسنة) بشرط أن**

(٧) سورة الفرقان/ ٦٣، ٧٢.

توصل أصحاب هذا المنهج إلى اطمئنان مستند في الجملة إلى تلك النصوص. فهل المناهج الاجتهادية ـ بآلياتها وأدواتها المعروفة ـ هي نهائية منحصرة، أم أنّ هناك توقعاً في استحداث أبواب ومناهج جديدة؟
وما رأيك في مبنى (مقاصد الشريعة)؟.

الخباز: المراد بـ(مقاصد الشريعة) هي الأغراض التي يهدف الشارع إلى تحقيقها بتشريعاته، ولا إشكال عند الفقهاء في ضرورة مراعاة هذه الأغراض إذا أحرزت بعلم أو علمي كخبر ثقة مثلاً، وإنّما البحث في أمور ثلاثة:

١- في كيفية إحراز غرض الشارع أو مقصده:

إذا قطع الفقيه بمقصد الشارع -كما لو قطع بأنّ الشارع يرى لزوم حفظ النظام الاجتماعي- فلا ريب في حجية قطعه، وكذا إذا كان النصّ ظاهراً في بيان غرض الشارع أو مقصده، كما ورد في الروايات المعتبرة «وإنّما حرَّم الله الخمر لعاقبتها فما كانت عاقبته عاقبة الخمر فهو خمر»، أما لو انكشف مقصد الشارع بالحدس أو التخمين -المعبَّر عنه بالقياس- فلا عبرة به لاندراجه تحت عموم قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾[٨].

نعم، وقع البحث في حجية الظهور المجموعي كما لو اقتنص الفقيه من مجموع النصوص الواردة في شأن المرأة مثلاً أنّه لا عبرة برأي المرأة مطلقاً أي في القضاء والفتيا والتصويت وغير ذلك، ببيان أنّ موضوع الحجية لدى البناء العقلائي هل هو مطلق الظهور، ولو كان مركباً من عدة خطابات، أو خصوص الظهور الفردي؟، لكنّ القدر المتيقن من بناء أهل المحاورة هو العمل بالظهور الفردي لا مطلقاً.

٢- إذا أحرز الغرض أو المناط بالظهور فهل هو علة للحكم، بحيث يدور مداره وجوداً وعدماً، أم أنّه مجرد حكمة؟، مثلاً ما ورد في الذكر الحكيم من تعليل حرمة الربا بالظلم: ﴿ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾[٩]، هل هو العلة المنحصرة للحرمة أم هو أحد الملاكات، أو جزء علة للحكم في بعض الموارد؟، وكذلك ما ورد في تعليل كون شهادة الرجل ضعف شهادة المرأة: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾[١٠]، فقد يُقال: إنّ مجرد تعليل الحكم بشيء لا يعني أنّه العلة المنحصرة التي يدور الحكم مدارها وجوداً وعدماً، بل غاية مفاد التعليل أنّه مجرّد أحد الملاكات أو أحد أجزاء الملاك ولو في بعض الموارد -المعبَّر عنه بالحكمة-، إذن.. فانتفاؤه لا يعني انتفاء الحكم لقيام ملاك آخر مقامه.

٣- على فرض أنّ المستظهر من النصّ هو كون المناط أو الغرض مجرّد حكمة لا علة منحصرة كما في تعليل جعل العدة على المطلقة أو المتوفى زوجها بعدم اختلاط المياه فإنّه أحد

(٨) سورة الإسراء/ ٣٦.
(٩) سورة البقرة/ ٢٧٩.
(١٠) سورة البقرة/ ٢٨٢.

الملاكات لا علة منحصرة، فهل للحكمة تأثير في مقام الاستنباط؟، والصحيح أنّه وإن لم يمكن الفتوى على طبق الحكمة؛ إذ لا يدور الحكم مدارها وجوداً وعدماً، ولكنّها مانع عن العمل بالإطلاق الترخيصي أو الجري وراء الأصل الترخيصي، مثلاً الظلم حكمة لحرمة الربا لا علة له، ولذلك يحرم الربا حتى مع عدم الظلم كالربا بين الوالد وولده، إلا أنّه ملاك صالح للمنع من الفتوى بخلافه، فمثلاً تحويل القرض بشرط البيع إلى البيع بشرط القرض، أو تحويل قرض النقد بأكثر إلى بيع النقد بأكثر نسيئة، وإن كان جائزاً بالنظر للإطلاقات ومقتضى الأصل، إلا أنّ حكم العقل بقبح تفويت أغراض المولى مع فرض إحراز أنّ غرض الشارع ولو على نحو الحكمة هو عدم ظلم المقترض أو المحتاج للمبلغ.. مانعٌ من العمل بالمطلقات والعمل بالأصل الترخيصي، فلا يصحّ الفتوى بالجواز لاستلزامه تفويت الغرض المولوي -وهو عدم الظلم-، بل إنّنا وإن لم نحرز أنّ الحكمة غرض للشارع المقدّس، لكنّنا لا نحرز إطلاق الأدلة المرخّصة لمورد الحكمة؛ إذ لا يصحّ للمولى أن يتكئ على بيان الحكمة كمانع من الإطلاق إن لم يصلح قرينة على التقييد.

الفهم الاجتماعي للنصّ

- **البصائر: يدعو بعض فقهائنا إلى الأخذ بما يُسمّى (الفهم الاجتماعي للنصّ)، ويرى أنّ عملية (الظهور) لمعنى النصّ لا تتم عند الأخذ بالمدلول اللفظي فقط (الظهور اللغوي)، بل.. تحتاج إلى الأخذ بالفهم الاجتماعي للنصّ -أيضاً- (الظهور العرفي)، وفهم النصّ كما يتلقاه العرف الاجتماعي العام، ومن ذاك حمل الأمثلة الواردة في النصوص -كتلك التي تذكر الاحتكار في التمر والزبيب والحنطة والشعير والزيت- على أنّها مجرّد أمثلة زمنية للاحتكار لا تنحصر حرمة الاحتكار فيها، فكيف نقوّم مبنى (الفهم الاجتماعي للنصّ)؟**

الخباز: الظهور نوعان:

ألف: الظهور اللغوي، وهو ما ينصرف له اللفظ بالنظر للوضع والقرائن اللفظية المتصلة.

باء: الظهور الموضوعي، وهو الظهور المستند لمجموع القرائن الداخلية كالقرائن اللفظية، والخارجية كالقرائن الارتكازية والعقلية.

ومن هذا المنطلق جاءت نظرية الفهم الاجتماعي، فإنّ فهم النصّ فهماً اجتماعيًّا يعتمد على خطوتين:

١- دراسة النصّ من خلال ظروفه الاجتماعية، وذلك عن طريق دراسة الاتجاهات الفكرية المعاصرة للنصّ، ودراسة الملابسات المكتنفة بصدوره.

٢- إذا كان مضمون النصّ مضموناً اجتماعيًّا كالنصوص المرتبطة بباب المعاملات فيمكن فهمه على أساس دراسة النصّ من خلال مقارنته بالنكات العقلائية العامة التي لا

تخصّ مجتمعاً أو زمناً، باعتبار ورود النصّ في إطار الأفق العقلائي ردعاً أو إمضاءً. ومن أمثلة ذلك ما ورد «من استأجر داراً فلا يؤاجرها بأزيد حتى يحدث فيها حدثاً»، فإنّه لو جمدنا على الظهور اللغوي للنصّ لقلنا بأنّ مفاده نهي تعبديّ خاصّ بباب الإجارة، وأما لو لاحظنا الفهم الاجتماعي للنصّ لقلنا بأنّ النهي ناظر للنكتة العقلائية التي عبّرت عنها الآية ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾[11]، وهي أنّ نيل المال والربح من دون جهد وبذل طاقةٍ أكلٌ بالباطل من دون اختصاص بباب الإجارة، فيشمل ذلك بيع السلعة بأكثر من سعرها السوقي بفرق فاحش.

ومن الأمثلة أيضاً ما ورد من النهي عن احتكار بعض الأطعمة؛ إذ لا يرى العرف خصوصية لهذه الأطعمة، وما ورد من كون العيوب التسعة موجبة لانفساخ عقد النكاح -حيث لا يرى الارتكاز العرفي موضوعية لهذه العيوب- بل إنّ المناط هو كلّ عيب مانع من الاستمتاع بين الزوجين سواءً كان في المرأة أو في الرجل وإن لم يكن من العيوب التسعة.

فقه الفرد وفقه الجماعة

- **البصائر: يقول السيّد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره: «فالمجتهد -خلال عملية الاستنباط- تمثّل في ذهنه صورة الفرد المسلم الذي يريد أن يطبِّق النظرية الإسلامية للحياة على سلوكه، ولا يتمثّل صورة المجتمع المسلم الذي يحاول أن ينشئ علاقاته على أساس الإسلام....، إنّ الانكماش في الهدف وأخذ المجال الفردي للتطبيق بعين الاعتبار فقط، نجم عنه انكماش الفقه من الناحية الموضوعية، فقد أخذ الاجتهاد يركّز باستمرار على الجوانب الفقهية الأكثر اتصالاً بالمجال التطبيقي الفردي، وأهملت المواضيع التي تمهِّد للمجال التطبيقي الاجتماعي؛ نتيجة لانكماش هدفه واتجاه ذهن الفقيه حين الاستنباط غالباً إلى الفرد المسلم وحاجته إلى التوجيه بدلاً من الجماعة المسلمة وحاجتها إلى تنظيم حياتها الاجتماعية».**
ما هي السبل لإعادة المكانة للمجال التطبيقي الاجتماعي في عملية الاجتهاد؟

الخباز: إنّ الجواب يشتمل على نقاط ثلاث:

ألف: إنّ الفرق بين فقه الفرد وفقه الجماعة هو أنّ المقصود بفقه الجماعة ما كان للاجتماع دخل في الحكم أو متعلِّقه بخلاف فقه الفرد، فمثلاً وجوب الصوم أو الحج على الفرد لا ربط له باجتماع غيره معه فهو فقه فردي، بينما وجوب الجمعة -بناءً على وجوبها في عصر الغيبة ولو تخييراً- منوط باجتماع خمسة كما في الرواية المعتبرة «إذا اجتمع

(١١) سورة البقرة/ ١٨٨.

خمسة وفيهم من يخطب أمَّهُم» -وهذا هو الفقه الجمعي-، والفقه الجمعي على نوعين، فإنّ الاجتماع قد يكون دخيلاً في الوجوب كمثال صلاة الجمعة -على بعض المباني-، أو في نفوذ الحكم كما في الشهادة على الزنا، فإنّ نفوذها منوط باجتماع الشهادات الأربع، وقد يكون دخيلاً في الواجب كما في مثال صلاة الجمعة على المبنى الآخر، وكما في النفر للجهاد -عند وجوبه- حيث يجب على مجموع الأمة إعداد جماعة تقوم بقتال العدو.

باء: إنّ مقصود السيّد الشهيد قدس سره أنّ المستفاد من المطلقات نحو ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[١٢]، هو نظرية الفقه الجمعي، وهو أنّه يجب على الأمة إيجاد فئة تقوم بالدعوة للدين والأمر بالمعروف، وليس مفاد الآية ونحوها الحكم الانحلالي بلحاظ الأفراد، بمعنى أنّه يجب على كلّ فرد أن يوجد من نفسه داعياً للخير أو آمراً بالمعروف، وإن كان هذا المعنى مستفاداً من نصوص أخرى أو من هذه الآية ولكن بالمدلول الالتزامي، وعلى كلّ حال ففتح هذا الاتجاه في الفقه يثمر في إبراز امتداد الفقه الجمعي لكثير من الأبواب بحيث يُستفاد من كثير من النصوص تعلّق الخطاب بالجماعة كتعلقه بالفرد.

جيم: إنّ النصوص الواردة عن الأئمة عليهم السلام على قسمين:

١- ما ورد في مقام الإفتاء والإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالوظيفة الفعلية للمكلف، وهذا القسم يشكل أغلب النصوص.

٢- ما كان في مقام التعليم وإلقاء الكبريات الفقهية كما ورد عنه عليه السلام: «علينا إلقاء الأصول، وعليكم التفريع»، ولعلّ منشأ طغيان الفقه الفردي على علم الفقه هو كون ما ورد على نحو الإفتاء هو النصّ الغالب، والمفروض أنّه ناظر للفقه الفردي، فينبغي للفقيه إذا اقتنع بنظرية الفقه الجمعي أن يحاول أن يقتنص هذه التكاليف العامة من النصوص الواردة في مقام التعليم، أو النصوص الواردة في مقام الإفتاء بلحاظ مداليلها الالتزامية.

فقه الدولة (الفقه الولائي: السلطاني)

- **البصائر: من إحدى نتائج إبعاد الفقه الشيعي عن الحكم والدولة انحسار ما يُسمّى بـ(الفقه السلطاني) أو (فقه الدولة)، بحيث تضخّم الفقه في البعد الفردي الممكن التطبيق، وانحسر فقه الدولة، فما آلية إعادة هذا النوع من الفقه إلى مكانته المناسبة له؟**

الخباز: الجواب يتضمن أمرين:

ألف: هناك فرق بين الحكم السلطاني وفقه الدولة، فالمراد بالحكم السلطاني هو الحكم الولايتي الصادر عن ولي الأمر في منطقة الفراغ، وقد بحث عنه بحثاً مفصلاً في

(١٢) سورة آل عمران/ ١٠٤.

بحث (ولاية الفقيه) في كتاب البيع للشيخ الأنصاري ومن علَّق عليه، والمراد بفقه الدولة هي وظائف السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية على نحو الحكم الشرعي القانوني الذي لا يختصّ بفرد أو زمان لوروده على نحو القضية الحقيقية، وهو غير الحكم الولايتي الوارد على نحو القضية الخارجية المختصّ بزمان معيّن أو ظرف معيّن، وهذا النوع من الفقه نادر الطرح في فقه الإمامية كما هو ظاهر.

باء: ينبغي في العصر الحاضر تبويب الفقه بشكل مواكب لمسيرة الحياة الاجتماعية بأن يُنظّم على أساس (فقه الأسرة) و(فقه المستشفى) و(فقه المدرسة) و(فقه الدولة) ونحو ذلك...، بطريقة فنية يتلافى فيها تداخل الفروع والمسائل.

وينبغي بالنسبة لفقه الدولة أن يقوم جمع من الفقهاء بقراءة فقه المذاهب الإسلامية الأخرى في هذا المجال، وقراءة الدستور الوضعي لماهية الدولة وجدول وظائفها، والاستفادة من المسائل المستجدة في الجمهورية الإسلامية في إيران من أجل صياغة باب فقه الدولة صياغة محكمة.

المؤثرات في عملية الاستنباط

البصائر: أثر الزمان في الاستنباط:

- **يقول الإمام الخميني قدس سره: «إنّ إحدى القضايا المهمة جدًّا في عالم اليوم المليء بالفتن هي: دور الزمان والمكان في مسألة الاجتهاد واتخاذ القرارات». فما هو أثر الزمان في الاستنباط؟**

الخباز: إنّ دخالة الزمان في استنباط الحكم الشرعي تتبيّن في موارد ثلاثة:

١- قد يكون تغيّر الزمن موجباً لتغيّر الموضوع، وبما أنّ الحكم تابع لموضوعه تبعية المعلول لعلته التامة، فتغيّر الزمن موجب لتغير الحكم، مثلاً بيع الدم قبل مائتي سنة كان بيعاً فاسداً لانتفاء شرط المالية في المبيع، ثمّ تغيّر الحكم لتغيّر الموضوع، فإنّه لما تبيّن أهمية الدم بالنسبة لإنقاذ حياة الإنسان في هذا العصر؛ أصبح الدم محطّ الرغبة النوعية العقلائية، وتحوّل إلى مال يُباع ويُشترى فتغيّر حكم بيعه من البطلان إلى الصحة.

٢- إنّ تغيّر الزمان موجب عادة لولادة فروع وأبواب فقهية جديدة كمسائل البنك وعقد التأمين ونحو ذلك من المسائل التي حدثت نتيجة تطور المفاهيم الاقتصادية، ومهارة الفقيه قد لا تبرز في استنباط أحكام الأبواب المعروفة لكثرة ما كُتب فيها، وإنّما تبرز في استنباط أحكام المسائل المستحدثة.

٣- إنّ تغيّر الزمن ملازم عادة لتطور المفاهيم القانونية وتطور أدوات الاستنباط

نتيجة استثمار العلوم المستحدثة في هذه المجالات، فمثلاً نتيجة قراءة القانون الوضعي كما في كتاب (الوسيط في القانون) للسنهوري وقع البحث عند بعض الفقهاء في أنّ إجارة الأعمال من قبيل الحقّ العيني أو الشخصي، كما استُفيد أيضاً من بحث فلسفة الحقوق في القانون الوضعي سعة مفهوم الحقّ للحقوق الاعتبارية المحضة وقابليتها للنقل والانتقال كحقّ البراءة العلمية ونحوه، كما نتوقع أيضاً الاستفادة من علم الدلالة اللغوية البنيوية مستقبلاً في مباحث صغريات أصالة الظهور.

أثر الثقافة في الاستنباط

- **البصائر: يقول أحد الفقهاء: «يجب على الفقيه والمرجع الديني أن يطلع على سنخ الحوادث الواقعة في عصره من المشكلات الاقتصادية والسياسية والنظامية العامة على حدّ استطاعته حتى يتمكّن من استنباط أحكامها من الكتاب والسنة ويميّز بين الحقّ والباطل».**
ويقول آخر: «الفقيه يجب أن يمتلك رؤية شمولية ورحبة، تنبني على ثقافة واسعة بمشكلات عصره ومجتمعه وحاجات هذا المجتمع».
ما رأيك في أثر ثقافة الفقيه على فتاواه؟، وهل هذه الثقافة على نحو الشأنية أو الفعلية؟

الخباز: إنّ إلمام الفقيه بواقع زمانه، وأوضاع عصره عنصر ضروري في مواكبة الفقه لمسيرة الحياة -وإن لم يكن دخيلاً في حجية الفتوى-، فإنّ الغرض الأكمل لدى الفقيه أن تكون فتواه في الأمور الكلية، أو حكمه الولايتي في الحوادث الجزئية مصداقاً لعنوان الدعوة إلى الخير﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾[13]، وصدقُ هذا العنوان منوط بتطابق خطاب الفقيه مع واقع عصره، وهو متوقف على ثقافته وإلمامه بملابسات زمانه، مضافاً إلى ما ورد عنهم عليهم السلام: «مَنْ لم يكن عارفاً بزمانه هجمت عليه اللوابس»، وهو ظاهر في أنّ عدم معرفة الفقيه بملابسات زمانه موجب لتعثّر أحكامه واختلاط الأمور عليه، وعدم انصياع العامة من الناس لقراراته.

المعصوم ولغة الخطاب

- **البصائر: عند ملاحظة اشتغال الفقهاء بتحليل نصوص المعصومين عليهم السلام نشهد لونين من التحليل، يعتمد أولهما على تحليل دقيّ يقترب من الطابع الفلسفي، ويتصف ثانيهما بتحليل مقارب للفهم العرفيّ؛ تأسيساً على**

(١٣) سورة آل عمران/ ١٠٤.

مخاطبة النصوص للناس على قدر عقولهم. وذاكما اللونان هما ما يسميهما البعض: الفهم الدقيّ والفهم العرفيّ للنصّ.
ماذا ترون في هذين اللونين؟

الخباز: الجواب يعتمد على مقدمتين:

ألف: إنّ الظهور نوعان: ذاتي وموضوعي، فالظهور الذاتي هو الظهور المستند لعوامل ذاتية في شخص المستظهر، كأن يكون للبيئة أو المزاج الشخصي دخل في استظهاره. والظهور الموضوعي هو الظهور المستند لعوامل خارجية -أي خارج ذات المستظهر- وهي قد تكون لغوية كالوضع والقرائن اللفظية، وقد تكون عقلية، أو ارتكازية ونحو ذلك، وما قام البناء العقلائي على حجيته هو النوع الثاني.

باء: إنّ فهم النصّ على لونين: عرفي وعقلي، والمراد بالأول هو الظهور الموضوعي الذي ذكرناه في المقدمة السابقة، والمراد بالعقلي هو الفهم المستند لمقدمات عقلية خفية ليست من سنخ القرائن؛ مثلاً قوله (عليه السلام): «لا تنقض اليقين بالشك»، ظاهر عرفاً في الإرشاد إلى مرجعية اليقين السابق في ظرف الشك، ولكن قد يُدَّعَى ظهوره في إمارية الاستصحاب، بتقريب أنّ مفاد الرواية هو عدم ناقضية الشك لليقين، وحيث إنّ عدم الناقضية من اللوازم العقلية لانكشاف الواقع، إذ لو لم ينكشف لكان الشك ناقضاً، إذن.. فما دلّ على اللازم وهو انتفاء الناقضية دالّ على الملزوم وهو انكشاف الواقع في ظرف الشك المساوق للإمارية.

إلا أنّ هذا الفهم مبني على مقدمات عقلية خفية لا تصلح أن تكون قرينة عليه، وهذا ما يُعَبَّر عنه بالفهم العقلي التحليلي، ولا شاهد على حجيته.

- **لبصائر: يقول الإمام الصادق (عليه السلام): « ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتى يعرف لحن كلامنا، وإنّ الكلمة منّا لتنصرف على سبعين وجهاً، لنا منها جميعاً المخرج ».**
ورد في لسان بعض الأحاديث الشريفة -كالحديث المتقدّم- أنّ الفقيه من يعرف لحن كلام المعصومين (عليهم السلام)، أو معاريض كلامهم (عليهم السلام)، وأنّ في كلامهم محكماً كمحكم القرآن، ومتشابهاً كمتشابه القرآن، هلا تفضلتم بتبيان المقصود من ذلك وتأثيره على الاستنباط؟

الخباز: إنّ المقصود بهذه النصوص اشتمال كلام الأئمة (عليهم السلام) على الدلالة الرمزية -المعبَّر عنها بلحن القول ومعاريض الكلام-، وهي الإشارات التي يرمز المتكلم بها لمعاني لا يريد التصريح بها، وهذا ما يؤكد ضرورة القراءة الموضوعية للنصّ، فإنّ القراءة على اتجاهين:

١- القراءة التجزيئية، وهي قراءة النصّ منفصلاً عن الملابسات الخارجية، كما هو

ديدن كثير من الفقهاء، وهذا النوع من القراءة قد لا يوصل الفقيه لمعرفة بطون كلامهم عليهم السلام ومعاريضه.

٢- القراءة الموضوعية، والمقصود بها قراءة النصّ ضمن السياق التاريخي والفكري والشخصي لسيرة الأئمة عليهم السلام، وهذا الاتجاه يعتمد على عدة خطوات منها:

ألف: قراءة جميع أحاديثهم من الطهارة إلى الديات قبل الخوض في عالم الاستنباط، كما يُنقل عن السيّد السبزواري قدس سره أنّه قرأ (البحار) ثلاث مرات، وعلّق عليه.

بلحاظ أنّ لكلّ مفكر لغة خاصة، ومنهجاً متميّزاً في طرح الفكر ومعاريض الخطاب، والإمام المعصوم ذو لغة ومنهج خاصّ أيضاً، ومن أجل اكتساب الخبرة بلغة الأئمة، ومنهجهم ولحن كلامهم، فلابد من قراءة جميع رواياتهم عليهم السلام، وهذه الخطوة عنصر ضروري لكمال الاستنباط، فإنّه بها يُعرف الحديث الموضوع المنافر للغتهم ومنهجهم من غيره، كما ورد عنهم: «إذا ورد عليكم الحديث فقيسوه على أحاديثنا المتقدمة فإن وافقها فهو منّا»، وبهذه الخطوة أيضاً يتمكن الفقيه من تحصيل الجمع العرفي بين النصوص المتعارضة لمعرفته بسياقها، وبها أيضاً قد يتوصل الفقيه لحكم من غير بابه المعهود، إذ ربّما يتطرّق الإمام عليه السلام ضمن حديثه عن المواريث أو الديات لحكم من أحكام الصلاة أو البيع ولو بالمدلول الالتزامي، وربّما يحصل العكس، وبهذه الخطوة أيضاً يُعرف النصّ السابق واللاحق فيتمكن الفقيه بذلك من الجمع بينهما بالحكومة، باعتبار نظر المتأخر للمتقدم، وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام في بعض الروايات «أرأيتَ إن حدثتكَ بحديث أو أفتيتكَ بفتيا، ثمّ جئتَ من قابل فحدثتكَ بخلافه؛ بأيّهما كنتَ تأخذ؟ قلتُ: بأحدثهما، قال: قد أصبتَ يا أبا عمرو».

باء: قراءة ظروف صدور النصّ وملابساته لمعرفة أنّه صادر على سبيل التقية أم لا، نحو ما ورد عنه عليه السلام: «اروِ عني من طلّق زوجته ثلاثاً في مجلس واحد فقد بانت منه». ومعرفة أنّه صادر على نحو الحكم القانوني أو الحكم الولايتي، نحو ما ورد عنه عليه السلام: «خذ مال الناصب أينما وجدته، وادفع إلينا الخمس»، ومعرفة أنّه من خصوصياته عليه السلام. أو أنّه خطاب مولوي مشترك نحو ما ورد في معتبرة زرارة عنه عليه السلام: «ثلاثة لا أتقي فيهن أحداً: شُرْب المسكر، ومتعة الحج، والمسح على الخفين. ثم قال زرارة: قال عليه السلام: لا أتقي، ولم يقل: لا تتقوا».

جيم: قراءة الاتجاهات الفكرية والمذاهب الفقهية المعاصرة للنصّ من أجل فهم معاريضه وفك دلالاته، نحو معتبرة أبي عبيدة الحذّاء قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: «أيّما ذميّ اشترى من مسلم أرضاً، فإنّ عليه الخمس»، فإنّه لو انفصلت الرواية عن سياقها الفكري لاستُفيد منها تعلق الخمس الاصطلاحي بالأرض، ولكن لو قرأ الفقه المعاصر للنصّ وهو ما ذهب له الإمام مالك وغيره من أنّ الذمي إذا اشترى أرضاً زكوية من مسلم، فحيث إنّ المسلم كان مطالباً بدفع العشر منها، فإنّ الذمي إذا اشتراها تضاعف عليه الزكاة فيتعلّق

بذمته عشران (الخُمس) لا عشر واحد، فمنظور الرواية للأرض العشرية لا مطلق الأرض، ومفاده تضعيف الزكاة على الذمي لا الخمس الاصطلاحي، ولا موجب لحملها على التقية؛ لعدم المعارض، بل مقتضى (أصالة الجِد) كونها حكماً واقعياً.

- **البصائر: الخطاب المعصوم هل هو موجّه لمخاطب واحد -سواء أكان عرفيًّا (عاميًّا مستفتياً) أم علميًّا (فقيهاً)، وما تأثير ذلك على فهم النصوص؟**

الخباز: هناك بحث في الأصول حول شمول الخطاب لغير المشافَهين، ومحصله أنّ كلام الأئمة عليهم السلام على نوعين:

١- ما ورد في مقام التعليم.

٢- وما ورد في مقام الإفتاء.

فأما ما ورد في مقام التعليم فهو وارد على نحو القضية الحقيقية، والمخاطب فيه طبيعي المكلَّف لا المشافه، بلحاظ تكفّل هذا النوع من الخطاب لبيان الكبريات الكلية، وأما ما ورد في مقام الإفتاء وهو الخطاب المتكفّل لبيان الوظيفة الفعلية للمستفتي، فهل هو على نحو القضية الخارجية، بمعنى أنّ الشخص المشافه فيه هو المخاطب بالتكليف وإنّما ثبت التكليف في حقّ غيره بقاعدة الاشتراك، أم هو على نحو القضية الحقيقية، بمعنى أنّ المخاطب بالتكليف فيه طبيعي المكلف، وبناءً على ذلك فلا وجه للبحث في أنّ المخاطب واحد أو متعدد بلحاظ أنّ المخاطب هو الطبيعي؟

وتظهر ثمرة المسلكين فيما إذا احتمل دخل خصوصية في موضوع التكليف، فإن قلنا بأنّ شمول الخطاب لغير المشافَهين بنفس الخطاب لوروده على نحو القضية الحقيقية أمكن نفي احتمال الخصوصية بإطلاق الخطاب، وإن قلنا بأنّ شموله بقاعدة الاشتراك لوروده على نحو القضية الخارجية، فالقدر المتيقن من موضوع التكليف ما كان واجداً للخصوصية بلحاظ أنّ مدرك قاعدة الاشتراك لبيّ، فيُقتصر فيه عند الشك على القدر المتيقن.

وأما تنقيح ما هو الحقّ في هذا البحث فموكول لعلم الأصول.

- **البصائر: يذهب بعض الأصوليين إلى نفي ما يُسمّى بـ(الحقيقة الشرعية)، ومن جهة أخرى ثمة دلالات خاصة بالشارع المقدس، فكيف نوفق بين هذين الاتجاهين؟، وهل للحقيقة الشرعية تأثير في الفهم؟**

الخباز: إنّ مسالك البحث في الحقيقة الشرعية ثلاثة:

ألف: إنّ الشارع المقدس وضع ألفاظ (الصلاة، والصوم، والمذكى...) لمعان جديدة غير معانيها اللغوية وضعيًّا وتعيينيًّا، وهذا هو مسلك (الحقيقة الشرعية).

باء: ما ذهب له السيّد الأستاذ السيستاني (دام ظلّه)، وهو مسلك (متمّم الجعل

التطبيقي) ومحصله: أنّ (الصلاة) مثلاً لدى المرتكز العقلائي ماهية خضوعية لها مصاديق مختلفة باختلاف الملل، فمصداقها لدى أهل الكتاب مغاير لمصداقها لدى البوذيين مثلاً، والشارع المقدس لم يتدخل في اختراع هذه الحقيقة الاعتبارية، فهي اعتبار عقلائي، وإنّما تدخل في تطبيق هذه الماهية الخضوعية على مصداق خاصّ وهو المركب من الأجزاء والشرائط المعيّنة.

جيم: مسلك (الحقيقة المتشرعية) ومحصله: أنّ الشارع المقدس استعمل لفظ (الصلاة) مثلاً في المركّب الخاصّ لا من باب الوضع التعييني كي يندرج في مسلك (الحقيقة الشرعية)، ولا من باب تطبيق الحقيقة العقلائية على مصداق جديد كي يندرج في المسلك الثاني. وإنّما من باب الاستعمال المجازي لمناسبة بين المعنيين، إلا أنّ كثرة الاستعمال من قبل المتشرعة أوجبت انصراف لفظ (الصلاة) مثلاً للمركب الاعتباري المعبَّر عنه بالوضع التعيّني.

وبناءً على ذلك فالتسليم بأنّ للشارع مداليل خاصة كتحديده الكرّ بحدّ معيّن، وكذلك تحديد القبلة، والزكاة وغيرها...، لا يستلزم التسليم بالحقيقة الشرعية؛ إذ لعلّ من يسلّم بالمداليل الخاصة يرى المسلكين الآخرين.

الذائقة الفقهية

- **البصائر: يُلاحظ في عبارات الفقهاء -رضوان الله عليهم- تعابير مثل: (شامة الفقيه)، (مذاق الفقيه) تشير إلى خاصية يمتلكها الفقيه تؤثر في توجيه مساق فهم النصوص وعملية الاستنباط.**
  فما هو المقصود من هذه الخاصية؟، وكيف يمكن تنميتها بصورة واضحة؟.

الخباز: في الفقه مشارب أربعة:

١- فقه الظهور، والمقصود به: أن يمتلك الفقيه ذوقاً سليماً يقتدر به على تحديد الظهور العرفي للرواية وتحصيل الجمع الدلالي بين المتعارضين، وهذا ما تميّز به سيّد (المستمسك) قدس سره.

٢- فقه الصناعة، والمقصود به: أن يمتلك الفقيه ذهنية حادة يقتدر بها على تحقيق الكبريات الفقهية وتطبيق الأصول العملية على مواردها، وهو مما تميّز به السيّد الخوئي قدس سره.

٣- فقه الحديث، والمقصود به: أن يكون للفقيه ممارسة طويلة للحديث في كتب العامة والخاصة، بحيث يقتدر بخبرته الواسعة على تحديد متون الأحاديث من حيث التقطيع، والتصحيف، وموارد الاختلاف، ونكات الترجيح، والوحدة والتعدد. وهذا ما تميّز به السيّد البروجردي قدس سره.

٤- فقه الأشباه والنظائر، والمقصود به: أن يكون للفقيه خبرة وافرة بالفروع الفقهية وسليقة حسنة يقتدر بها على الالتفات للنكات المشتركة بين الفروع، بحيث إذا طُرح عليه فرع جديد يلتفت لنظائره في الفقه سريعاً، ويقتنص النكات المشتركة بينهما بحسن سليقته، ويصل إلى حكمه -لا من باب القياس المبني على العلل الظنية، بل من باب اكتشاف الكبريات الصادقة على هذه الفروع جميعاً-، وهذا ما يُعبَّر عنه بـ(شمّ الفقاهة)، وهو ما يتميّز به السيّد أبو الحسن الأصفهاني -كما قيل-.

مدى دائرة الاستدلال

- **البصائر: لا نجد كثيراً من العلماء يستدلون بنهج البلاغة، ولا الأحاديث القدسية، ولا التوقيعات المروية عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.. في عملية الاستنباط، فإلام تعزو السبب؟**

الخباز: إنّ عدم الاستدلال بأيّ حديث يرجع لأحد أمرين:

١- الخلل في الصدور.

٢- الإشكال في الدلالة.

وهذا ما ينطبق على الحديث القدسي. حيث لم يرد بطريق معتبر، مضافاً لعدم وروده في مقام التشريع كي يُستند له في مجال استنباط الحكم الشرعي.

وأما بالنسبة لنهج البلاغة فلا أتصور مانعاً من الاستفادة منه في مجال الاستنباط؛ لإمكان ترميم جهة الصدور فيه وجهة المضمون، أما من جهة الصدور فلتضافر القرائن الموجبة للوثوق بصدوره على نحو المجموع من حيث المجموع -لا الجميع منها لتعدد مصادره وطرقه- كما نقح ذلك المرحوم السيّد عبد الزهراء الخطيب في كتابه (أسانيد نهج البلاغة) -ومنها: النفس الأدبي، حيث إنّ للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لغة خاصة في الخطب الثابت صدورها عنه، فإذا قيست الخطب الأخرى عليها أمكن تمييز ما هو منسجم مع النفَس العلوي من غيره-، وهذا ما نقله ابن أبي الحديد عن مصدّق بن شبيب الواسطي قال: قلت لابن الخشاب -عن الخطبة الشقشقية-: أتقول إنّها منحولة؟، فقال: لا والله، وإنّي لأعلم أنّها كلامه كما أعلم أنّك مصدِّق، فقلت له: يقولون إنّها من كلام الرضي، فقال: أنَّى للرضي ولغيره هذا النفَس وهذا الأسلوب؟، فقد وقفنا على رسائل الرضي، وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام، وما يقع مع هذا الكلام في خلٍّ ولا خمر. وقال ابن أبي الحديد: «وأنتَ إذا تأملتَ نهج البلاغة وجدته كلّه ماءً واحداً ونفَساً واحداً كالجسم البسيط الذي لا يكون بعض منه مخالفاً للبعض الآخر، وكالقرآن العزيز أوله كوسطه، وأوسطه كآخره»، ومن القرائن أيضاً: السمة الفلسفية والعرفانية التي

يتسم بها كلام الإمام عليه السلام دون كلمات غيره. فهذه القرائن المتضافرة كافية في تحصيل الوثوق بصدوره.

وأما من جهة المضمون، فبعضه مما ورد في مقام التشريع كعهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر، وبعضه مما ورد في مقام الإرشاد للكمال والحُسن -كخطبته حول المتقين-، ويمكن الاستفادة من هذا القسم من خلال اقتناص بعض مقاصد الشارع وملاكاته التي تساهم في عملية الاستنباط كما سبق بيانه في جواب -٦-، هذا بلحاظ نهج البلاغة.

وأما بالنسبة للتوقيعات المروية عن الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، فهي وإن كانت مرسلة أو مشتملة على المجاهيل. إلا أنّ السيّد الشهيد قدس سره بنى على الوثوق بصدورها، والوجه في ذلك أنّ هذه التوقيعات نُسبت للإمام قدس سره في الغيبة الصغرى، وسكتَ علماء الطائفة في تلك الفترة عن الحديث فيها مع تضمنها لأحكام ابتلائية وانقياد الشيعة لها في ذلك الوقت، وذلك كاشف إما عن كون الراوي لها في غاية الضعف فلهذا سكت الفقهاء عن روايته لوضوح ضعفه، وإما لكونه مما لا ريب في وثاقته لدى الناس فلا حاجة للتوثيق، وحيث إنّ الأول باطل وإلا لنُقل إلينا كما هو مقتضى ديدن المؤرخين والرجاليين؛ تعيّن الثاني وهو تمامية التوقيع سنداً.

وعندي تأمل في ذلك ومحصله: إنّ سكوت فقهاء ذلك الوقت عن الطعن في هذه التوقيعات لا يجدي شيئاً في مجال التوثيق، وذلك لأنّه إنّما يكشف عن قبولهم بها لو كانت هذه التوقيعات رائجة في تلك الفترة، وكانت الشيعة في معرض العمل بها، فإنّه حينئذٍ ينبغي للفقيه أن يتصدى لتنقيح الحديث قبولاً أو رفضاً لكيلا يكون سكوته إغراء بالجهل وإيقاعاً للمكلفين في مفسدة خلاف الواقع، وأما إذا لم تكن هذه التوقيعات رائجة في تلك الفترة -حيث لا شاهد على انتشارها ورواجها- بحيث لم تكن في معرض العمل بها، مع وجود الأحكام المذكورة فيها في نصوص أخرى ثابتة، فلا يترتب على السكوت عنها أيّ محذور شرعي أو عرفي ككثير من المنقولات التي يسكت الفقهاء عنها لعدم تأثيرها في عمل العامة من الشيعة. وربما يكون سكوتهم على التنقيح في سندها لقيام مجموعة من القرائن عندهم على صدورها، ولكن لو اطلعنا نحن على هذه القرائن لم نجدها كافية في الوثوق؛ إذ لا ملازمة بين ما يوجب الوثوق بالصدور لدى القدماء وما يوجبه لدينا، نعم لو أحرز شهرة العمل لدى القدماء برواية معينة فهذه الشهرة إحدى قرائن الوثوق لا أنّها العلة التامة في تحصيله، أو أنّها مانع من الفتوى على خلافها، إذ لا يُحرز بناء أهل المحاورة على العمل بأيّ ظهور مع قيام ظنّ شخصي على خلافه ناشئ من منشأ عقلائي كالشهرة العملية أو الفتوائية، والمتحصّل أنّ الشهرة وإن لم تكن دليلاً على الحكم لكنّها قد تكون مانعاً من الحكم بخلافها، وأما في التوقيعات المروية عن الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف فلم تحرز شهرة العمل بها فضلاً عن دعوى تضافر القرائن المفيدة للوثوق بصدورها.

الرأي الصناعي والرأي العملي

- **البصائر: يفرِّق بعض الفقهاء بين الرأي الصناعي (الاستدلالي) والرأي العملي (الفتوائي)، فيُدخل -في مرحلة الإفتاء- عناصر مثل: الاحتياط والشهرة قد توصل لخلاف ما يرتئيه على المستوى الصناعي، فهل ينطلق هذا التفريق من دليل يُركن إليه؟**

الخباز: قد يتوصل الفقيه لنتيجة معيّنة في مقام الاستدلال لكنّه لا يفتي بها وإنّما يحتاط في الفتوى.

والنكتة في عدم الفتوى بما يراه تتضح بذكر أمور:

ألف: قد يتصور أنّه يجب على الفقيه المتصدي للمرجعية الإفتاء، ولكنّ الصحيح غير ذلك إذ لم يقم دليل على وجوب الفتوى على الفقيه وجوباً عينيًّا، وإنّما غاية ما دلت عليه النصوص الآمرة بالتعليم نحو قوله تعالى: ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ﴾[١٤]، ونحو «أخذ على العلماء أن يعلِّموا» أنّه يجب على الفقيه وجوباً كفائيًّا الإنذار في خصوص المسائل الابتلائية التي لو لم يتعلمها لوقع في مفسدة مخالفة الواقع، والمقصود بالإنذار ليس هو الفتوى، وإنّما تنبيه العامي على طريق يبرئ به ذمته من التكليف الواقعي سواء أكان وظيفة شرعية وهي الفتوى، أو وظيفة عقلية وهي الاحتياط، فإذا لم يجب على الفقيه الفتوى، وإنّما الواجب مطلق الإنذار كما أنّه لا يجب على الفقيه الإنذار وجوباً عينيًّا، بل وجوباً كفائيًّا وفي المسائل الابتلائية، فلا حزازة في أن يترك الفقيه ما اقتنع به ويحتاط في الفتوى، نعم لا يمكنه أن يفتي بخلاف رأيه العلمي لأنّ ذلك من الفتوى بغير علم، ولكن لا يجب عليه أن يفتي على طبق رأيه.

باء: إنّ عدم فتوى الفقيه بما يراه في مقام البحث يرجع لأحد أسباب:

١- عدم إيقاع العامي في الحرج، كما لو فرضنا أنّ الفقيه يرى على مستوى البحث العلمي أنّ المتَنَجِّس منَجِّس، ولكنّه في مقام الفتوى يحتاط -لأجل أنّ الفتوى بذلك توقع العامي في الحرج- احتياطاً وجوبيًّا بالنجاسة، ولا يفتي بها لكي يتمكن العامي من الرجوع لغيره ممن لا يرى النجاسة. بلحاظ أنّ الاحتياط وظيفة شخصية للفقيه، وليست فتوى كي يجب على العامي العمل بها.

٢- ألّا تكون فتواه سبباً لوهن الدين أو المذهب، كما لو اقتنع الفقيه بأنّ تملّك مال الكافر بالنهب والسرقة جائز، ولكنّه يحتاط في مقام الفتوى احتياطاً وجوبيًّا بعدم الجواز، إذ قد تُعَدّ الفتوى بالجواز وسيلة عالمية للتشهير بالدين وعلمائه في أنّهم يحثون على ظلم

(١٤) سورة التوبة/ ١٢٢.

الآخرين وسرقة أموالهم، وهذا وهن لمقام المرجعية.

٣- ألّا تكون الفتوى سبباً لجرأة العامة على فعل الحرام، كما لو اقتنع الفقيه بأنّ الغناء بالقرآن أو الحكمة جائز، ولكنّه في مقام الفتوى يحتاط وجوباً لكيلا تكون الفتوى بالجواز وسيلة لجرأة الناس على الغناء في غير هذا المورد.

٤- ألّا تكون الفتوى على خلاف المشهور بين علماء الطائفة، كما لو اقتنع الفقيه بأنّ الكتابي طاهر، ولكنّه احتاط بالنجاسة، أو اقتنع بأنّ حلق اللحية جائز، لكنّه احتاط بالمنع؛ لأجل أنّ الفتوى بالجواز مخالفة للمشهور، ولا يعني هذا أنّ الشهرة الفتوائية حجة ودليل، وإلا لجاز للفقيه أن يفتي على طبق المشهور، بل لأنّ الشهرة الفتوائية لدى القدماء منبِّه عرفي على وصول دليل لهم على المنع لم يصل إلينا، وهذا الاحتمال كافٍ في منع الفقيه من الاطمئنان بأنّ رأيه عن حجة لاحتمال عدم استقرائه لتمام الأدلة، إذن.. فعدم فتوى الفقيه بما يراه في مقام البحث إنّما هو لملاك محبوب شرعاً كالملاكات الثلاثة السابقة، أو لعدم الاطمئنان باستكمال مدارك الاستنباط كما في السبب الرابع، مضافاً إلى أنّه لا يجب عليه الفتوى من الأساس. وقد سبق في جواب -٢٠- مزيد توضيح لتعامل الفقيه مع الشهرة.

جيم: هناك أمران لابد من الالتفات إليهما:

١- هناك فرق بين (الاحتياط في الفتوى)، و(الفتوى بالاحتياط)، فالاحتياط في الفتوى هو ألّا يفتي المجتهد بشيء، ولكنّه يكتب في رسالته (الأحوط وجوباً)، والمقصود بهذا الاحتياط أنّه وظيفة شخصية يمارسها المجتهد لنفسه في مقام الإفتاء لأحد الأسباب السابقة فكأنّه قال: أنا امتنع عن الفتوى بالجواز أو الفتوى بالحرمة احتياطاً لنفسي، والعامي ملزم بفتاوى الفقيه لا باحتياطاته الشخصية.

والمقصود بالفتوى بالاحتياط هو أن يقوم دليل اجتهادي على لزوم الاحتياط في مورد السؤال فيفتي المجتهد على طبقه ويكون العامي ملزماً به، كما لو كان الفقيه ممن يرى عدم جريان البراءة عقلاً ونقلاً في الشبهات الحكمية التحريمية، وأنّ الجاري فيها أصالة الاحتياط الشرعي المستفاد من «أخوك دينك، فاحتط لدينك» ونحوه كما في مورد الشك في حرمة الجمع بن الفاطميتين. فيفتي بالاحتياط في المقام، أو كان المورد من موارد تنجّز العلم الإجمالي، كما إذا شك المكلف في أنّ السفر للدراسة مما يجب فيه التمام لصدق العمل عليه، أو مما يجب فيه القصر لانصراف عنوان العمل للمهنة، فمقتضى منجزيّة العلم الإجمالي في المورد هو الاحتياط بالجمع بين القصر والتمام. أو قام دليل في مورد خاصّ على الاحتياط كما في موارد الشبهات الموضوعية للدماء والأعراض، حيث قام الارتكاز المتشرعي القطعي على الاحتياط فيها، ففي هذه الموارد يفتي الفقيه بالاحتياط، وعلى العامي اتباعه؛ لكون ما صدر منه فتوى لا احتياطاً في الفتوى.

إنّ بعض الفقهاء لا يجوّز الرجوع للغير حتى في بعض موارد الاحتياط في الفتوى،

وذلك في فرض قطع الفقيه بأن لا دليل على الجواز، كما لو قطع الفقيه بأن لا دليل على جواز العقد على البكر دون إذن وليها، وإنّما لم يفتِ باشتراط الإذن لسبب من الأسباب، فهو في هذا الفرض لم يصدر منه فتوى باشتراط الإذن لكنّه يقطع بخطأ من يفتي بعدم الاشتراط لقطعه بعدم الدليل على الجواز؛ وحينئذٍ فلا يجوز بنظره الرجوع لغيره في هذه المسألة التي لم يفتِ فيها؛ لأنّه من باب إرجاع العامي للجاهل لا للعالم. لكنّ ما أُفيد محلّ تأمل ونقاش مذكور في محله بلحاظ أنّ ما هو حجة على العامي فتوى الفقيه، وأما قطعُهُ بخطأ الفقيه الآخر من دون إبراز الفقيه لذلك فلا دليل على حجيته في حقّ العامي، فلا مانع حينئذٍ من الرجوع للغير لانتفاء فتوى مرجعه في هذه المسألة ❑

من جديد.. نقد الطائفية من أجل الدين والإنسان

■■ الشيخ زكريا داوود

يشكل العقل الطائفي حضوراً متواصلاً على امتداد تاريخنا وفي حياتنا المعاصرة، ليسهم من جديد في تنميط الحياة والسعي لفرض رؤية ثقافية محددة تمارسها العقول الطائفية تجاه بعضها، وعلى الرغم من كون الطائفية كمجتمع له ملامحه يعد أمراً طبيعيًّا يدخل ضمن تعدد الشعوب والقبائل والأعراق وهو جعل إلهي، إلا أن جعل التمايز الطائفي وسيلة لإقصاء الآخر أو سلبه حقوقه أو فرض ثقافة وفكر محدد عليه يكرس حالة التشرذم والتخلف في الأمة.

إن أبرز ملامح الأمم والمجتمعات المتحضرة يتموضع في تداخل الأطياف الفكرية والأعراق والطوائف الاجتماعية تحت السعي لتكريس قيم النهوض والتقدم وبناء الذات كمجموع متفاعل ومتعارف، ومع تكاثر الأعراق في المجتمعات المتحضرة وتضادها تاريخيًّا إلا أن الدولة الحديثة استطاعت أن تستفيد من تعدد المرجعيات التاريخية والفكرية للأطياف المختلفة في صنع قانون وقيم ومبادئ تحترمها كل تلك الأطياف والطوائف ليشكل ذلك مرجعية حديثة.

إن التقدم في جميع مجالات الحياة ينطلق من مبدأ أرساه الله في كتابه العزيز، وهو مبدأ التعارف بين البشر، لأنه يشكل وسيلة مهمة في تثاقف المجتمعات المختلفة وهو من أهم وسائل التغير والتطوير في أبنية الثقافة والفكر لدى الإنسان المعاصر، ولعل ثورة المعلومات وسهولة التواصل الثقافي بين المجتمعات في عالمنا المعاصر يبرز سلطة المعرفة

والتثاقف عبر الأثير في تغير الكثير من المفاهيم والآراء والقيم التي نؤمن بها.

ولكي نسهم في توعية الأمة بخطر الفكر والثقافة الطائفية التي تسعى للإقصاء وسلب حرية الآخرين وحقوقهم لابد من تعرية ثقافة الكراهية التي تستند إليها النزعة الطائفية المتفشية في أمتنا والتي تدعو للقتل والحرب والعنف انطلاقاً من مبدأ طائفي يرى الحق منحصراً في ذاته وقومه وطائفته، إذ إن هذه الثقافة لا تشكل خطراً على التعايش بين المجتمعات فحسب، بل هي تمثل خطراً على الإسلام ذاته؛ إذ تسهم في تكريس صورة مشوهة عن قيم الإسلام ومبادئه السمحة، والتي أضحت تشكل الصورة النمطية الشائعة في الغرب.

هنا لابد لنا من تبني استراتيجية واضحة تهدف إلى محاصرة ثقافة الكراهية الطائفية والقضاء على أسباب تفشيها، ولا يمكننا القيام بهذا الأمر إلا من خلال عناصر أربعة تشكل بمجموعها قواعد التحديث الاجتماعي والسياسي والديني، وهي:

تكريس مفهوم المواطنة في الحقوق والواجبات.

قد يظن البعض أن مفهوم المواطنة أمر مستحدث في ثقافتنا الدينية، وهو أمر يستبطن مغالطة واضحة خصوصاً للقارئ النبيه لتاريخنا الإسلامي، وبالأخص لمرحلة التأسيس الذي قادها رسولنا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة المنورة عندما أرسى وثيقة عرفت فيما بعد بوثيقة المدينة، والتي أرسى فيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حقوقاً ووجبات متبادلة بين أطراف المجتمع بمختلف قبائلهم وأديانهم، وجعل التناصر والحفاظ على الوحدة والتعايش بالمعروف وإقامة العدالة والقسط والتعاون الاجتماعي أسس المعاهدة والوثيقة التي ضمت المؤمنين بمختلف قبائلهم واليهود بمختلف قبائلهم وجعلتهم ينصهرون تحت وحدة اجتماعية تسعى لتطبيق تلك المفاهيم التي زخرت بها الوثيقة[1].

وفي حكومة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام والتي زخرت بالتنوع الطائفي والعرقي والديني مارس الإمام علي عليه السلام سياسة عادلة لم يفرق فيها بين أطياف المجتمع لا في العطاء ولا في الحقوق ولا الواجبات، بل انتصر حتى للنصراني كبير السن الذي رآه يستعطي الآخرين، فأمر له من بيت مال المسلمين عطية يحفظ بها كرامته، وقد أرسى في الكثير من أقواله ووصاياه حق المواطنة بغض النظر عن الدين أو الطائفة أو القبيلة أو العرق، ولعل في كلمته التي أصبحت مثلاً وقيمة اجتماعية ودينية ما يرشدنا إلى تلك السياسة الرشيدة في إدارة الأمة حيث قال عليه السلام:

(١) راجع كلمة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، للسيد حسن الشيرازي، ج ٣ ص ٢٧٢.

«الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق».

إن حق المواطنة في الإسلام يعني تساوي الأطياف الاجتماعية في كل الحقوق كالأمن والكرامة والتعليم والمال العام وحرية التعبير والاعتقاد والمساواة أمام القانون وإدارة وتنمية المجتمع، ولا يحق لأي سلطة أن تمنع المواطن مهما كانت طائفته من التمتع بتلك الحقوق التي كفلها الإسلام والشرائع السماوية كافة والقوانين والمواثيق الدولية المعاصرة.

وبقدر ما تنتقص السلطة من تلك الحقوق فإنها في الحقيقة تمارس طائفية مقيتة تولد الكراهية والعنف بين أبناء المجتمع الواحد، والسلطة بهذه السياسة تفقد مشروعيتها في تولي إدارة المجتمع، لأن قبول الشعب بسلطة ما إنما ينبع من كونها تسعى للحفاظ على وحدة المجتمع وحقوق أبنائه وتكريس مفهوم العدالة والقسط بين الناس.

بناء نظم وقوانين تكفل الحفاظ على الحقوق وتساويها:

من المهم جدًّا لبناء مجتمعات متجانسة أن تكون القاعدة القانونية التي يحتكم لها أبناء المجتمع عادلة لا تفرق بين أحد على أساس العرق أو القومية أو القبيلة أو الطائفة، وأن تكون مقنعة للجميع كونها تحفظ كرامتهم وحقوقهم ولا تكرس حالات فئوية أو طائفية اجتماعية أو دينية، وتمثل هذه القوانين ضمانة حقيقية لتكريس مفاهيم مثل المواطنة والتسامح والتعايش بين الأطياف المختلفة.

إن هذه القوانين بما تملك من احترام في النفوس وما تشيعه من ثقافة تسامح إذا كانت هناك سلطات تنفيذية وقضائية تسعى لتطبيقها والحفاظ عليها فإنها تمثل قوة ردع مهمة في تكريس حق المواطنة وردم الهوة بين أطياف المجتمع، ومثل هذه القوانين تكتسب مع الزمن الاحترام العميق في النفوس، بل ويسعى هذا المجتمع بنفسه لصيانتها والحفاظ عليها لأنه يرى فيها تحقيق مصالحه وحاجاته وكرامته.

إشاعة الحريات العامة:

تساهم أجواء الحرية في أي مجتمع وأي أمة في شيوع ثقافة قبول الآخر والتسامح والتعايش بين مختلف الأطياف والطوائف، وبقدر ما يكون المجتمع حرًّا في آرائه ومعتقداته وطريقة عيشه وأسلوب حياته، فإن ثقافة الكراهية والتطرف والتعصب والعنف تكون أقل نموًّا وانتشاراً، بل وتصبح مثل هذه الثقافة في العقل الاجتماعي العام جريمة وخروجاً عن الأطر والقوانين والأعراف السائدة في المجتمع، كونها تهدد السلم والأمن

الاجتماعي الذي يمثل فلسفة المجتمع ونظرته للحياة.

إن ثقافة الكراهية الطائفية تنمو في المجتمع الذي تسوده وتسيطر عليه سلطة طائفة محددة دون إشراك الآخرين في القرار، لتفرض رؤيتها وفكرها وعقيدتها على الأطياف الأخرى، ويمثل هذا الفرض للرأي انتهاكاً للقيم الدينية ولحقوق الإنسان وكرامته، لأن الاستبداد الذي تمارسه سلطة طائفية تجاه طائفة أخرى يستبطن رفضاً لمبدأ إنسانية الآخر وحقه في الاختيار وتبني الآراء والمعتقدات التي يراها صواباً، وهذا ما رفضته شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وهو المعنى الظاهر من قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، فإذا كان الله لا يفرض دينه على الناس ولا يجبرهم على اعتناقه فليس من حق أي سلطة أن تفرض أي رأي على أي إنسان أو مجتمع، وهنا يكون الدين والإنسان في صف واحد ضد ثقافة الكراهية الطائفية.

قيم التفاضل وتجديد الوعي الاجتماعي:

يتشكل الوعي الاجتماعي من مجموعة قيم ورؤى تسهم بصورة كبيرة في تحديد مسار الحركة الاجتماعية، وتمثل قيم التفاضل ونوعيتها محركاً مهمًّا نحو نهضة حقيقية أو زيادة في تعميق التخلف والاحتقان بين أطياف وطوائف الأمة، فإذا كانت قيم التفاضل تنطلق من الروح القبلية أو القومية أو الطائفية، فإن قيمة الإنسان تكون بانتسابه لقبيلة ما أو طائفة أو قومية ما، هنا تفقد قيم العطاء والإبداع والنهوض الحضاري أهميتها، ليتشكل وعي اجتماعي مزيف يركز على الوهم من خلال الاهتمام بالعرق أو الطائفة، وفي هذا الجو تتبلور ثقافة الكراهية والانعزال لتشكل عائقاً كبيراً أمام ثقافة وفكر التسامح والتثاقف والتعارف بين أطياف المجتمع.

أما إذا كانت قيم التفاضل بين أطياف المجتمع وطوائف الأمة تنطلق من مقولة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قيمة كل امرئ ما يحسنه»، وما يقدمه لخدمة المجتمع ورقيه وتقدمه في جميع المجالات فإن روح الطائفة سوف تركز على تطوير القيم التي تسهم في النهوض والتطور الحضاري.

وهنا يكون من الضروري إعادة تشكيل قيم التفاضل في المنظومة المعرفية للأمة، لتكون الحالة الطائفية أداة بناء وتشييد للنهضة، ولتحقيق هذا الأمر لابد من إعادة قراءة للخارطة المعرفية وتحديد الخلل فيها وسبل تحييد تلك القيم التي تشكل عائقاً أمام تحديث الفكر والمجتمع والسلطة.

إن إعادة تشكيل قيم التفاضل في وعي الأمة ضرورة حضارية ليس من أجل

الإنسان وكرامته فحسب بل من أجل الدين وتصحيح فهمه وتقديمه للعالم المعاصر بصورته الناصعة التي أرادها الله له من كونه الدين الوسط الذي يهدف لجعل الأمة شاهدة حضاريًّا على الأمم.

قال تعالى في محكم كتابه العزيز:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ □

من أمس الأمة إلى غدها..(١)

د. السيد مصطفى جمال الدين*

إلى مثيري الفتن الطائفية، نُهدي لهم هذه القصيدة الرائعة، لعلهم يفيقوا من سباتهم، وينقذوا أنفسهم من براثنها وحبائلها الشيطانية. (المحرر).

عُـــودِي لأمـسِـكِ ينطلق منـكِ الغدُ ... مـــا شـــعَّ في دَمِـــكِ النـــبيُ محمـــدُ
يـــا أُمـــةً يـبـسَ الـــزمـــانُ، وعُـــودهـــا ... ريـــانُ مـــن نبـــعِ النُبـــوّةِ أملَـــدُ
تَـــسـرِي بـأعـمـاقِ الـسـنـينِ جُـــذورُهُ ... وتَشُـــدُّ أذْرُعَـــهُ النجـــومُ فيصعـــدُ
ما ارتـاعَ مِن عَسْفِ المُحُـولِ ولا انثنى ... بيـــدِ العواصـــفِ فَرعُـــهُ المُتَـــأوِّدُ
ومُـــذْ اشـتَـكَـتْ تـلـكَ الجَـنـائِـنُ حَولَهُ ... مِمّـــا يَعيـــثُ بِهـــا الخريـــفُ الأجـــرَدُ

(١) الديوان، ص٢٣١، نشر دار المؤرخ العربي، ط١، ١٩٩٥م.

* عالم دين، شاعر كبير وأديب بارع، ولد عام ١٩٢٧م في قرية المؤمنين بسوق الشيوخ (العراق)، أكمل دراسته الدينية في النجف الأشرف، تخرّج في كلية الفقه عام ١٩٦٢م، حاز على الماجستير في الشريعة الإسلامية عام ١٩٧٢م، ثم الدكتوراه في اللغة العربية ١٩٧٩م، شارك في العديد من المؤتمرات الشعرية والثقافية الفكرية، نشر له عدة من المؤلفات منها: (القياس حقيقته وحجيته)، (الاستحسان: حجيته ومعناه)، (البحث النحوي عند الأصوليين)، (الديوان) يضم أروع أشعاره، طبع عام ١٩٩٥م عن دار المؤرخ العربي، توفي عام ١٩٩٦م، ودفن في الشام (مدينة السيدة زينب عليها السلام).

ألقى رُواءَ الهَدي بينَ غُصونِها فأفاقَ حتى الهَامِدُ المتقصِّدُ
وسَرَتْ بِها بعدَ الذُبولِ غَضَارةُ الـ ـقرآنِ، تُخَصِبُ رُوحَها، وتُوَرِّدُ
وتَطلّعتْ فإذا بسُنَّةِ أحمدٍ سُحُبٌ يَفيضُ بها النعيمُ ويرفُدُ
وإذا النُبوّةُ في الوُجوهِ نَضارةٌ والعقلُ نورٌ.. والقلوبِ تَوَدُّدُ
وإذا بصرعى الجاهليةِ في الوغى حُمَمٌ.. وفي ليلِ المَتيهَةِ فرقدُ
وإذا بمكّةَ وهي صُمٌّ جَنادلٍ سُودٍ، لمؤتلِق الكَواكبِ مَقصِدُ

* * *

عُودِي لدربِكِ لا يَصُدَّكِ أنّهُ عَسِرٌ ودربُ الآخرينَ مُعَبَّدُ
وبأنَّ أمسَكِ من متاعبِ شوطِهِ هَرِمٌ ويومَكِ، من صِقالٍ، أمرَدُ
فالمجدُ لا تَرقى إليهِ أُمَّةٌ لم يُبْنَ فيها بالضحايا مِصعَدُ
والفكرُ لم يَقْبِسْهُ يوماً خاطرٌ تَرِفُ المَجسَّةِ، من جَليدٍ أبرَدُ
عودي، لأنّ غداً طَرَقْتِ رِتاجَهُ بابٌ -بغيرِ جَلالِ أمسِكِ- مُوصَدُ
يُبنى الجديدُ على القديمِ، وخيرُ ما يبقى من النَّشَبِ الطريفُ المُتْلِدُ
ويُغورُ في النِسيانِ وَهْجُ حضارةٍ بَتراءَ، لم يَرفع سناها مَحتِدُ
سُنَنُ الحياةِ: على الرمالِ قلاعُها تَهوِي، وفي القِمَمِ المُنيفةِ تخلُدُ

* * *

يا أُمةَ القرآن لم يَذْبُلْ على شَفَتَيْكِ هذا اللؤلؤُ المتوقِّدُ
تَندى به، خَضِلَ البَيانِ، تِلاوةٌ ويَنثُّهُ، عَطِرَ الخشوعِ، تَهجُّدُ
وتشِبُّ فيهِ بالفتوحِ سَرِيَّةٌ ويَضِجُّ مِنهُ بالمعارفِ مسجدُ
ويكاد حتى الصَخرُ لو رَنِّتْ به آياتُهُ، يُصغِي لها، ويُردِّدُ
هَدَرتْ به لُغَةٌ، كأنّ حُروفَها من طِيبِ ما حَمَلتْ، شَذىً مُتَجسِّدُ
تتساءَلُ الكَلِماتُ، وهي تُقِلُّهُ: مِن أينَ هذا الفارسُ المتفرِّدُ؟!

لـلـشِـعـرِ نَـنْـسِـبُـهُ؟ ونَـعـرِفُ أنَّـه بَـوْحُ الحيـاةِ، وزَهوُهـا المُتمـرَّدُ
لـكـنّـه مـهـمـا اسـتَـطـالَ يَـظَـلُّ في حَصَـرٍ، أمـامَ شُـموخِهِ يتنهّـدُ
يـا أُمـةَ الـقُـرآنِ أَمـسُـكِ مُخصِبُ بوَرِيـفِ مـا أعطـى ويومُـكِ أَربَـدُ[٢]
مـا بـالُـكِ اسـتـدبـرتِـهِ وتَـرَكـتِـهِ يَخْتـالُ بَـين بَنِيـهِ وهـو مُصَفَّـدُ
يُـلـقِـيـهِ في حَـلَـكِ الـقـلـوبِ تَـبرُّكٌ ويُذِيبُـهُ بـين الشِـفاهِ تَعـوُّدُ
ويـكـاد يستجدي الهُـدى مِـنْ فِتْيَةٍ لـولا تَوهُّـجُ نُـورِهِ لم يهتـدُوا

* * *

يـا أمّـةً بَـهَـرَ الخُـلـودُ لِـداتِـهـا فيمـا أَقـامَ بهـا البُنـاةُ وشَـيّدوا
وتَـأنَّـقَ الـتـاريـخُ في خُـطُـواتِـهِ يجلـو بهـا مـا شَـرَّعوهُ وقَعّـدوا
الـعـدلُ أُسٌّ.. والـعُـلـومُ فريضةٌ والحُكـمُ شـورى.. والسياسـةُ سُـؤدَدُ
والـنـاسُ عـنـد وُلاتِـهـا وقُضاتِها شَـرَعٌ.. سـواءٌ عبدُهـم والسـيّدُ
والأرضُ أرضُ اللهِ لا (كسـرى) بها يَهِـبُ الحيـاةَ، ولا (هِرَقْـلُ) يُسـعِدُ
و(محـمـدٌ) عُـرُشُ المَـمـالـكِ دونَـهُ قَـدراً، علـى خَشِـنِ الحَصِـيرة يرقُـدُ
و(عليٌّ) ذو الثَوْبينِ يَكسوا (قمبراً) أغلاهُمـا ولـه الرخيـصُ الأجـرَدُ
و(الـراشِـدونَ)، خـلائِـفـاً وأئِـمـةً، مـا بـين أقـدام الرَعيّـةِ أعبـدُ
حتى إذا فَتَحوا الفُتوحَ، وأَسرَجوا الـ ـدنيـا، فَضَـاءَ بهـا الزمـانُ الأسـودُ
وزَهَـتْ بـوَهْـجِ ذُبـالـةٍ في (يَـثـربٍ) غُـرَفٌ بأعلـى (طاشَـقَنْدٍ) هُجَّـدُ
أَلـفـيـتُـنـا يحـدو طـلائـعَ ركـبِـنـا تَيْـهٌ، ويَغمرُهـنْ ليـلٌ سَـرمَدُ
وتـشـعَّـبـتْ طُـرُقُ المَـتِـيـهِ: فَـشـرَّقَ الـ أعمـى.. وغـرَّبَ في دُجـاهُ الأرمـدُ

* * *

يـا أُمّـةَ الإسـلامِ وِقْـفَـةَ حـائـرٍ تَزِنِيْـنَ فيهـا: مـا يُرِيـحُ.. ويُجهِـدُ

(٢) أَربَد: مقحِط.

عـودي لأمسِكِ تركبي طُـرُقَ الهدى ... فـالأرضُ سَـهْلٌ، والركائـبُ حُشَّـدُ
وأمـامَ عَـينِـكِ حـاضِـرٌ متقـدَّمٌ ... فيـه مـن الرَّشَـدِ الوفـيرُ الأجـوَدُ
فـتخـيّري مـا تَـشـتـهـينَ، وجَـدِّدي ... هِمَمـاً تـكادُ مـن التَغـرُّبِ تهمُـدُ
وتـعـدّدي طُـرُقـاً فـلا تُـوهِـي السُّرى ... سَـعَةُ (المذاهِـبِ) والمـدى مُتوحِّـدُ
فـالـرأي تَـصـقُـلُـهُ الـعـقـولُ، تَخالَفَتْ ... نَظَـراً، وقـد يُصدِيـهِ عقـلٌ مُفـرَدُ
والخـوفُ لـيسَ بـأن نـكـونَ مَنائِراً ... شـتّى، تُضِـيءُ لنـا السـبيلَ وتُرشِـدُ
الخـوفُ أن يُـبْـنى فـريـقٌ مُـسـلِـمٌ ... بحُطـامِ آخـرَ، مِثلَـهُ، يتبـدَّدُ!
والخـوفُ مـن لُـقيـا عَـدوِّكَ شَـاهِـراً ... لأخيـكَ صـارِمَ حِقـدِهِ فتُمجِّـدُ!!
والخـوفُ أنَّ (الـعُـنـصـريّـةَ) هَوَّمتْ ... زَمَنـاً.. فأيْقَظَهـا الـدمُ المُسـتورَدُ
والخـوفُ أنّ (الـطـائِـفـيّـةَ) تَبتني ... أعشاشَـها بـيَنَ العُقـولِ فتحمَـدُ
ونَـطـيرُ أسـرابـاً نُـرفـرِفُ حولَها ... ونَعُـبُّ فَضْـلَ دمائِنـا.. ونُغَـرِّدُ

* * *

يـا قـومُ حَسبُكمُ الـتفـرقُ في المـدى ... فالليـلُ طـاغٍ، والضَيـاعُ مُعربِـدُ
والـطـائـفـيّـةُ -وهـي أسـوءُ مـا سعى ... أعداءكـم فيـه- تُصـانُ وتُعضَـدُ
ويـكـادُ (رَمـزُ الطائفيّةِ) -وهـو مَنْ ... تَـدرونَ بُغضـاً للتديّـنِ- يُعبَـدُ
مـا انْـفَـكَّ يَـلـمِـزُ مِـنْ ذُرى أحسابِنا ... حَنَقـاً، فَـ(يُعجِمُنا) لكـم أو (يُهنِدُ)[٣]
نحـنُ الـعـراقُ شُـمـوخُـهُ وإبـاؤهُ ... وكـريمُ مـا أعطـى بنـوهُ وأنجـدوا
عُـرُبٌ تـكـاد عُـروقُـنـا -ممّـا بها ... مـن (دارِمٍ) و (مجاشِـعٍ)- تتفصَّـدُ
وجـرى بنـا الإسـلامُ سَـيْـلَ حضارةٍ ... وتَمَـدُّنٍ، يُرغـي هُـداهُ ويُزبِـدُ
وامْـتـدَّ وَهْـجُ (الـقـادسـيّـةِ) مـن دِما ... آبائِنـا.. حـتى (الشُّـعَيْبَةِ) يَشـهَدُ[٤]

(٣) إشارة إلى ما كتبه النظام البائد عن شيعة العراق مرةً بأنهم عجم إيرانيون، ومرةً بأنهم هنود جاء بهم محمد بن القاسم لما فتح الهند.

(٤) القادسية المعركة المعروفة بين الإسلام والفرس. والشعيبة المعركة بين المسلمين والإنكليز، وكلاهما في العراق.

أَتــكــونُ مِـحـنَـتُـنـا؛ لأنَّ قلوبَنا ... مــن نَبْــعِ آلِ محمــدٍ تَتَــزوّدُ؟!
ويــكــون عُـــذرُ بــني أبـيـنـا أنّـهـم ... خُدِعــوا ببــارقِ مــا يَقــولُ فأرعــدوا؟
هَـبْـكُـمْ صَـدَقْـتُـمْ مـا تَـنـطَّـعَ فيه من ... حَــرقِ اليهــودِ مُنافــقٌ مُتَهــوِّدُ
أفـتـسـكـتـونَ، وقــد أحـــالَ خرائباً ... مَثــوى الأئمــةِ، جيشُــهُ المستأسِــدُ
حـتى كـأنّ بـكـربـلاءِ (حـائـط المبكى) ... وفي النجــف (الكِنيسِــتُ) يُعقَــدُ!!

* * *

العولمة الثقافية

الشيخ عبد اللطيف الشبيب*

العولمة والعولمة الثقافية

ندخل هذا العام[1] ما اصطُلح على تسميته بـ(الألفية الثالثة)، والمعلم البارز في هذه الألفية الذي جُعل عنواناً لها هو: (النظام العالمي الجديد)، أو ما اصطُلح على تسميته بـ(عصر العولمة).

حريّ بنا أن نقف قليلاً على معالم هذه الألفية، وعلى موضوع العولمة؛ لنرى أنفسنا في أيّ زاوية نعيش من زوايا خارطة هذا العالم؟، وما الذي يُراد لنا؟، وما الذي يُخطط لنا أو علينا؟؛ حتى نقف على أرض صلبة لنتجاوز من خلال هذه الوقفة معالم هذا التيه الذي

* عالم دين، مختص بالشأن القرآني، أستاذ الدراسات العليا في حوزة القائم العلمية - السعودية.
ولد عام ١٣٨٤هـ، التحق بحوزة القائم العلمية في طهران، وأخذ علومه ومعارفه على يد جملة من فضلاء الحوزة العلمية في طهران، وسوريا، نذكر منهم: الفقيه العارف آية الله السيد محمد كاظم المدرسي، المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي (خارج الفقه والأصول)، آية الله الشيخ محمد علي الفاضل (خارج الأصول)، آية الله الفقيه السيد عباس المدرسي.
توفي العلامة الشبيب، في العام ١٤٢٢هـ، مخلفًا تراثًا علميًّا وفكريًّا، صدر له العديد من المؤلفات نذكر منها: (قبساتٌ من حياة الزهراء، الموت بصائر وأحكام، الصوم آدابه وأحكامه، المثقف وأمانة الكلمة)، كما صدر له (بصائر من التشريع الإسلامي) في أربعة مؤلفات بالاشتراك مع الشيخ محمد العليوات.

(١) ألقي هذا البحث في بداية عام ٢٠٠١م.

تعيشه الأمة الإسلامية.

حريّ بنا أن نقف عند موضوع رئيس في موضوع العولمة وهو موضوع العولمة الثقافية.

قد يقول قائل: لماذا الحديث عن العولمة الثقافية تحديداً؟، لماذا ننأى بأنفسنا عن الحديث عن العولمة السياسية أو الاقتصادية؟، وهل العولمة الثقافية إلا جزء من منظومة عامة تشمل السياسة والاقتصاد والثقافة؟.

الحقيقة: أنّ العولمة الثقافية هي النافذة الأهم في موضوع العولمة، وهي الخطر الأشد، إذ إنّها هي مفتاح العولمة السياسية والاقتصادية.

قبل أن تكون هناك عولمة سياسية أو اقتصادية ينبغي أن تكون هناك عولمة على صعيد الفكر والثقافة، وما لم يُخترق هذا الجدار في أيّ أمة من الأمم، ما لم تُستلب هذه الأمة ثقافتها وفكرها، فلن يكون هناك مدخل اقتصادي أو سياسي.

العنوان الأساسي في العولمة والخطر الذي ينبغي أن نتنبّه إليه هو الموضوع الثقافي تحديداً.. الموضوع الفكري.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الحضارات لكي تبقى قوية، ولكي تبقى صامدة، ولكي تبقى في مراكز الصدارة ينبغي لها أن تحارب عدوًّا ما.

إذا كان هناك عدو حقيقي للحضارة فبها، وإلا.. فمن عادة القائمين والمنظّرين لهذه الحضارة أن يخترعوا عدوًّا لهم، لكي يفلسفوا ويبرّروا حربهم تجاه الآخر.

بالأمس القريب كانت (المنظومة الشرقية) بالاصطلاح أو (الشيوعية) باصطلاح آخر هي العدو الواضح للمنظومة الغربية، وبالتالي كان الغرب طيلة عقود ممتدة يفترض في الشرق بشقه الشيوعي عدوًّا برّر هذا الكم الهائل من الإنفاق على التسلح وعلى حرب النجوم وعلى.. وعلى... وعلى.....، بلحاظ أنّ هناك عدوًّا حقيقيًّا.

اليوم وبعد انهيار هذه المنظومة تتوجه أنظار هذا العالم الغربي إلى العدو الجديد باصطلاحهم أو العدو الأخضر باصطلاح آخر، فبعد أن فرغوا من العدو الأحمر تفرّغوا وانصبت جهودهم لمحاربة العدو الأخضر ألا وهو الدين الإسلامي.

وسواء أكان الدين الإسلامي -حقيقة- يشكل عدوًّا لهذه المنظومة أم لا يشكل، فإنّه يُراد من هذه الحرب أن تخلق عدوًّا تتوجه الجهود نحوه، وتتحفز القوى الداخلية في الذات الغربية باسم مواجهته، مهم عندهم أن يخترعوا عدوًّا لكي يبقوا، ولكي يبرروا حربهم الجائرة على هذا الدين. لكي يبرروا هذا الإنفاق وهذا التدخل وهذه العنجهية لابدّ أن يفترضوا أنّ الدين الإسلامي عدو لهم.

ومن ثمّ نحن كمسلمين لا نعيش كما يتهمنا البعض (عقدة المؤامرة)، وأنّ الآخرين

يتآمرون علينا ادعاءً فارغاً لا حقيقة له.

هذه حرب واضحة، وهذا عداء حقيقي يمتدّ من عصر الحروب الصليبية إلى يومنا هذا.

لا يمكننا أن ننام ونسلّم جدلاً أنّ الآخر يحترم هذا الدين، وأنّ الآخر يريد لهذا الدين أن يتعايش معه.

وقد يقول البعض: ها هم أرباب الحضارة يشيدون بهذا الدين، ويفخرون بوجود أقلية تنتمي لهذا الدين بين ظهرانيهم، لكنّي أقول: هذا وجه واحد من وجوه القضية.

هناك عدة مظاهر تنبئ عن أنّ هذا الدين يشكل بالنسبة إليهم عدوًّا يحتاج إلى المحاربة، وحين تُطرح قضية العولمة ويُطرح النظام العالمي الجديد ليس هناك ما يقارع هذا النظام العالمي، وليس هناك من سدّ يقف أمام نظام العولمة الجديد سوى هذا الدين بما يحمل من فكر، وبما يحمل من رؤى، وبما يحمل من حضارة، هو المرشح لكي يكون سدًّا أمام هذا النظام الجديد، ومن ثمّ لابدّ من أن يتنبّه له القائمون على هذا النظام.

كيف تتحقق العولمة الثقافية؟

باعتبار أنّ البحث في هذا الموضوع متشعب وطويل؛ سوف أقتصر -هنا- على بعض النقاط التي تشكّل مدخلاً لتحقيق العولمة الثقافية، والتي ينبغي علينا أن نتنبّه لها لكي نفهم الخطوات التي من خلالها يريد الآخر صياغة العالم الجديد، العالم الجديد الذي يشبِّهه بعض المفكرين بالأعور الدجال الذي لا يرى إلا شيئاً واحداً، الذي يريد العالم على سمت واحد، وعلى طريقة واحدة، يريد أن يصهر العالم بكلّ ثقافاته وبكلّ أفكاره؛ لكي يكون فكراً واحداً، ويا ليته يكون الفكر الأصح، إنّه فكر القوي، فكر المهيمن، وبالتالي لن يكون في هذا العالم ساحة ولا وجود إلا لمن يحمل قوة في نظرهم، ولعلّ قوة هذا الدين تكمن في داخله، تكمن في صلابته، تكمن في ثقافته، تكمن في أنّه الدين الخاتم باعتبار أنّ النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو النبي الخاتم.

هناك مجموعة معالم لتحقيق العولمة الثقافية، منها:

١- تشكيك المنتمي بأصول الدين وثوابته:

أول المعالم في موضوع العولمة الثقافية وكيفية تحقيقها على هذا الصعيد هو تشكيك كلّ منتمٍ لهذا الدين بأصول هذا الدين وثوابته، ونظرة بسيطة إلى الإعلام في هذه السنوات المتأخرة تجد أن لا شغل لهذا الإعلام بأجهزته وأقنيته الفضائية سوى

التشكيك في ثوابت هذه الأمة وفي أصولها، طبعاً بلسان قد يقبله البعض، بطريقة قد تنطلي على كثيرين، لكنّ المراد من هذه الطريقة أن يشكك المنتمون لهذا الدين في أصولهم وفي ثوابتهم بحيث لا تعود هناك ثابتة خارج الجدل وخارج النقاش، وذلك تحت عنوان (البحث الحرّ)، وتحت عنوان (الرأي والرأي الآخر)، وتحت عناوين معسولة متعددة.

وإذا كان معاوية قد قال يوماً: «إنّ لله جنوداً من عسل»[٢]، فهذا هو الجندي الجديد والعسل الجديد الذي من خلاله تُطرح هذه القضية.

هذا الإعلام بهذه الطريقة يريد أن يشكك هذا المجتمع وهذه الأمة بثوابتها.

أنت داخل هذا المذهب كمنتمٍ لمذهب أهل البيت عليهم السلام بدأتَ تسمع عن كثير من الأفواه حتى البعض الذي يدَّعي انتماءً لهذا المذهب، بدأتَ تسمع تشكيكاً في كثير من الثوابت، متى كنا نسمع تشكيكاً في ثابتة كالإمامة داخل المنظومة الشيعية؟!، وكيف يدّعي أحد أنّه شيعي وهو يشكك في هذه المفردة العظمى التي على أساسها يقوم مذهب أهل البيت؟!.

يأتي لنا شخص من آخر الدنيا ليتحدث عن مذهب جديد تحت عنوان (المذهب الأحد عشري)، كأنّ المذاهب بالاختراع، وذاك يشككنا في وجود الإمام الغائب، وآخر يشكك في النصّ على أمير المؤمنين، وثالث يشكك في العصمة، وهكذا دواليك...، فلا تبقى مفردة ولا ثابتة من ثوابت هذا المذهب، بل من ثوابت هذا الدين إلا وهي عرضة للنقاش والجدل من جديد.

ويا ليتها تُطرح بصورة علمية وفي الأماكن العلمية التي تناسب البحث، بل تطرح في كلّ مكان وفي كلّ زمان، بحيث يشكك كلّ ضعيفِ نفسٍ وضعيفِ معتقدٍ بمبدئه وفكره.

الخطوة الأولى لكي تنتمي لهذا العالم الجديد بثقافته ومنظومته الجديدة عليك أنت أن تشكك في ثوابتك، كيف تستطيع أن تتعايش مع ثقافة الوافد وثقافة الآخر وأنت تمتلك ثقافة بهذه الرصانة، وأنت تمتلك فكراً بهذه القوة؟!.

الخطوة الأولى إذاً أن نشكك في ثوابتنا وأصولنا، ولا نعني هنا بـ(الشك): الشك العلمي والمنهجي الذي يقوم على أسس وثوابت علمية وضمن الحوارات العلمية، فذلك بداية اليقين، أما الشك الذي يُشاهَد على هذه الأقنية وفي أجهزة الإعلام فهو شك يُراد منه تشكيك المنتمين لهذا الدين وهذا المذهب بأصولهم وثوابتهم، بحيث لا تكون هناك مفردة

(٢) الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م). معجم البلدان. ط١. بيروت/ لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. المجلسي، العلامة محمد باقر (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م). بحار الأنوار. ط ٤. بيروت/ لبنان: مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

أو فكرة خارج الجدل، فكلّ شيء قابل أن يكون أو لا يكون.

على أيّ أساس تريد أن تتكئ هذه الأمة في نهضتها إذا كانت لا تمتلك ثوابت تنطلق على أساسها؟!، ما الذي يشكل مقياس حضارة الأمة وفكرها وثوابتها إذا كانت كلّ ثوابتها عرضة للجدل وعرضة للنقاش؟.

٢- إقصاء الدين من دوائر التشريع والتقنين:

النقطة الثانية في الحديث عن العولمة والنظام العالمي الجديد هي إقصاء الدين من دوائر التشريع والتقنين في البلاد الإسلامية، بغرض ألّا يكون لهذا الدين وجود قانوني، ولعلّنا أشرنا في غير مكان إلى حركة الأحوال الشخصية في كثير من بلاد العالم الإسلامي، تلك الحركة التي تريد أن تطرد هذا الدين من دائرة التشريع في الأحوال الشخصية التي تمثل المعقل الأخير الذي بقي هذا الدين محافظاً فيه على دائرة التقنين والتشريع.

تحت عنوان من العناوين يُطرح في لبنان موضوع الزواج المدني، لبّ الزواج المدني هو إقصاء الدين سواء كان ديناً مسيحيًّا أو إسلاميًّا عن دائرة التشريع الشخصي، بحيث يتزوج المسلم من يشاء، وتتزوج المسلمة من تشاء.

في فترة من الفترات قبل سنة أو سنتين أُثير موضوع الزواج المدني، ثمّ أُقيم بعدها احتفالٌ عامٌّ في القاهرة بمناسبة مرور مئة عام على تحرير المرأة العربية بلحاظ قاسم أمين، وفي الفترة نفسها في القاهرة وفي المغرب يُطرح من جديد موضوع قوانين الأحوال الشخصية وإرادة تبديلها، بالإضافة إلى موضوع الخلع، وموضوع خروج المرأة والسفر، إلى غير ذلك.

المهم أنّها نوافذ تُفتح لكي يُلغى الدين كقانون وتشريع من دائرة الأحوال الشخصية، وإذا أُبعد الدين عن هذه الدائرة التي حتى المستعمر للبلاد الإسلامية لم يستطع إقصاء الدين منها؛ فذاك يعني أنّهم استطاعوا أن ينالوا في زمن السلم ما لم يستطيعوا نيله بالحرب والسلاح!!.

اليوم هناك محاولة من كثير من الأقليات المسلمة في البلاد الغربية لكي تُحكم في دائرة الأحوال الشخصية بقانون الإسلام، وإذا بنا نرى في كثير من الدول الإسلامية محاولات من البعض للحاق بركاب وقطار العولمة؛ لإلغاء الدين عن دائرة التشريع والقانون والأحوال الشخصية، فما الذي سيبقى لهذا الدين؟!.

إذا كان الدين في الإطار الشخصي مغيّباً لا يحكم الإنسان في حركته الشخصية، فهل سيُطالب بحكومة الدين في موضوع الاقتصاد أو في الموضوع المجتمعي بصورة عامة.

هي أيضاً خطوة أخرى لكي يفرّغ هذا المجتمع وهذه الأمة من انتمائها لهذا الدين.

العنصر الذي يربط كثيراً من الناس حتى غير المتدين بهذا الدين هو التزامه بالأحوال الشخصية وقانون الأحوال الشخصية الديني، فإذا فُرِّغ هذا من الأمة فلن يبقى رابط يربط الناس بدينهم.

٣- استلاب الذات:

الثالث من معالم العولمة الثقافية هو: استلاب الذات، وهو أمر أشار إليه كثير من المفكرين قبل ثلاثين عاماً.

لكي تلتحق بالآخر لابدّ من أن يسحق ذاتك، لابدّ له من أن يفرّغك عن إرادتك، لابدّ أن يسلبك هذه الذات.

كثير من المفكرين في الشرق الآسيوي كان يحذّر هذا الشرق من قضية اللباس، ويشير إلى أنّ الخطوة الأولى لاندماجنا مع الآخر هو لباسنا.

المسيحية حين دخلت الشرق الآسيوي كان عنوان الدخول هو لباس المنتمي، البوذي له لباس يخصّه، والذي اندمج مع الحضارة المسيحية له لباس يخصّه، ثمّ تنتقل خطوة أخرى إلى الأكل والشرب.

اليوم يتدخل الآخر حتى في طريقة أكلنا وشربنا، لم يكتفوا أن نلبس كما يلبسون، بل تدخلوا حتى في أكلنا، وأرادوا أن نأكل كما يأكلون!!، فإذا بك تُبتلى بمطاعم الوجبات السريعة (بالمكدونالدز، والبرجر، والبيتزا هت)، إلى كلّ هذه المفردات؛ لكي تكون مستهلِكاً جديداً ضمن دائرة الآخر.

من هنا يُؤتى..، لكي تكون ملتحقاً بقطار العولمة، لابدّ أيضاً أن تلبس كما يلبسون، وأن تشرب كما يشربون، وأن تستهلك مما يستهلكون، لباسك هذا سيكون عيباً عليك في ظلّ هذا النظام العالمي الجديد، أكلك هذا سيكون عيباً.

في كثير من البلاد الإسلامية أيام الاستعمار حورب الاستعمار بالأكل والشرب واللباس؛ لأنّه كان يدلّ على إرادة الأمة وإرادة الناس، أما الطريق الأول للانتماء للآخر فكان عبر الأكل والشرب واللباس.

في فترة من الفترات كان بعض فقهائنا يفتي بحرمة لبس (الكربات)، والسبب أنّه يدخل تحت عنون (التشبّه)، وعنوان التشبه أساساً ما جاء به هذا الدين إلا لكي يحفظ لهذه الأمة هويتها، ولكي تكون هذه الأمة متميزة.

إذا كانت الأعاجم -بتعبير النبي ﷺ- تقوم لسادتها وكبرائها، فإنّ الرسول ﷺ ينهى في وقت من الأوقات أن يقوم الناس له، ويقول: «لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ»[٣].

إذا كان هذا اللباس مؤشراً وعنواناً على انتمائي للآخر يجب عليّ أن أرفض هذا اللباس، إذا كان استهلاكي لهذه السلعة يعني بُعدي عن محيطي وعن أمتي وعن انتمائي، وانتمائي للآخر؛ ينبغي لي أن أرفض هذا اللباس وهذا الأكل وهذا الشرب.

الآخر يريد أن يسلبك ذاتك، بحيث لا تستشعر في ذاتك أيّ قوة، ولا تعود ترى لنفسك شيئاً في مقابله هو، فيرى الواحد منا نفسه ريشة في مهبّ الريح تتقاذفها أفكار الآخر وطرق الآخر وإرادة الآخر، تارة بالعنوان العسكري، وأخرى بالعنوان السياسي، وثالثة بالعنوان الاقتصادي، لكنّ المهم ألّا يدخل الآخر إلى هذه الذات فيسلبني وإياك ذواتنا.

٤- الربط بين العولمة الثقافية والعولمة السياسية والاقتصادية:

الرابع من هذه النقاط حين يربط الآخر بين موضوع العولمة الثقافية والعولمة السياسية في العولمة الاقتصادية.

لا نشكك هنا في خطر العولمة السياسية والاقتصادية، لكن نقول: إنّ المدخل لبعدي عن هذه الأمة وانتمائي للأمة الأخرى هو الثقافة والفكر، ولكي يستقطبك الآخر إلى ثقافته وفكره يلج إليك من باب السياسة والاقتصاد، فأنت لا شيء سياسيًّا، وأنت لا شيء اقتصاديًّا إذا لم تلتحق بركاب العولمة في طرفيها السياسي والاقتصادي، وبالتالي -وحسب تعبير بعض الكتاب السعوديين، مع الأسف الشديد- لا يمكننا أن نلتحق بقطار العولمة سياسيًّا واقتصاديًّا ما لم نلتحق به ثقافيًّا.

الثقافة في هذا النظام العالمي الجديد عادت في أذهان كثير من الناس جسراً لاقتصاد السوق الحرة وللسياسة بثوبها الجديد.

الآخر يريد أن يربط صندوق النقد الدولي والقات (الكات) وغيره.. بالثقافة، يريد أن يفرض على كثير من الأمم أنّه ما لم تلتحقوا ثقافيًّا لن تلتحقوا اقتصاديًّا، ولن تلتحقوا سياسيًّا، ولكي يقرض صندوق النقد الدولي دولة من الدول شيئاً يفرض عليها مجموعة من الشرائط التي تعود في النهاية إلى تدخل سياسي بل ثقافي في إرادة تلك الدولة.

بينما قد لا يكون هناك أيّ ربط بين العولمة الثقافية من طرف، والعولمة السياسية والاقتصادية من طرف ثان، ويستطيع الإنسان أن يستفيد من منجزات العولمة السياسية والاقتصادية دون أن يتنازل عن ثقافته وفكره ومبادئه.

إذاً هي خطوات أربع قد تكون الأهم، لا أعني بذلك حصر طريقة العولمة الثقافية في

(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار ١٦/ ٢٤٠، الباب ٩، ذيل الحديث ٣٤.

هذه النقاط الأربع، لكنّها قد تكون النقاط الأهم في سياق إرادة الآخر لصياغة هذا النظام العالمي الجديد، وفي سياق إرادة الآخر لسحق إرادة هذه الأمة وهذا الدين، لكي يعود المنتمون لهذا الدين ولهذه الأمة مجرد أشخاص يقتاتون على فتات ما يريده الآخر، والخطر كلّ الخطر من أن تُمحى من ذاكرتنا ثقافتنا وثوابتنا بحيث لا نعود متكئين على شيء في مقابل الآخر، فيسلبنا الآخر إرادتنا وذاتنا.

كيف نقاوم العولمة الثقافية؟

كيف نستطيع مقاومة هذه العولمة الثقافية؟، وما الذي يمكن أن نصنعه في مقابل هذه النقاط التي تراد لهذه الأمة؟.

١- نشر ثقافة الذات (الإسلام):

إنّ هذا الدين هو خاتم الأديان ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾[٤]، والله -جل وعلا- تكفل بأن يظهر هذا الدين على الدين كلّه، وبالتالي شئنا أم أبينا، أردنا أم لم نرد، وقفنا إلى جانب هذه الفكرة أم لم نقف، هذا الدين سيظهر، فخير لنا أن نكون ممن يُظهر الله به دينه، من أن نكون ممن يرتد على عقبيه -والعياذ بالله-، ولن يضرّ الله شيئاً.

الذي يرتد عن هذا الدين -والارتداد أطياف وأنواع- لن يضرّ الله شيئاً، ولن يضرّ هذا الدين من شيء، فالله -جل وعلا- سيُظهر هذا الدين، وسيمكّن هذه الثقافة، وسيمكّن هذا الفكر لكي يحكم العالم.. اليوم أو غداً أو بعد غد، و«إنّ غداً لناظره قريب»[٥].

إذا لم يظهر هذا الدين على الدين كلّه على أيدي المؤمنين بالإمام الغائب، فسيظهره الله -جل وعلا- على يدي الإمام الغائب ذاته، فخير لنا أن نكون ممن يلتحق بهذا الإمام في غيبته لكي نكون مؤهلين للالتحاق به في ظهوره -عجل الله فرجه-.

٢- التفريق بين عولمة الثقافة وثقافة العولمة:

النقطة الثانية في سياق مقاومة العولمة الثقافية هي: أن نفرّق بين (عولمة الثقافة) و(ثقافة العولمة)، فالآخر يريدنا أن نمزج هاتين المفردتين، ويقول لنا: لكي تستفيدوا من ثقافة العولمة عليكم أن تقرّوا بعولمة الثقافة.

وقد ذكرنا في النقطة الرابعة من إجابتنا على سؤال (كيف تتحقق العولمة الثقافية؟)،

(٤) سورة التوبة/ ٣٣.

(٥) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ/ ١١٢٤م). مجمع الأمثال. تحق: محمد محيي الدين عبد الحميد. د ط. د ب. د ن، د ت.

أنّ الغرب يسوّق علينا أنّ العولمة السياسية والاقتصادية لا تتحققان دون العولمة الثقافية، وأنّ الإنسان لا يمكن أن ينخرط في العولمة السياسية والاقتصادية ويستفيد من معطياتهما ومنجزاتهما ما لم يلج فضاء العولمة الثقافية!!

والحقيقة أنّهما أمران منفصلان، يمكن للإنسان أن يستفيد من ثقافة العولمة، ومن مفردات العولمة، ومن إنتاجيات النظام العالمي الجديد، لكنّه في الوقت ذاته محتفظ بخصوصيته.

يمكن أن تركب السيارة، لكنّك لست مضطراً أن تلبس مما يلبسون، ولا أن تأكل مما يأكلون، تستطيع أن تحتفظ بخصوصياتك في الفكر والثقافة والدين، وتأخذ من إنتاجيات الحضارة الجديدة والوافدة ما يتلاءم مع هذا الدين ومع هذه الثقافة.

ليس هناك تضاد بين إيماننا بخصوصياتنا وثقافتنا وديننا وبين إيماننا بأنّنا نستطيع الاستفادة مما يفد علينا.

٣- العودة إلى المصدرين الأساسيين لثقافة الأمة:

لكي نخرج من هذا التيه، ونستطيع الوقوف على أرجلنا في مقابل هذه الحملة الجديدة، ولكي نحتفظ بخصوصيتنا في ظلّ نظام يريد أن يعصر الجميع ضمن ثقافة واحدة؛ علينا أن نعود بجد وصدق إلى المصدرين الأساسيين في منظومة ثقافة هذه الأمة، ونعني بذلك كتاب الله وعترة نبيّه عليهم السلام. الثقلان اللذان خلفهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثقل نزل عليه يوم مبعثه الشريف، وثقل خلّفه يوم وفاته صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «إِنِّي مُخْلِفٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ الْقُرْآنُ وَالثَّقَلُ الْأَصْغَرُ عِتْرَتِي، وَأَهْلُ بَيْتِي هُمَا حَبْلُ اللهِ مَمْدُودٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا»(٦)، لن يكون لنا خلاص دون هذين الثقلين.

لن تكون هذه الأمة قادرة على الوقوف في وجه الآخر ما لم تستنبط ثقافتها، وتتكئ اتكاء حقيقيًّا وصادقاً على هذين الثقلين، ومع الأسف الشديد فالأمة منذ وفاة نبيّها صلى الله عليه وآله وسلم لم ترعَ حقوق الله في هذين الثقلين، أما الثقل الأكبر فحُرِّف، ولا يُعنى بذلك: التحريف المصطلح، أي (التحريف اللفظي) لآيات القرآن الكريم ومفرداته وجمله، فالقرآن الكريم مصون من التحريف اللفظي، لم يزد فيه حرف، ولم ينقص منه حرف، ولم يتغيّر فيه حرف، إنّه خال من التحريف اللفظي بوجوهه الثلاثة: الزيادة والنقيصة والتغيير، وإنّما يُعنى أن يُقرأ شيء ويحرّف معناه إلى شيء آخر (التحريف المعنوي)، وهو نوع من التحريف. والثقل الأصغر ظُلموا منذ اليوم الأول لوفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا تزال ظلامتهم إلى يومك هذا.

(٦) بحار الأنوار ٨٩/ ١٠٢، الباب ٨، ح ٨٠.

بالأمس القريب تطالعنا إحدى المجلات عن تحقيق حول الروح التي تدبّ في هذه الأمة، وتجعل من بعض غير معتنقي مذهب أهل البيت يدخلون إلى مذهب أهل البيت؛ لأنّهم وجدوا فيه صدق الانتماء، لا لأنّهم يعيشون حالة إحباط من عالمهم الذي يعيشون فيه، ولا لأنّهم -كما يعبّر رئيس جبهة علماء الأزهر- لا يفرقون بين السماء والعماء، فقد التفتوا إلى أنّ هذا الدين من هنا يؤخذ، فلا يوجد دين صحيح أو علم صحيح إلا وخرج من هذا البيت، فليذهب الحكم يميناً وشمالاً، فالرسول صلى الله عليه وآله فارق هذه الأمة جسماً وأودع فيها هذين الثقلين؛ لكي تكون آمنة يوم القيامة بعد أمنها في الحياة الدنيا.

في الحديث عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ فِي زَمَانِ هُدْنَةٍ، وَأَنْتُمْ عَلَى ظَهْرِ السَّفَرِ، وَالسَّيْرُ بِكُمْ سَرِيعٌ، فَقَدْ رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ وَيَأْتِيَانِ بِكُلِّ مَوْعُودٍ فَأَعِدُّوا الْجَهَازَ لِبُعْدِ الْمَفَازِ.

فَقَامَ الْمِقْدَادُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا دَارُ الْهُدْنَةِ؟. قَالَ صلى الله عليه وآله: دَارُ بَلَاءٍ وَانْقِطَاعٍ، فَإِذَا الْتَبَسَتْ عَلَيْكُمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ. مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ، وَهُوَ الدَّلِيلُ يَدُلُّ عَلَى خَيْرِ سَبِيلٍ، وَهُوَ كِتَابُ تَفْصِيلٍ وَبَيَانٍ وَتَحْصِيلٍ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، وَلَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، فَظَاهِرُهُ حِكْمَةٌ وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ، ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَهُ نُجُومٌ وَعَلَى نُجُومِهِ نُجُومٌ، لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ وَلَا تُبْلَى غَرَائِبُهُ، فِيهِ مَصَابِيحُ الْهُدَى وَمَنَازِلُ الْحِكْمَةِ، وَدَلِيلٌ عَلَى الْمَعْرُوفِ لِمَنْ عَرَفَهُ»(٧).

ومحلّ الشاهد في هذا الحديث أنّنا في دار البلاء والانقطاع والتباس الفتن ينبغي أن نأخذ بالقرآن، ونتمسك به.

إلى غير ذلك من الروايات التي تؤكد على وجوب التمسك بالكتاب، إذا التبست علينا الأمور، وعشنا هذه الأهوال التي في واقع الأمر يكاد الإنسان إذا أخرج يده لم يكد يراها؛ لأنّه يعيش في ظلمات فوقها ظلمات: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾(٨).

علينا أن نقف فيه وقفة صادقة لنرى مدى تمسّكنا بكتاب الله، وبالعترة التي تشكل التطبيق الحقيقي والقدوة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾(٩).

(٧) بحار الأنوار ٨٩/ ١٧، الباب ١، ح ١٦.
(٨) سورة النور، آية: ٤٠.
(٩) سورة الممتحنة، آية: ٦.

وختاماً، أتمنى أن يوفقنا الله لإشاعة علوم القرآن التي نرجو من الله -جلّ وعلا- أن تكون شعلة في هذه البلاد تنير الطريق أمام الأجيال الجديدة؛ لكي تتفتح أعينها على ثقافة القرآن، وأن يدمجوا موضوع القرآن بموضوع العترة؛ لكي نكون متمسّكين حقيقة بالثقلين؛ لأنّ الثقلين يقوداننا في هذه المعمعة وفي هذا التيه إلى خير سبيل، وهو سبيل رسول ربّ العالمين.

تأسيس العلم في الواقع الإسلامي

آفاق المخرج العلمي من انسدادات الحداثة

■■ الشيخ حسن البلوشي*

- الكتاب: العلم والنظرة العربية للعالَم: التجربة العربية والتأسيس العلمي للنهضة.
- المؤلف: الدكتور سمير أبو زيد.
- الحجم: ٤٠٠ صفحة من الحجم الكبير.
- الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان - أكتوبر ٢٠٠٩م.

منذ النهضة العربية - الإسلامية وحتى اليوم «لم تنتج المجتمعات العربية، باستقلال عن الغرب، ابتكاراً علميًّا واحداً، ولا عالماً بارزاً واحداً، ولا تطبيقاً تكنولوجيًّا عالميًّا جديداً، أو حتى منتجاً صناعيًّا جديداً بشكل تام». هكذا يلخص المؤلف قصة التجربة العربية - الإسلامية فيما يرتبط بمجال النهضة العلمية. وليس من المبالغة القول: إنه وضع يده على جرح كبير في هذه التجربة، لامست جانباً كبيراً من الحقيقة.

ولكن الملفت في قراءة المؤلف لهذه التجربة أنه لا يستعجل التحليل بمبررات معلبة وسطحية، هذا أولاً. ولا ينتهي في اقتراحات الحل إلى خيارات سهلة وعاطفية، وهذا ثانياً. فهو يروي قصة هذه التجربة بصورة علمية تعتمد على جملة من المفاهيم والمفردات التي تحاول الاقتراب من واقع التجربة.

وللإحاطة بقراءة المؤلف يمكن رصد أربعة مفردات أساسية في عمله كانت بمثابة

* عالم دين، أسرة التحرير، الكويت.

مداخل أو أدوات من خلالها فسَّر وحلَّل التجربة، كما أنه من خلالها اقترح الحلول التي يعتقد أنها «المخرج» من هذا الانسداد.

وهذه المفردات هي: النظرة إلى العالم، الاتساق، التصورات الجديدة للعلم المعاصر، منهج الفصل والوصل. وفي ضمن هذه المفاهيم فإن المؤلف يتوقف عند أمور أخرى تاريخية أو فلسفية أو منطقية راصداً وعارضاً ومحللاً.

النظرة إلى العالم

قد تختلف جملة من المفردات في تكوينها اللفظي لكنها وبصورة إجمالية تشير إلى مفهوم واحد، وفيما نحن فيه في مجال تحديد مفهوم «النظرة إلى العالم» نجد أنفسنا أمام هذا النوع من المصطلحات، حيث تعددت الألفاظ الدالة عليه مع اشتراكها في معنى عام واحد.

يناقش المؤلف في جذور هذا اللفظ في التداول الغربي، وكيف بدأ في الوسط الألماني، ومن ثم اتسع استخدامه. كما أنه يتوقف عند محددات منطقية أو فلسفية للتدقيق في معناه، ويسعى لتأسيس المصطلح بشكل أكثر دقة بحيث يتناسب مع غرض عمله.

ومحصلة النقاش في المسألة، أن مفهوم «النظرة إلى العالم» يعني ذلك الوعي الجمعي اللاشعوري في بنية مجتمع ما، ينطلق من خلالها في النظر إلى مختلف جوانب الحياة، بحيث يضفي عليها المعنى والغرض. والقضية الأساس في المسألة أن آثار النظرة إلى العالم لا تتوقف على المستوى المعرفي فحسب، بل تتعداه إلى المستوى النفسي والسلوكي وبالتالي الفعل الحضاري للإنسان، بل يمكن القول: إن مستواها المعرفي لا يبدو واضحاً إلا لذوي الاختصاص والمعرفة؛ إذ إن أثرها النفسي والسلوكي هو الأكثر وضوحاً.

من خلال التحديد السابق نرى كيف أن مفهوم النظرة إلى العالم عبّر عنه بألفاظ مختلفة حسب التداول والسياق الحضاري لكل طرف، فهو عند البعض يرادف مفهوم «الاعتقاد»، «فلسفة الحياة»، «فرضيات العالم»، «النظرة الخارجية إلى العالم»، «العوالم الافتراضية»، «المنظومة البنائية للذات»، «تبصرات الحقيقة»، «نظم المعنى اللاواعية»، «قلب الثقافة».. وغيرها من الألفاظ.

وقد حاول أكثر من مجال علمي دراسة العلاقة بين النظرة إلى العالم وفعل الفرد أو المجتمع، وهي على قيمتها وثروتها إلا أنها لا تزال في طور النمو، لكن الثابت في مجمل تلك الدراسات أن ثمة تأثير عميق ومباشر للنظرة إلى العالم وفعل الإنسان كفرد أو مجتمع وإن كان هذا التأثير في اللاشعور. ومن هذا المنطلق فإن المؤلف فتح الباب للحديث عن «جدوائية» بعض النظرات، وقدرتها أولاً على الاتساق مع نفسها، وثانياً مع العالم الخارجي. وهذا في الحقيقة هو المفهوم الثاني الذي يعتمد عليه عمل المؤلف، ولكن قبل الانتقال مفهوم

الاتساق لابد من تحديد عناصر النظرة إلى العالم كما حددها المؤلف، لنرى بعد ذلك كيف تتسق أو تتعارض هذه العناصر مع العالم الخارجي.

وعناصر النظرة إلى العالم كما حددها المؤلف تتمثل في ثلاثة، هي: تصوراتنا لموجودات العالم؛ فهل الموجود في العالم منحصرٌ للمكونات المادية أو يتعداه إلى غيره من الموجودات وما هي طبيعتها؟ تصوراتنا لأسلوب المعرفة؛ أي ما هي السبل التي تكفل لنا طرق الوصول إلى معرفة الموجودات؟ وهل ثمة تناسب بين طبيعة الموجود وطرق معرفته؟ تصوراتنا للقيم المجتمعية؛ ما هي القيم التي تحدد علاقة الإنسان بالموجودات التي تحيط به؛ سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي؟

الاتساق والنظرة إلى العالم

المفهوم الثاني الذي يرتكز عليه عمل المؤلف هو مفهوم «الاتساق»؛ الذي يستخدمه المؤلف في عدة جوانب، منها: في تأسيسه لنظرة عربية - إسلامية متسقة مع العالم الخارجي، وبالتالي لها قدرة على تنمية العلم في المجتمع. ومنها: في تحليله وقراءته للعلاقة بين فكر الحداثة والفكر الإسلامي، وأسباب الصدام بينهما أو عدم التوافق، وهذا الموضوع قد يتضح أكثر عند الحديث عن التصورات الجديدة للعلم المعاصر.

المقصود من «الاتساق» هو: الترابط العضوي بين عناصر النظرة إلى العالم، وهو ينقسم إلى اتساق داخلي وخارجي. والمقصود من الاتساق الداخلي هو التناسب المنطقي بين عناصر النظرة إلى العالم، أي أن تكون المجالات الثلاثة السابق ذكرها (الاعتقاد النهائي، منهج المعرفة، القيم المجتمعية) متسقة مع بعضها منطقيًّا بحيث لا تتناقض أو تتضاد. أما الاتساق الخارجي فهو أن تكون عناصر النظرة إلى العالم متسقة مع الطبيعة والإنسان في الواقع الخارجي العلمي؛ أي المكتشف وفق خبرة الإنسان العلمية تجاه الحياة بمختلف مستوياتها.

ولتوضيح هذا المفهوم وتطبيقه على تجارب تاريخية فإن المؤلف يعطف نحو تجربة الحداثة الغربية ويقرؤها من منظور الاتساق الداخلي والخارجي، لينتهي إلى قراءة وتحليل كيف أنها اتسقت داخليًّا لكنها واجهت عدم اتساق مع العالم الخارجي مع نهايات النصف الأول من القرن العشرين، ومن ثم امتداد الفجوة وتنامي عدم الاتساق مع تطور العلم.

وكان المهم في المسألة هو عرض نموذج لمفهوم الاتساق حتى يتسنى استيعابه ومن ثمة تطبيقه على النظرة العربية إلى العالم.

من ثمّ عرج المؤلف لقراءة مصادر النظرة العربية إلى العالم حتى يقارب بينها وبين علم الحداثة ومن ثم التصورات الجديد للعلم المعاصر، أو كما يحلو له تسميتهما بـ«العلم الحديث» و«العلم المعاصر».

ولأن ما يشغل المؤلف هو المجال العلمي فإنه اهتم بتوضيح عناصر النظرة المعرفية العربية للعالم؛ وذلك أنها هي المعنية بالدرجة الأولى بمجال العلم، وهنا حدد المؤلف موقف هذه النظرة إلى ثلاثة مبادئ أساسية هي: حدود المعرفة العلمية، طبيعة المعرفة العلمية، وظيفة المعرفة العلمية؛ إذ إن هذه المبادئ تتضمن أموراً تفصيلية أخرى في داخلها معنيةً بمسائل العلم.

بالنسبة لحدود المعرفة العلمية؛ فإن المؤلف يرى أن النظرة المعرفية العربية وُفقاً لمصادرها (القرآن الكريم) يؤكد على إمكانية المعرفة لكنها في الوقت نفسه تثبت أن المعرفة محدود بالنسبة للكون، فلا يستطيع الإنسان من حيث المبدأ الإحاطة بكل أسرار الكون بمختلف مستوياته وجوداته بل تظل هنالك دائماً مناطق وأطراف لا يصلها العقل، فالعقل محدود في معرفته وإن كانت هذه الحدود واسعة، وبمناسبة الحديث عن هذا المبدأ فإن المؤلف يقابلها بنظرة الحداثة أو العلم الحديث لحدود المعرفة؛ إذ إن نظرة الحداثة لا ترى حدوداً للعقل في المعرفة.

أما طبيعة المعرفة فوق النظرة المعرفية العربية؛ فإن المؤلف يسمها بالمعرفة اللاحتمية في العلاقات السببية، أي أن العلاقة التي تربط الأسباب بمسبباتها وبالتالي تربط بين الموجودات بمختلف مستوياتها ليست حتمية رياضية ميكانيكية بل هي احتمالية عقلانية، أي أنها ليست احتمالية فوضوية نسبية محضة بل عقلانية تعطي للإنسان فرصة المعرفة، كما أنها تتيح له فرص التنبؤ وتقعيد القواعد لتتأسس عليها الأنظمة والتشريعات وبالتالي الممارسة العقلانية مع الحياة. وهذه النظرة هي الأخرى تقابل طبيعة النظرة المعرفية الحداثية تلك التي ترى العلاقة السببية حتمية ميكانيكية.

وأخيراً بالنسبة لوظيفة العلم؛ فإن النظرة المعرفية العربية تعرف بمحددات ثلاثة في هذا المجال؛ هي: أن العلم وظيفته خلاص الإنسان من الجهل وسبيله إلى التقدم، وفي الوقت نفسه هو وسيلة للإيمان ومعرفة الخالق، وأخيراً هو محدد بأخلاقيات تحده من الجور على الطبيعة.

بعد توضيح عناصر النظرة المعرفية العربية للعالم يمكننا الانتقال إلى المفهوم الثالث من المفاهيم التي ارتكز عليها عمل المؤلف، وهو مفهوم التصورات الجديدة للعلم المعاصر.

التصورات الجديدة للعلم المعاصر

يعتبر مفهوم التصورات الجديدة للعلم المعاصر أحد أهم المفاهيم التي يرتكز عليها عمل المؤلف، بل لا نبالغ إن قلنا: إنه المفهوم الأساس في العمل كله، وذلك أنه الخير الذي يراد للنظرة العربية للعالم أن تتسق معه، وهو أيضاً الفرصة الممكنة -حسب تحليل المؤلف- للعلم العربي كي يتأسس ويأخذ دوره.

ولإحاطة المفهوم ولملمة أطرافه فإن هنالك مفردتين بتوضيحهما تكتمل صورة المفهوم، وهما: المفهوم التاريخي للعلم، العناصر الأساسية للعلم المعاصر.

المفهوم التاريخي للعلم: يعني هذا المفهوم، أن ننظر إلى العلم على أنه خبرة متحركة ضمن التجربة الإنسانية، ينتقل من حضارة إلى أخرى، وتساهم فيه كل حضارة بقدرها. هذا المفهوم بهذا التحديد يقابل المفهوم الحداثي للعلم؛ الذي ينظر إلى العلم من زاوية معيارية بحتة، أي أن العلم بالنسبة للنظرة الحداثية له ليس إلا ما انتجته الحداثة، فمنها بدأ العلم وإليها انتهى وفي مسارها يتنامى. وقد أحدثت هذه النظرة إلى العلم قطيعة وصدام مع الثقافات الأخرى حيث وُسمت مساهماتها العلمية بالخرافة أو الدونية.

والنتيجة المهمة المترتبة على المفهوم التاريخي التطوري للعلم هي أن يتحول السؤال من: كيف يتغلغل العلم الحديث (الحداثي) في المجتمعات العربية (أو أي مجتمع يروم التقدم)؟ إلى: ما النظرة العلمية الصحيحة للعلم المناسبة للنظرة العربية للعالم؟

وهذا بدوره يعطي للثقافات المتعددة لتشكيل صيغ مختلفة للعلم تتناسب وظروفها الحضارية، كما وتتضمن مساهماتها.

العناصر الأساسية للعلم المعاصر:

يقصد من العلم المعاصر هو النموذج العلمي المقابل للعلم الحديث، وحيث ينتمي العلم المعاصر إلى بدايات الثلث الأول من القرن العشرين، والعلم الحديث هو الفترة السابقة لهذه.

السمات الأساسية للعلم الحديث ترتكز على ثلاثة مبادئ كما يصورها المؤلف، وهي: أن المكونات النهائية للوجود بكامله هي الذرات المصمتة، وبالتالي فإن أي موجود يمكن رده في نهاية الأمر إلى هذه الذرات المصمتة، هذا أولاً، ثانياً: أن هذه الذرات المصمتة في حالة حركة دائمة وتتصادم طبقاً للقوانين النيوتنية الميكانيكية، ثالثاً: أن ناتج حركة الجسميات وعلاقتها السببية الحتمية هي التي تمثل المستويات المختلفة للوجود.

ولكن التطور التدريجي لجملة من العلوم وعلى رأسها الميكانية الكمية (الكوانتم) والرؤى الجديدة في فلسفة العلم أزاحت النموذج العلمي الحداثي ليحل محله نموذج جديد لم تكتمل صورته النهائية بعدُ لكن سماته الأساسية تبدو واضحة -حسب تحليل للمؤلف-.

ويوجز المؤلف هذه السمات بالتالي:

أولاً: اللاحتمة والحرية: ويقصد منها انهيار النموذج الحتمي الميكانيكي للطبيعة، وهذا يترتب عليه جملة من الآثار على مستوى التنبؤ، وتقعيد القوانين، واليقين الصارم.. وغيرها. وفي مقابل هذا الانهيار ليس هنالك مفهوم محدد للاحتمية، بل هي جملة تصورات تتشكل في أيامنا هذه.

ثانياً: حدود العقل: بفضل الاكتشافات الهائلة للإنسان كميًّا ونوعيًّا، فإن من سمات العلم المعاصر محدودية العقل البشري على فهم التعقيد المحيط بالكون، ولهذا أثرٌ في طبيعة ووظيفة العلم بالنسبة للإنسان المعاصر.

ثالثاً: النظرة الكلية: وهي النظرة المقابلة للنظرة الرديَّة التي ترد كل الأشياء إلى جزئيات نهائية، إذ إن في النظرة الكلية هنالك قناعة بالنظر إلى بعض الأشياء من منظور كلي مستقل لا بردِّها إلى جزئيات أصغر، كالنظر إلى العقل على أنه وجود كلي مستقل لا جزئيات عصبية متناثرة.

الفصل والوصل كمخرج لمشكلة الاتساق مع العلم المعاصر

بعد أن استعرض المؤلف جملة تلك المفاهيم التي استخدمها في عمله، ووقف محللاً المشكل المعرفي إزاء قضية تأسيس العلم، فإن المؤلف في نهاية المطاف يرى في نموذج الفصل والوصل الذي أسس له الشيخ عبدالقاهر الجرجاني مساهمةً جدية تستوفي كل شروط الاتساق.

وخلاصة مساهمة الجرجاني تتمثل في التالي:

واجه الجرجاني قضية دينية هي إعجاز القرآن الكريم، لكنه عالجها بصورة علمية تحفظ للجهة الدينية مكانتها، كما أنها تحفظ للجهة العلمية كيانها هي الأخرى، وفي الوقت نفسه تؤسس للترابط بينهما بل وتساهم في التقدم العلمي.

وصورة المسألة أن القول بإعجاز القرآن الكريم قول ديني اعتقادي، مؤداه عدم محدودية القدرة الإلهية، لكن تمثل هذه المعجزة في قالب علمي تحكمه قواعد ونظم (اللغة) أي يجعلها قضية علمية. هنا ابتكر الجرجاني نظرية «النظم» التي تجعل من اللغة كوعاء علمي قابل للترقي إلى غير حدود، وعندما يكون القول الديني مدعياً أن الله -جل وعلا- بقدرته اللامتناهية أعجز البشر في قرآنه المنزل على نبيه الكريم محمد ﷺ فإن هذا القول لا يخرج عن الإطار العلمي.

بهذه الصورة الشديدة التركيز يطرح المؤلف مساهمة الجرجاني كنموذج لاتساق النظرة العربية إلى العالم مع الواقع العلمي المعاصر، ولكنه يؤكد في الوقت نفسه أن هذه المحاولة بحاجة إلى تطوير وتكميل، لكنها تبقى مساهمة جادة في مجالها. وقد خصص لها فصلاً مستقلاً بذاته لعرضها وتحليلها.

وما يمكن أن يقال عن عمل المؤلف أنه يقدم عملاً جديداً للمكتبة العربية، يناقش المسألة على مستوى جيد من الخبرة، وبصورة هادئة بعيدة تشنجات ردود الأفعال التي تحكم الكثير من الاعمال التي قدمت في هذا المجال.

إعداد هيئة التحرير

الفقه الإسلامي ١-٣
أحكام العبادات، أحكام المعاملات، أحكام الولايات

المؤلف: آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي.

الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، (١٥٧٥ صفحة).

الناشر: مركز العصر للثقافة والنشر، دار المحجة للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت.

الفقه الإسلامي بأجزائه الثلاثة، (أحكام العبادات، أحكام المعاملات، أحكام الولايات)، الرسالة العملية التي تحتوي بأجزائها الثلاثة آراء سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي الفقهية لمقلديه، حيث يتضمن الجزء الأول -والذي يصدر في طبعته (التاسعة)- أحكام العبادات التي تُقوِّم سلوك الفرد وتصوغ شخصية الإيمانية، وتساهم في تنمية العلاقات الاجتماعية السليمة، بدءًا من أحكام البلوغ والتقليد والتطهّر، ومرورًا بالصلاة والصيام وسائر العبادات، وانتهاءً بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

في حين يتضمن الجزء الثاني -الطبعة الثالثة- أحكام المعاملات التي تنظِّم الحياة الاجتماعية على أساس من العدل والإحسان. كما يتضمن فصلاً من كلمات الوحي في الحياة الطيبة، والتي تُعَدُّ بيانًا لأهداف التشريع الإسلامي في مختلف أبواب الفقه.

أما فتاوى الجزء الثالث -الطبعة الأولى- فإنها تدور حول بيان أحكام الولايات التي تهتم بجوانب من النظام السياسي كالقضاء والشهادات والإقرار

والقصاص والديات والحدود، ويلحق بها ما يتصل بأحكام الأراضي وأحكام الأطعمة والأشربة والصيد والذباحة وغيرها.. مما يناط تطبيق الكثير منها بحكم الوالي الذي هو امتداد لحكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام.

□ □ □

بينات من فقه القرآن

دراسة قرآنية تعتمد استنباط السنن الإلهية من آيات الذكر الحكيم (سورة النور)

المؤلف: آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي.

الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، (٢٥٨ صفحة).

الناشر: مركز العصر للثقافة والنشر، لبنان، بيروت.

تتأكد الحاجة إلى القرآن الكريم يوماً بعد آخر مع ازدياد المسافة بيننا وبين كتاب الله المجيد، الذي يفترض أن يكون دستورنا نحن المسلمين، ونباهي به العالم كآخر كتاب سماوي لم يأته الباطل من بين يديه ولا خلفه، لكن مع ذلك نجدنا نساير طائعين بقية الأمم والشعوب التائهة والحائرة في مناهجها الاجتماعية والاقتصادية، فهي تعيش الانحطاط الأخلاقي والضبابية في الفكر والتسطيح في الوعي، ومن هنا جاء الاهتمام الخاص من لدن سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله) بتقريب المسافة بين المسلمين وكتابهم المجيد، فجعل القرآن الكريم بمنزلة الروح لمسيرة حافلة بالعطاء الثقافي والفكري، فأطلق مبادرته الرائدة في (التدبّر في القرآن الكريم)، في محاولة شجاعة لكسر الطوق التقليدي للتعاطي مع القرآن الكريم والذي كان مقصوراً على العلماء والمفسرين والباحثين، ومحاولة تشجيع المسلمين والمؤمنين على التدبر في الكتاب الكريم، وذكّر بالآية المباركة ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

وحتى تكون الفكرة مجسّدة على أرض الواقع ارتأى سماحة المرجع المدرسي لأن يُودع التدبر في القرآن الكريم بين دفتي كتاب يضاف الى مكتبته الثقافية والفكرية الحافلة. والكتاب الذي بين أيدينا ومن المتوقع أن يكون انطلاقة لسلسلة من كتب التدبر في القرآن الكريم، حسب السور القرآنية، يتناول سورة (النور) ذات الاهتمام الاجتماعي والأسري بالدرجة الأولى، قد أسلم المؤلف يراعه للآيات المباركة لتضيء لنا بالتسلسل المفاهيم الاخلاقية والتعاليم السامية والحضارية الكفيلة ببناء مجتمع وأمة متماسكة مؤهلة لأن تكون ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، فمن الآية الأولى من هذه السورة المباركة وحتى الآية الأخيرة، بيّن سماحة المرجع المدرسي مختلف القضايا والأمور التي تعيشها الأسرة اليوم، في مقدمتها الحثّ على الزواج و(النكاح) على أنه (سنّة فطرية)، كما يعبّر عنها المؤلف، وأيضاً قضية الإثارة الجنسية، أحكام النظر داخل وخارج الأسرة وإشاعة الفاحشة ومواجهة

وساوس الشيطان والتربية الجنسية للأطفال، ومواضيع أسرية واجتماعية ونفسية تناولتها سورة (النور) المباركة.

□ □ □

موسوعة أهل البيت (١-٥)

المؤلف: آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي.
الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
الناشر: دار العلوم، لبنان، بيروت.

موسوعة قرآنية تتضمن جمع الآيات التي نزلت في أهل البيت عليهم السلام. حيث صدرت من قبل المؤلف المرجع الشيرازي في فترات زمنية متباعدة، ولأهميتها وقيمته العلمية قامت مؤسسة الرسول الأعظم في قم المقدسة، بجمعها وتحقيقها وتنقيحها ومراجعتها وتنضيدها، لتتكون من خمسة مجلدات، وقد جمعت هذه الموسوعة الكتب التالية:

- عليّ في القرآن ١-٢: جمع سماحته فيهما ٧١١ آية من القرآن الكريم التي نزلت في حقّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بحسب ما جاء في مصادر العامة وكتبهم المعتبرة، تبدأ من سورة الفاتحة إلى سورة الإخلاص.

- فاطمة الزهراء عليها السلام في القرآن: يشتمل الكتاب على بيان الآيات التي نزلت في حقّ سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام وبحسب مصادر العامة.

- المهدي عليه السلام في القرآن: يشتمل الكتاب على ما ورد في القرآن الكريم من الآيات المباركة في الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من سورة البقرة إلى سورة البروج، جمعها سماحته من مصادر العامة وأسانيدهم الموثقة.

- المهدي سلام الله عليه في السُنّة: يشتمل الكتاب على مجموعة كبيرة من الروايات التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حول الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف في كتب العامة ومصادرهم.

- أهل البيت عليهم السلام في القرآن: يشتمل الكتاب على آيات نزلت في أهل البيت عليهم السلام، من سورة الفاتحة إلى سورة الكوثر جمعها سماحته من مصادر العامة.

- الشيعة في القرآن، كما أضيف للموسوعة كتاب (الشيعة في القرآن) والذي يتضمن ما ورد من الآيات الكريمة في القرآن الحكيم وفُسّرت بشيعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وكل ذلك من مصادر العامة وكتبهم.

□ □ □

زيارة الإمام الحسين عليه السلام
سماتها الربانية وآثارها التربوية

المؤلف: السيد محمود الموسوي
الطبعة: الأولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م (٩٦ صفحة).
الناشر: مؤسسة أهل الكساء عليهم السلام/ البحرين.

زيارة المراقد المشرفة لأهل البيت عليهم السلام في الفكر الشيعي لها ميزة أساسية ومهمة،

من منطلق هذه الأهمية جاء الكتاب ليعرض ثقافة الزيارة بما تحتويه من مضامين ذاتية في الزيارة نفسها، ومن مداليل وآثار خارجية تؤثر في الفرد والمجتمع.

وقد كانت زيارة الإمام الحسين عليه السلام هي موضع الدراسة، باعتبارها الزيارة الأهم والأكبر، وذات المواسم الأكثر عدداً، حيث أكد في مقدمة الكتاب على أن منهجية البحث هو الاستفادة من نصوص الزيارات نفسها في تظهير وبلورة ثقافة الزيارة، والاستفادة من الآيات والروايات الأخرى كذلك.

قسّم المؤلف الكتاب إلى خمس موضوعات، الأول تحت عنوان (زيارة الإمام الحسين، ينبوع بركات الدنيا والآخرة)، سرد فيه مجموعة من الروايات التي تحث على الزيارة، كبداية للتحفيز لمعرفة الزيارة معرفة متكاملة. وفي القسم الثاني تحت عنوان (السمات الربانية) أوضح المؤلف أن الزيارة هي مفردة عبادية كسائر العبادات، ينويها الإنسان لله رب العالمين، وهي لا تناقض التوحيد والإخلاص، وقد جاء على مفردات الزيارة كالسلام والتوسل والدعاء الصلاة، بالشرح وتبيين مداليلها وسماتها الربانية. وفي القسم الثالث منه وعنوانه (البواعث والنطلقات) بيَّن أنه ومن أجل تحقيق الإخلاص واستفادة من الثواب الجزيل الذي يحصله الزائر من زيارته، لابد أن يحافظ على البواعث السليمة التي دعته للتوجه للزيارة. وأما القسم الرابع فقد تناول فيه المؤلف (الآثار التربوية)، باعتبار أن الزيارة هي عامل تأثير في حياة الإنسان، ولها مقاصد كسائر العبادات، ولها رسالة تؤديها في سلوك الفرد والمجتمع، ولها مكانة في إعزاز الدين وتبليغه.

أما القسم الخامس والأخير فعنوانه (زيارة الإمام الحسين شعار المؤمنين)، مبيناً فيه تلك الآداب والسلوكيات التي ينبغي للزائر أن يتحلّى بها، وذلك خدمة لغرض البحث قي جانب الآثار التربوية وإكمالاً لرسالة الزيارة.

□□□

المرأة في فكر الإمام السيد موسى الصدر

المؤلف: فاطمة صوان هيدوس.

الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م. (٢٥٦ صفحة).

الناشر: دار نشر الأمير للثقافة والعلوم - لبنان، بيروت.

للمرأة في فكر الإمام موسى الصدر حضورها الفاعل في المشهد الإنساني، تجسّد إيمانًا بقدرات المرأة ككائن واعٍ له التأثير الأول والأكبر في بناء المجتمع.

قدم للكتاب السيد صدر الدين الصدر، مشيرًا إلى أنه مع الإمام موسى الصدر فُتح للمرأة بابٌ كان مقدّرًا أن تبقى خلفه لسنوات طوال، إلا أنّه -مع غيره من المصلحين

الاجتماعيين- أخرجها من الدائرة الضيقة التي فُرضت عليها إلى الفضاء الأوسع، وبخطابه ألغى سياسة الإقصاء والتهميش التي لحقت بها في البيئة الاجتماعية.

يشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

تعرض الكتاب في فصله الأول إلى حياة الإمام موسى الصدر، وأبعادها الفردية، والأسرية، والعلمية، والاجتماعية، منذ الولادة إلى حين اختطافه.

أما في الفصل الثاني فمن خلال عنوان (المرأة في السياق التاريخي قبل الإسلام)، وهو دراسة لتاريخ المرأة في فكر الإمام الصدر، وتطرقت الدراسة إلى محورين: الفلاسفة والمرأة، والمرأة في الشرائع السماوية.

ثمّ بحث الكتاب في الفصول الثلاثة الأخيرة موضوع المرأة في الإسلام في نظر الإمام الصدر، ثمّ تطرقت الكاتبة لحياة السيدة فاطمة الزهراء والحوراء زينب (عليهما السلام)، كونهما النموذجين المثاليين للنساء، كما تعرضت إلى نظرة الإمام موسى الصدر إلى المرأة في القرن العشرين.

ختمت فصول الكتاب بملحق هامٍّ تضمن بحوارت أُجريت مع السيدة رباب الصدر، وحوراء الصدر، ومليحة الصدر، ناقشت هذه الحوارات ما جاء في الكتاب من مواضيع وأفكار.

□□□

التحديات الكونية ومتطلبات ترميم الحضارة

المؤلف: آية الله السيد هادي المدرسي.

الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩، (١٩١ صفحة).

الناشر: مركز الدراسات والبحوث الإسلامية في حوزة الإمام القائم العلمية، لبنان، بيروت.

يحوي الكتاب مجموعة من المقالات نشرت من قبل في مجلة البصائر الدراساتية، وهي تتناول التحديات التي واجهت العالم في عصرنا الحاضر، أو التي لا زالت تواجهه حتى الآن، ومتطلبات النجاح في حلّها وتجاوزها.

وهذه المقالات، وإن كانت تتراءى في نظرة أولية، وكأنها تركّز على الجوانب السلبية من الوضع الدولي، إلا أنها في الحقيقة تحاول تشخيص الداء أولاً، ثم وصف الدواء. وذلك في نظرة كونية شاملة.

صحيح أن التفائل واجب عقلاً، وشرعًا، إلاّ أن ذلك لا يعني أن نغضَّ الطرف عن التحديات الكبرى، والمشاكل العالمية، وكأنه لا وجود لها، بل يعني الإيمان بقدرتنا على اكتشاف الحلول ووضعها موضع التنفيذ.

والكتاب هو الإصدار الرابع من سلسلة كتب فكرية تصدر عن مركز الدراسات والبحوث في حوزة الإمام القائم العلمية.

□□□

الشيعة في المملكة العربية السعودية (١-٢)

المؤلف: حمزة الحسن.
الطبعــة: الأولى، ١٤٣١هــ/ ٢٠١٠م، (٥٨٤ صفحة)
الناشر: دار الساقي، لبنان، بيروت.

يبحث هذا الكتاب في جزأيه أحوال الشيعة في المملكة العربية السعودية خلال عهدين متلاحقين: العهد التركي (١٨٧١-١٩١٣) والعهد العثماني (١٩١٣-١٩٩١).

ويعرّف المؤلّف بالمواطنين الشيعة في السعودية، تاريخاً وثقافة وهوية. ويعتبر أنهم، رغم كثرتهم، أُريد لهم أن يكونوا مجهولين داخل وطنهم وخارجه. ويروي معاناتهم في ظلّ الحكم الحالي القائم على تصوّرات طائفية. ويدعو إلى المساواة بين المواطنين، واحترام خصوصية كل فئة ومذهب في أقاليم المملكة المختلفة في التاريخ والثقافة والعادات والطباع والاقتصاد.

□ □ □

ضمير الشعائر

المؤلف: السيد محمد علي العلوي
الطبعــة: الأولى ٢٠٠٩م / ١٤٣١هــ (١٦٠ صفحة).
الناشر: جمعية أهل البيت عليهم السلام، البحرين.

يعالج الكتاب مفردة الشعائر، ويخص بها الشعائر الحسينية وإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، معالجة قرآنية، فيبدأ ببحث مفردة الإحياء عبر البحث القرآني لها، ويستظهر دلالاتها، مركّزاً على غاياتها التي من أجلها صار الأمر بها مطلوباً، وهو الإحياء للفرد في عمله وفكره وسلوكه، وإعطاء الفاعلية لكل ذلك.

ثم ينتقل المؤلف إلى تناول الشعائر كطريق لإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، مركزاً على مطلوبيته وأهميته في حياة الإنسان، الأمر الذي يدعو للدقة في البحث، وأخذ الموضوع من أصوله لكيلا يحصل الانحراف في الممارسة، وهو الفعل الذي لا ينبغي أن يخرج عن القرآن والعترة. والإحياء بهذا سيكون هو إحياء أمر الدين بركنيه الكتاب والعترة، وهو عبارة عن مخاطبة النفس ومخاطبة العدو والمحافظة على الروحية الإيمانية، وإظهار الجاذبية للإيمان والتقوى، والعناية بالمنجزات وحراستها من الأعداء، بحسب المؤلف.

فإن الكتاب يركز على البعد الرسالي في موضوع الشعائر ويسهب في ذكر الارتباط المبدئي بالممارسة الشعائرية بكافة أنواعها، التي ينبغي أن تعبر عن الدين صورة ومضموناً. ولهذا يخصص قسماً من أقسام الكتاب إلى أثر الإحياء على السلوك الذي هو التجسيد العملي للحالة النفسية ودوافعها، فالانتماء إلى أهل البيت عليهم السلام عقديًّا وفقهيًّا وروحيًّا وأخلاقيًّا، لابد وأن يولّد حالةً سلوكية هي الأرقى في المجتمع الإسلامي.

وفي ختام الكتاب يوجّه المؤلف الخطاب نحو الواقع مُميِّزاً منه ما هو صحيح

مطابق لواقع الإحياء الشعائري الصحيح من غيره الذي يصطدم بالمبادئ، ويذكر عدة نقاط في التفاعل مع الشعائر، التي تصوغ الإيمان والرسالية في شخصية الإنسان، وهي: الفهم والاستيعاب للدين والتدين، والأخلاق والسلوك، الثقافة والعلم والمعرفة، الشعور بالمسؤولية تجاه الدين والتدين، الحكمة في ممارسة الدور الرسالي، الحرص على الظهور المتوافق دائماً مع شخصية المؤمن حتى على صعيد اللباس والمظهر الشكلي عموماً، حسن العمل على العلاقات والاجتماعية.

❑ ❑ ❑

إعداد هيئة التحرير

ندوة ثوابت الوطن:
مشروع النهضة وإشكالية الاختطاف

أقام مركز الدراسات والبحوث في منتدى القرآن الكريم بدولة الكويت (الرميثية) ندوته الأسبوعية (ثوابت الوطن) تحت عنوان (مشروع النهضة وإشكالية الاختطاف)، ليلة السادس عشر من شهر مارس للعام ٢٠١٠م، الموافق ٣٠ ربيع الأول للعام ١٤٣١هـ.

قدمت الندوة ورقتين، حملت الأولى محور: المنزلق الطائفي واختطاف فكر النهضة. تناوله أمين عام التحالف الإسلامي الوطني في الكويت الشيخ حسين المعتوق.

والثانية حملت محور: الفراغ القيادي وبدائل النهضة، تناوله الأستاذ حسن العطار، مدير عام منتدى القرآن الكريم بالكويت، وقد أدار الندوة الدكتور عادل الرمضان.

بدأت الندوة بكلمة مقدمة من مدير الندوة الأستاذ السيد حسن ضياء الدين، ثم كلمة شرفية لآية الله السيد هادي المدرسي.

كلمة مدير الندوة:

افتتحت الندوة بكلمة مدير الندوة سيد حسن ضياء الدين أكد فيها على ضرورة البحث عن القاسم المشترك والخطاب الجامع بين العناوين التي تجسد مفهوم ثوابت الوطن مشيراً إلى أن الدستور يؤكد في جميع مواده على أن الأمة مصدر السلطات، مستغرباً من أن أبناء الوطن بمختلف أطيافهم قد استغرقوا طويلاً في

مراحل سابقة ولا زالوا في الدفاع عن قضايا الأمة وحمل همومها العامة، وهذا الأمر على حسنه إلا أنه أبعدهم عن متطلبات توطين المشروع، وتطوير مفاهيم التعايش السلمي، والتعددية، والتسامح، والمواطنة، والمشاركة، والعلاقة مع الطرف الآخر، والعلاقات المفترضة بين الحركات الثقافية والاجتماعية المختلفة في الدولة الواحدة.

الكلمة الشرفية لآية الله المدرسي:

تلاه سماحة آية الله السيد هادي المدرسي بكلمة شرفية، حرص فيها بالتأكيد على أهمية ثوابت الوطن والنهضة والوطن.

وقال: إذا استطعنا أن نعرف تلك القيم والمثل التي نستطيع التحرك من خلالها سنستطيع أن نجعل الأوطان على السكة الصحيحة.

وأضاف: هذا الكون خُلق من مجموعة من القيم، وتلك القيم أشبه بالغدد التي في جسم الإنسان التي تنظم حركته وحركة دمه، وكذلك القيم في الحياة، فكل قيمة في مكانها ضرورة. ومن هنا لابد من أخذ القيم كلها بعين الاعتبار دون إغفال جانب منها. إلا أن هناك أمرين، فهناك سلم تفاضلي بين القيم، فأحياناً تكون هناك مثلاً عدالة ولا تكون هناك حرية والعكس صحيح، فأيام الاتحاد السوفيتي السابق كانت العدالة كقيمة منظورة موجودة في المجتمع السوفييتي؛ لأن النظام كان ينادي بمبدأ تكافؤ الفرص لكنه أغفل جانب الحرية وصادرها فانهار النظام بأجمعه.

وقال: في الغرب اليوم توجد حرية لكن لا توجد عدالة بالنسبة للأقليات، وهذا يؤكد أن سلم القيم تفاضلي في بناء الأوطان.

وأشار إلى أن الأوطان لا تُبنى على رمال متحركة، فالوطن هو السكة الثابتة، وهو الذي تمشي ثوابته على ثوابت سليمة أقام الله الكون عليها، تتمثل في الحق الذي يجمع كل القيم.

وأضاف: لا يمكن لشعب أن يتجاهل قيمة من القيم إلا ويدفع ثمن تجاهله لها. وحين نقول (الوطن) فنحن لا نعني الحدود الجغرافية، فتلك أمور مرتبطة بالسلطة، لكننا نعني الثوابت التي لا يمكن تجاوزها، فإذا كان هناك تقدم في مجال من المجالات فهو تقدم في الثوابت نفسها، وما الطب والفيزياء وباقي العلوم إلا تقدم وتطور في ثوابت أساسية ورئيسية أقيم الكون عليها كما أسلفنا، وهذا يعد تقدماً في معرفة الثوابت، ولكي يمشي القطار نحن بحاجة لسكة ثابتة وعربة متحركة والمتغيرات جزء من الثوابت، وتُعنى بمحاولات النهضة أن تستخرج ما أودع الله فينا من طاقات وكنوز ونستفيد منها إضافة الى الطاقات الكامنة في هذا الكون فيما يفيد أوطاننا وأنفسنا.

واختتم سماحة آية الله سيد هادي المدرسي كلمته قائلاً: يبقى أن هناك قيمتين في هذه المنطقة، هما قيمة الأخوة والحرية، فأنت حر بمقدار ما لا تضر الأخوة، هذه حدودك دون أن تخرّب السلم الأهلي وتضع حواجز بين الناس.

الشيخ المعتوق: المنزلق الطائفي واختطاف فكر النهضة

قدم أمين عام التحالف الإسلامي الوطني سماحة الشيخ حسين المعتوق ورقته، التي رأى فيها أنه من الضروري تحديد الثواب التي تقوم على أساسها المواطنة بشكل واضح والفصل بينها وبين المتغيرات، فهناك عدة أمور يحكم بها العقل. أولاً: وهي الأحكام التي يمكن أن تطرح في المجتمع لأنها من مسلمات العقل؛ ولذلك لا نجد مجتمعاً من المجتمعات البشرية يرفض مسألة حقوق الإنسان مثلاً.

وأضاف: إن مبدأ احترام العقل واحترام كرامة الإنسان ضروريان؛ لأن الأصل في الإنسان كرامته وعقله، وهذه أمور يدركها كل عاقل أيًّا يكن حتى ولو لم نتفق معه في الرؤى والأهداف والدين والقناعات.

وواصل: البعض يصف المجتمع الغربي مثلاً بالحقارة، وهذا ظلم، فمن حق المجتمعات الغربية علينا أن نتحدث عنها بإنصاف، وأن يكون موضوع تشخيص الحقوق عادلاً، فمبدأ العدل من خصوصيته أنه جاء هدفاً لرسالات الأنبياء.

وأكمل: إذا أردنا أن نلخص المشروع الإلهي كله في كلمة واحدة فسنلخصه في كلمة العدل، وهي تلخص لنا كل ما جاء في الكتاب والسنة وجميع الأديان، فإذا أصبحت الذهنية تقودها العصبية فلن ترى إلا كل ما هو عصبي ومتطرف ومتعصب، ولن يقود هذا الأمر حتماً للإنصاف والعدل.

وأضاف: الإنسان يجب أن يكون عادلاً في تحركاته وسكناته وأفعاله، ففي الكويت هناك إيجابيات عند جميع الأطراف، كما أن هناك سلبيات عند الجميع كذلك ولا أستثني أحداً، وما يحدث من أي فئة يكون عادة نتيجة ردة فعل خاطئة على تصرف خاطئ جاء من أحد الطرفين؛ لذا من الضروري أن نقيّم نقد الآخرين، فمجتمعاتنا الإسلامية مع الأسف الشديد ورغم مرور أكثر من ألف سنة ويزيد على رسالة رسولنا الأعظم؛ إلا أنها لا زالت بعيدة عن المشروع الإلهي، فنمط تفكيرها وسلوكها ليس هو النمط السليم والقويم في أكثره.

فمن مبدأ العدالة يمكننا أن نؤسس نظرة منصفة متبادلة ولا يأتي التغيير حتماً من السلوك الدفعي، فهذه عملية مستحيلة يجب أن يأتي التغيير متدرجاً بحسب ما تقتضيه كل مرحلة في إطار التغيير التدريجي، فمثلاً مبدأ التحاور بين السلفي والشيعي يجب أن يكون مبنيًّا على أسس سليمة من الحوار، وأن تأتي من العقلاء لا أن نترك الحمقى يقودونا إلى ما لا تحمد عقباه.

واختتم سماحة الشيخ حسين المعتوق كلمته مؤكداً على ضرورة تصدي العقلاء لمثل هؤلاء الحمقى، وعدم إعطائهم الفرصة في إدارة زمام الأمور، فالصراخ حاليًّا لدينا منتصر على العقل في كل جماعة وفئة دون استثناء، وهذا الصراخ من الطرفين يجرّد الآخرين من فضائلهم ودينهم، ولا يترك لهم مثقال ذرة من حسنة إلا ويصاردها

وينسبها لنفسه. يجب على الحكماء والعقلاء أن يُمسكوا بزمام الأمور، وأن يبادروا ويتحملوا مسؤولياتهم.

الأستاذ العطار: الفراغ القيادي وبدائل النهضة

أكد الأستاذ حسن العطار في ورقته على ضرورة التمييز بين مفهومين: بين مفهوم التمثيل النيابي والتمثيل القيادي، فالتمثيل السياسي متاح لكل صاحب كفاءة سياسة ليمارس دوره في خدمة الوطن، ومتاح أيضاً لمن لا يتمتع بالكفاءة السياسية، فقد يأتي أحدهم للسلطة دون أن يتمتع بأي كفاءة، إما لركوبه الموجه، أو بسبب المال السياسي، أو بسبب معرفته للتكتيكات السياسية، أو بسبب نفوذه، أو بسبب عشيرته، أو طائفته سواء كان يحمل مشروع نهضوي، أو لا يحمل.

وأضاف: بعضهم وصل وخدم وطنه وله الشكر، إلا أن بعضهم الآخر -ولتلك الأسباب التي أبديناها- حين وصل رأى في المشروع مشروع سلطة والبقاء فيها مهما كلف الأمر، وهو بهذا يخطف مشروع النهضة ويصادره، فنهضة المجتمعات لا تقوم على الفردية والأنانية والمصالح الشخصية الضيقة لكنها تقوم على فكرة التعاون والعمل الجمعي.

وتابع: الذي يستطيع أن يقود مسيرة النهضة هو من يملك الثقافة والتواصل والقناعات المشتركة، فالتمثيل السياسي يتحرك في ظل الفراغ القيادي، فمثلاً الطائفة الشيعية تمتلك مخزوناً هائلاً من الثقافة الفكرية والعقائدية التي تمكّن أبناءها من إضفاء المزيد من التلاحم والتكاتف في بناء مشروع الوطن والنهضة به، والاندماج مع الآخرين وكافة أطياف المجتمع، إلا أن تلك الأشياء كانت محصورة سابقاً على النخب وعلى التجمعات الدينية، لكن ما نشهده هذه الفترة من تطور في التجمعات والنخب يبشّر بالخير بسبب تغير الأجيال وتطورهم وإيمانهم بالعمل الجمعي والمشترك.

وواصل: فالمشروع الأساسي لبناء الوطن ونهضته هو مشروع بناء الإنسان، فالإنسان هو رأس المال الحقيقي للوطن، وهو أساس نهضته. والآن أصبح الجميع يبحث عن بدائل من أجل تحقيق هذا المشروع بعيداً عن التعصب والتحزب والفردية والأنانية؛ لأن الأمر السابق أدّى إلى اهتزاز حالة الاندماج الوطني. والمفارقة في الكويت أننا مثلاً بعد أن تخلصنا من مسألة الهاجس الأمني أبان حكم الرئيس العراقي المقبور قلنا سنمضي في طريق التنمية وسنحققها لكننا وجدنا أنفسنا في مكاننا نفسه.

وأضاف: مشروع الوطن أكبر من الفرد يجب أن يكون هناك إسهام من جميع أبناء المجتمع لتحقيق كل ما نصبو إليه من نهضة وتطور وازدهار، ونحن للأسف لا زلنا في الكويت (ما في هالبلد إلا هالولد)، فالتجمعات والأحزاب بعضها لا زال يسبح عكس التيار، وأحياناً أصبحت تنتج آليات للسيطرة على من فيها. ونحن فعلاً بحاجة إلى بدائل تخلصنا من كل ذلك وتقود بالمجتمع بمساهمات أفراده إلى الأعلى.

واختتم الأستاذ حسن العطار حديثه قائلاً: الزعيم الأوحد الذي سيوحد الساحة السياسية جميعها أصبح سيناريو قديماً وبالياً لن يجد له مكاناً على أرض الواقع معنا؛ لذا يجب أن تُطوّر صيغ القيادة، وأن تمضي باتجاه الجماعة والانسجام والتفاهم والعمل المشترك. وأعتقد أن الجماعات الشيعية بدأت تعي هذه القضية مؤخراً، وتتحرك عليها، وهي خطوة تحسب لها بلا شك.

المؤتمر العام لعلماء أهل السنة:
الوهابية ليست من فرق أهل السنة

أقام مؤتمر عام علماء ومفكري أهل السنة في مدينة مراد آباد بالهند تحت شعار: (الوهابية ليست من أهل السنة)، وحضره عدد غفير من الزعماء الدينيين، وعدد كبير من العلماء والشيوخ وائمة الجمعة.

بيّن العلماء المشاركون في المؤتمر الاختلافات العقائدية والفقهية الكثيرة بينهم بين والوهابيين، وأكدوا أنهم منفصلون عنهم، ولا يجوز النظر إلى أهل السنة والوهابيين على أنهم فرقة واحدة.

وطالب العلماء في هذا المؤتمر بإرجاع كثير من الأملاك التي استحوذ عليها الوهابيون. كما واعتبر خطباء وعلماء المؤتمر أن محبة أهل بيت النبي ﷺ واحدة من التعاليم المهمة لأهل السنة، وأكدوا أن المسلم الحق هو من يَكُنُّ لأهل البيت عليهم السلام حبًّا واحتراماً كبيرين.

وقال أحد العلماء البارزين ورئيس مجمع مشايخ أهل السنة في الهند السيد محمود أشرف الكجهوجهوي: يجب القول بقاطعية أن كثيراً من أهل السنة محرومون من حقوقهم المسلمة في حين قد صادر الوهابيون غير قليل من حقوقنا باسم أهل السنة.

وأكد قائلاً: يجب القول بصراحة إن عدداً قليلاً من الوهابيين يبلغون ١٣٪ استحوذوا على حقوق ٨٠٪ من أهل السنة، ويجب السعي لإرجاعها.

وأكد هذا العالم البارز من أهل السنة: إن علماءنا الكبار -للأسف- قد ابتعدوا عن السياسة بعد ثورة الهند، وأخذ الوهابيون مكانهم في هذا المجال، وذلك مما لا يُرضي أبداً.

وقال العالم محمد هاشم الكانبوري من علماء الهند البارزين في هذا المؤتمر: لم يتقبل أهل السنة في أي وقت قيادة الوهابيين للمراكز الإسلامية، بل حتى إنهم يرفضون تسلط هذه الفرقة على المساجد أيضاً.

□□□

فضاءات التعايش

تمثل قيمة التعايش بين الطوائف والأديان مسارًا حضاريًّا، ينطلق من خلاله المجتمع في صفٍّ واحدٍ للتكامل والرقي. وتأتي أهمية التعايش لتعزز التعددية والحرية اللتين تجدان في التعايش المناخ الأرقى لتأكيد حضورهما في الواقع المجتمعي، وبهذا يتجه الإنسان للعيش في الأمن والاستقرار بعيدًا عن التناحر والتنافر التي تفرضهما الطائفية والتعصب والتطرف الفكري.

وبهذا فإن قيمة التعايش ترفض رفضًا قاطعًا كل ما من شأنه أن يُذكي روح الطائفية، والتطرف الفكري، فالفتاوى التي جاءت لتبيح دمًا، ولتُؤَسِّسَ الإرهاب في مناخ جغرافي، إنما تحكم على هذه القيمة بالانتحار في مناخها البغيض الذي نشأ على قاعدة الإقصاء والتهميش. ولأن الاختلاف الفكري والعقدي القائم على الاجتهاد، إنما هو -من المفروض- يسير في طريق التلاقي المعرفي على مائدة الإسلام، لا طريق التناحر، وهو في واقعه أنما ينطلق من: «مهما اختلفتم في شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ». إذن فقيمة التعايش هي في الأصل جاءت من روح الإسلام وقيمه، تلك الروح التي أَسَّست الإخاء والتآلف في واقع المجتمع المدني. وحتى تأخذ هذه القيمة مسارها الحضاري في الواقع المجتمعي لا بد من توفير فضاءات مناسبة لها، ومن هذه الفضاءات:

* التأكيد على القواسم المشتركة بين المذاهب والأديان، فقيمة التوحيد، والنبوة، والرسالة السماوية المتمثلة في كتاب الله، قيم تتفق عليها المذاهب وتنهل منها، كلٌّ حسب منطلقاته المعرفية، بحيث تكون هذه القيم مرجعًا معرفيًّا تُلزِم كل طرف بما فهمه وعرفه من اجتهاده المعرفي، ولا ضير من الجلوس على طاولة التشاور والتلاقي المعرفي، والحوار المُفْضِي إلى ذلك.

* التأكيد على مبدأ المساواة بين الإنسان وأخيه الإنسان، ورفض كل ما من شأنه زعزعة أمنه وحياته، وإشاعة جو الحرية السلوكية والعبادية، وإعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه من المواطنة والعيش المشترك. وهذه الأهداف العليا التي لا بد أن تصب في مصلحة الإنسان بالدرجة الأولى، إنما هي رسالة النبي الأكرم الأولى عند تأسيسه لدولة الإسلام في المدينة المنورة.

* وأخيرًا: تأتي ضرورة التأكيد على إشاعة جَوِّ الاحترام المتبادل للرأي والرأي الآخر، والتحاكم إلى القواسم المشتركة التي ترسم المسار العام لسير التعايش وفق التعاطي الحضاري، وفي ذلك صيانة للتعايش من الانحراف والانجراف وراء التقهقر الحضاري.

▪▪ الشيخ محمد زين الدين

46

No. 46 21th Year- Summer 2010AD / 1431HG.

ALBASA'ER

ISLAMIC IDEOLGIC MAGAZINE

Islamic Ideoligic Magazine
Issued by: Islamic Studies
& Resarches Center
In the Universiy of
Imum ka'am

المشاركون في العدد:

- العلامة عبداللطيف الشبيب
- د. مصطفى جمال الدين
- العلامة منير الخباز
- زكريا داوود
- علي آل موسى
- محمد الحبيب
- محمود الموسوي
- ياسر آل خميس
- محمد الحرز
- حسن البلوشي
- محمد زين الدين

موقعنا على الإنترنت www.albasaer.org